

## العشيرة الحمديدية

أسسها الراحل الإمام الراحل محمد زكي إبراهيم  
دعوة الخير والأخلاق الربانية  
معتمدة بالقرار الجمهوري رقم ١٩٦٨/٧٥٠  
من الهيئات ذات النفع العام  
ومشهرة بالشئون الاجتماعية برقم ٦٧٥

الله

شعارنا وغايتنا  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## أكاديمية العشيرة الحمديدية

لدراسات التصوف وعلوم التراث  
المعهد العالي للدراسات الإسلامية  
والعربية وعلوم التصوف

# محاضرات في الفقه الصوفي للتفسير (التفسير الإشاري)

تأصيل علمي لمنهج أهل السنة والجماعة  
في التفسير الإشاري الصوفي الحق من خلال سورة يس

ألفها

أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم  
وعميد كلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر - طنطا

قدم لها

أ.د. حسن الشافعي

أستاذ العقيدة الإسلامية  
عميد المعهد العالي للدراسات الإسلامية  
والعربية وعلوم التصوف  
ورئيس الجامعة الإسلامية العالمية ببهاستان  
(سابقاً)

تشرف بإعدادها وتحقيقها وإخراجها  
الدارس د. موسى محمود شومان  
مقرر أسرة الراحل وبالتعاون مع المكتب الفني للمعيد

الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م  
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والمعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف

بطاقة فهرسة  
فهرسة أثناء النشر  
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشئون الفنية

د/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي محاضرات الفقه الصوفي :  
للتفسير. التفسير الإشاري. تأصيل علمي لمنهج أهل السنة  
والجماعة.

١٢٨ ص، ٣٥ سم

١- التصوف الإسلامي

٢- الطرق الصوفية

رقم الإيداع: ٥٦٦٨ / ٢٠٠٦

المركز العربي للطباعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝  
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ  
الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَلاً فَهِيَ إِلَى  
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا  
فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا  
يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ  
وَأَجْرِ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَءَاتَاهُمْ ۖ وَكُلَّ  
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۖ إِذْ جَاءَهَا  
الْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم  
مُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا  
تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ  
الْمُبِينُ ۝ قَالُوا إِنَّا نَطْهَرُكُمْ بِكُمْ ۖ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ ۖ أَيِنْ ذُكِّرْتُمْ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ  
۝ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومِ آتِيعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝  
آتِيعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ ۝ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ۖ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي  
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ۝ إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِنِّي ءَامَنْتُ  
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۝ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ

لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝

(سورة يس الربع الأول: ١ - ٢٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا محمد ﷺ وعلى إخوانه النبيين وآله الطاهرين وأصحابه المجاهدين ومن تبع هداهم إلى يوم الدين، آمين. وبعد:

فقد كان من فضل الله - تعالى - وتيسيره أن تحققت أمنية شيخنا الراحل رائد العشيرة المحمدية الأول ومؤسسها فى منتصف القرن الماضى، ضمن إنجازاته العديدة وأفكاره السديدة، بتأسيس "المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف" منذ قرابة عامين، وأن يمضى هذا المعهد نحو غايته الجليلة المزدوجة التى رسمها فضيلته - رحمه الله - وهى: إشاعة الروح العلمى والثقافة الشرعية والتأهيل الدعوى فى الأوساط الصوفية والدوائر الروحية بمصر، جرياً على تقاليد التصوف ورسوم أئمتهم، الذين أعلنوا فى وضوح وصدق منذ البداية "طريقنا هذا مؤسس على الكتاب والسنة"، وكانوا جامعين بين علم الظاهر وصفاء الباطن فى سلوكهم إلى الله ودعوتهم إليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بث المشرب الروحى، والفقه الدعوى والدرس الحضارى الإسلامى فى العلوم الشرعية بل سائر العلوم الإنسانية والطبيعية، وهذا الجانب ليس بدوره جديداً بل هو إحياء لطبيعة هذه العلوم، وتجديد لمقاصدها الشرعية، واستشراف لعهد جديد تنطلق فيه الحضارة الإسلامية بجنايبها المادى والروحى دون أن يطغى أى منهما على الآخر وتحلق بجناحيها القويين فى فضاء النهضة الإنسانية، فتكمل نقص المناهج السائدة، وتعالى كرامة الإنسان، وترسم الطريق المستقيم إلى السعادة المنشودة والسلام المفقود.

ومن الحق على أن أقرر فى أمانة وإنصاف أنه لولا جهود فضيلة الأستاذ الدكتور عصام الدين محمد زكى إبراهيم الرائد الحالى للعشيرة، وتأييده المستمر، والجهد الدائب الذى بذله فى تجرد وإنكار للذات، والأستاذ الدكتور محمد مهنا أمين الدعوة والإرشاد فى العشيرة - وهو بحق الجندي المجهول وراء هذا العمل وما تيسر لهذا المعهد الوليد من هيئة تدريس متميزة تضم ثلاثة من رؤساء الجامعات السابقين، وعدداً من عمداء الكليات الجامعية فى الأزهر الشريف وعدداً من الأساتذة البارزين فى تخصصاتهم العلمية، لولا ما يسره الله من ذلك لما رأى هذا المعهد النور، ولما قام على قدم وساق، وتطلع لهذه الغايات الروحية والحضارية العليا، وعلى الله قصد السبيل، وله فى ذلك كله الحمد والثناء الجميل.

هذا ومن البواكير المبشرة بالمستقبل المأمول، الماضية نحو الهدف الطموح بإذن الله، ما تقدمه اليوم للدارسين والقراء على السواء من تسجيل أمين للمحاضرات التى القاها بالمعهد علم من أعلام العلوم الشرعية بعامة، وعلوم القرآن الكريم بصفة خاصة الأستاذ الدكتور جودة أبو اليزيد المهدى، عميد كلية القرآن الكريم بجامعة الأزهر، وهو من هو فى مكانته العلمية فى هذا التخصص العتيد وفى موقعه البارز بين القيادات الجامعية بالأزهر الشريف والقيادات الروحية فى الدوائر الصوفية أيضاً، مما يؤهله بصفة خاصة أن يسجل رؤيته للفقه الصوفى للتفسير القرآنى، وهو ما يعرف "بالتفسير الإشارى" منهجاً وتطبيقاً، وأن يختار للتطبيق - ولعله بإذن الله من معالم التوفيق - سورة يس بخصائصها المعروفة وبركاتها المعهودة، ولنن لم يستوعبها فضيلته شرحاً فقد فتح بها فتحاً، نرجو له التمام، وأن يمضى بهذا المنهج العلمى فى تفسير سور الكتاب الكريم فيضفى الجدة والحيوية، والتناول الروحى الحضارى الذى نتوخاه إلى علم شريف من أمهات العلوم الشرعية وأصولها الأساسية، والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه أ.د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعى  
عميد معهد الدراسات الإسلامية والعربية  
وعلوم التصوف

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«مقدمة»

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين (وبعد) :  
فإنه من أطول الخير والعبادة العظمى في الآخرة والأولى هو  
التعلق بكتاب الله العزيز الذي هو هبيل الله المتين والذكر الحكيم  
ولا يكون هذا التعلق إلا باتباع العناية الإلهية الإلهية  
والاصطفاء الرباني كما قال عز ذكره « ثم أورثنا الكتاب  
الذين اصطفينا من عبادنا ضمنهم للحالم لقبه ومنهم بقصد  
ومنهم سابع بالخيرات بإذنه الله ذلك هو الفضل الكبير » [الآية ٢٢]  
فقد ختمت الآية الكريمة بقصر الفضل الإلهي الكبير  
على هذا العطاء الوفي . وهذا الاصطفاء للارث القرآني  
الحمدى قد ناله الصحابة الأعيان ولا سيما أهل البيت المحمدي  
ورثتهم من السادة الأولياء أهل الصوف والمعرفة الأفراد  
فلما نوا عرف الخلق بتفسير كتاب الله تعالى ، لأنهم عرف  
الخلق بالله وبصفاته وأسمائه تعالى وهم حملة أسراره  
المستغفوة في أنواره المشاهدة لتجليات الذات في صفه  
الكلام ، ومن ثم كان سيدنا الإمام جعفر الصادق رضوانه  
الله تعالى عليه يقول « لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكنه  
لا يعرفونه » !! ومنه الحق : أنه الإرث إنما يكونه على قدر  
قرب الوارث من المورث ، وكل ينفع مما آتاه الله !!  
لهذا : وقد تنوعت مناهج التفسير للقرآن الكريم ما بين  
تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي تفرعت عنه مناهج التفسير  
العقدي واللغوي والقصصي والفقهي والعلمي والفني وغير ذلك

وقد تفرد نهج التفسير الفيضي الإشاري للقرآن الكريم  
باجتماعه لأهم مميزات المناهج الأخرى مع إضافة الجانب  
الإشاري الإلهامي للوطاء الدلالي للقرآن العظيم بما يعطى  
لواقف عليه ثراء معرفياً عظيم الأثر في مجال الحقائق.

كما ينير له درب السلوك إلى ملك الملوك ، فينصحه له اقتلاعه  
القوامية لله على النفس بالقط كما قال تعالى لا يأتى الله  
آمنوا كونوا قوامية بالقط شهاده الله ولو على أنفسكم  
[سورة النساء، ١٢٥] وهذه القوامية هي ملاك التصوف

- الذي يجعله المنكروه عليه بسوء فهمهم له - وبذلك القوامية  
ترتفع الحجب عن القلب، ويتصل بعالم الملكوت والمجبروت، ويرى  
بنور الله ما لا يراه الناظرون !!

وقد مهد الله تعالى على إيساد تدريس التفسير الإشاري بكلية  
الدراسات الصوفية المنبثقة منه جمعية العشرة الحميرية إلى تحفة  
الله تعالى وشرفت في تدريس ما فتح الله تعالى به من تفسير

سورة (يس) قلب القرآن العزيز، وتوخيت في هذا التفسير  
الالتزام بالضوابط العلمية المقررة للتفسير الإشاري فيشر الله  
تعالى لي ذلك، وطمنت همم الدارسين في تجل محاضراتي في ذلك  
ونقلنا إلى الطور المقروء على صورته الإلقائية قدر المستطاع  
وقد كانه للذخ الفاضل الدارس د موسى شومان جهد مشكور

وهمة ونابة لتحقيق هذا الانجاز فجزاه الله خيراً وأسأل الله تعالى  
أنه يبارك هذا العمل وأنه يقبله هدية لكاتبه العزيز وأنه يجعلها  
من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته أيد الأئمة بهجاء  
سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في كل

لحظة ونفس بقدر عظيمة ذاته، وحسننا في زمره أوليائه العارفين  
بالرعاة الربوبيين، أصر ١٤٧ هـ . د. جوده محمد أبو اليزيد الهندي

## بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

من فضل الله تعالى أن قبض مجموعة من العلماء العارفين العاملين هم علماء الأمة وورثة المعصوم ﷺ لوضع أفكار مولانا الراحل محمد زكي إبراهيم ﷺ رائد العشيرة المحمدية ومؤسساتها موضع التنفيذ بإقامة هذا الصرح العلمي أكاديمية العشيرة المحمدية والذي من خلالها تم إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف ليحاكي الأثر القديم إضافة إلى تميزه بنوعية خاصة من العلوم تتمثل في بيان الأبعاد الإشارية الروحية في العلوم الشرعية والتي تُدرّس لأول مرة على نحو جديد، وفي صورة مقررات دراسية أكاديمية منهجية علمية على أيدي متخصصين في علوم الشريعة والحقيقة.

ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم، وعميد كلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر - طنطا بتركيبته الشرعية والروحية الذي تفضل مشكورا بالمساهمة في حمل عبء تدريس مقرر: الفقه الصوفي للتفسير (التفسير الإشاري)، كتأصيل علمي لمنهج أهل السنة والجماعة للتفسير الإشاري الصوفي الحق.

ولما كانت هذه الفرصة لا تتكرر كثيرا فلقد قامت أسرة الرائد التي تم تشكيلها من مجموعة الدارسين بالمعهد بتسجيل هذه المحاضرات والعمل على إخراجها في صورة مكتوبة حفظا لثراث علمانا ومشايخنا تحت إشراف أ.د. محمد مهنا راعي الأسرة والتي تم اختيار اسمها تيمنا بلقب الرائد الراحل. ومن ثم جاء الاقتراح بتحويل المحاضرات إلى صورة مكتوبة مع نوع من الإخراج الملائم يتناسب مع المادة المسموعة مع عدم الإخلال بالنص المسموع.

ونظرا لضيق وقت المحاضرات المتاحة ولحدائث التجربة كان فضيلة أ.د. جودة لا يزيد الجرعة الدراسية عن حد معين، إلا أنه تفضل وأذن لي بتحقيق النص المسموع والتعليق عليه لاستكمال بعض الجوانب الفنية والشكلية من تخريج الآيات والأحاديث والتبويب والإخراج وعزو النصوص إلى مصادرها ووضع ذلك كله في هوامش في أدنى الصفحات لتخرج في صورة كتاب بين دفتين، مع الالتزام بالنص المسموع في المحاضرات. ولقد تفضل فضيلته بمراجعته قبل إصداره تعميما للفائدة. فكان هذا العمل الأول من نوعه. كما أذن فضيلته أن أقدم لهذا العمل فعمدت إلى بيان منهجه في محاضراته مع إلقاء الضوء على أهم الإشكاليات التي تعرض لها فضيلته خلال تفسيره للربيع الأول من سورة يس، فكان كالتالي:

### إشكاليات البحث:

وهي ما يُعرف بالمشاكل العلمية أي مجموعة التساؤلات التي يطرحها الباحث ويحاول أن يجيب عليها فيما يتعلق بالمواضع الخلافية بين العلماء فيشير إليها الباحث مبينا وجهة نظره بعد عرض الآراء المختلفة على أسس علمية. وللوقوف على أهم هذه الإشكاليات تفصيليا نسير مع الشيخ في الأجزاء الثلاثة لبحثه والتي أدلى بها من خلال محاضراته وبياناتها كالتالي:

## الجزء الأول:

واشتمل على مقدمة هامة للتفسير الظاهر والإشارة والربط بينهما وفق الجهة فيما هو مطلوب للرد على إشكاليات كثيرة يثيرها البحث في موضوع التفسير الإشاري يمكن بيان أهمها فيما يلي:

- ١- معنى التفسير لغة واصطلاحاً مع بيان خريطة المناهج التفسيرية (بالمأثور وبالرأى ونماذج لكل منها وأئمة كل نوع ومراجعته) لتوضيح موقع التفسير الصوفي (الإشاري) من خريطة التفاسير وباقي العلوم الشرعية، موضحاً عدم ملائمة ما قيل من بعض العلماء في هذا المجال
- ٢- بيان تعريف التفسير الإشاري (الصوفي) بأنه "تأويل الآيات القرآنية على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات تظهر لأهل السلوك ويمكن الجمع بينها وبين الظواهر المرادة"، مع شرح معنى كل مفردة من مفردات التعريف.
- ٣- الفرق بين التصوف والفلسفة الباطنية، وبيان أن مصدر التصوف هو الإلهام. وهو ليس فكر ولذلك لا يصح ربطه بعلم الكلام أو الفلسفة، فالفلسفة نتاج عقلى قد يشذ. وأن التفسير الباطني ما هو إلا وليد عقول مريضة ومبنى على نظريات معينة فهو باطل، كما أنه لا يمكن الجمع بينه وبين التفسير الظاهر.
- ٤- ثم انتقل فضيلته إلى بيان سبب التسمية "للتفسير الصوفي الإشاري" بأنه ثمرة للتصوف ومجاهدة النفس فتشرق عليه أنوار وتنزل على قلبه إلهامات يأخذ منها معاني خاصة لا تتعارض مع التفاسير المعتمدة، وموضحاً الأبنس الأربعة التي وضعها السادة الأئمة لكي يكون التفسير الصوفي مقبولاً وذلك بالانفاى مقتضيات اللغة وظاهر النظم القرآني، وأن يكون له شاهد شرعى يزيده من الكتاب والسنة مع عدم المعارضة من قبل العقل والنقل وإمكانية الجمع بينه وبين التفسير الظاهر المعتمد.
- ٥- مصدر التفسير الإشاري واستمداده وكونه أحد أنواع الدلالات، مع بيان عدد التفاسير والوقوف على أهمها وأنواعها فيما يتعلق بالتفسير الإشاري.
- ٦- ومن أخطر النقاط التي دأبنا ما يلح عليها فضيلته أثناء محاضراته ما أجمع عليه العلماء والمفسرون بأن التفسير الصوفي لا يطرح في غير أرضه، ولا يثبت لغير أهله لأنه يتناول مفاهيم خاصة في المعرفة لا يتحملها الكل. فليس كل إنسان مؤهلاً لقراءة التفسير الصوفي (الإشاري/الفيضي) كما بين فضيلته أسباب ذلك وملخصها تغير فطرة البعض وأنها لم تعد صالحة لاستقبال أنوار الصوفية، أو أن عقولهم لم تبلغ إلى حد النضج لفهم هذا الكلام. فالتفسير الصوفي له خصوصية في المصدر كما أنه خاص الدلالة وخاص المورد الدلالي.

## الجزء الثاني:

حيث انتقل إلى تفسير البسملة كافتتاحية، وبين فضيلته أنه من الطبيعي قبل أن يبدأ الكلام في أى تفسير أن يتم التعرض أولاً للبسملة. فتناول فضيلته ملامح التفسير الظاهر لكل كلمة وحرف من حروف وكلمات البسملة ثم ربط ذلك ربطاً سلساً واضحاً بالتفسير الإشاري المأثور عن كبار العلماء والمشايخ كالشيخ الأكبر والتستري والشبلى والرازي والأمير عبد القادر والقشيري وغيرهم من مصابيح الهدى.

وفي خلال هذا الجزء يتضح منهج شيخنا أ.د. جودة في بيانه لبعض من الآداب السلوكية التي يمكن اشتقاقها من التدبر في معاني البسملة. وكذلك في كل آية سوف يتعرض لها أثناء تفسيره لسورة يس.

#### الجزء الثالث:

- وهو الخاص بتفسير الربع الأول من سورة يس وفيما يلي بيان أهم الإشكاليات التي تعرضت لها المحاضرات وبيان منهج الشيخ في ذلك:
- ١- قبل الشروع في بيان التفسير الإشاري (الصوفي) لسورة يس بين فضيلته أسباب اختياره لهذه السورة بالذات، وسبب تسميتها، والقضايا (العشر) التي تناولتها وبيان معنى لفظ "يس" والحروف المقطعة، ثم عرض لبعض نماذج التفسير الظاهر كمدخل للتفسير الإشاري ثم عرجا إلى المنهج الإشاري الفيضي مع كل آية من الآيات ومع كل لفظة من الألفاظ.
  - ٢- بيان إشكالية المتشابه الذي منه (يس) كفواتح للسورة ومثل (الم)، (حم) وغير ذلك هل هي من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه ولم يتمكن بشر من معرفته أو هي من المحكم الذي أطلعنا الله على معناه، وبين آراء العلماء فيه والتي زادت عن خمسة وعشرين قولاً، وكذلك القول الفصل الراجح في ذلك أن لها خصوصيات ومعاني عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.
  - ٣- التعريفات المطروحة للتصوف ودليل ذلك من الكتاب والسنة وخاصة من سورة يس.
  - ٤- تعريف القرآن وبيان أسمائه وصفاته، وبيان معنى التنزيل، واستنباط بعض من أسماء الله الحسنی وصفاته.
  - ٥- بيان معنى الرسول والرسالة، وتعبير النظم الكريم بقوله إنك لمن المرسلين ولم يعبر بلفظ إنك لرسول في صدر السورة لبيان وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين.
  - ٦- الوقوف على المعاني العامة والخاصة للصراط والطريق لغة وشرعا واستنباط ضرورة السير في الطريق إلى الله والحاجة إلى المشايخ، وأن النبي ﷺ هو الطريق وهو الصراط المستقيم، وسبب التعبير بحرف (على)، وغيره من الحروف كل في موضعه.
  - ٧- بيان قول الإمام الرازي: لماذا أقسم الله تعالى على تحقيق رسالة النبي بـ "يس"، وبـ "القرآن الحكيم" في مواجهة المشركين مع أن المطالب تثبت بالدليل لا بالقسم.
  - ٨- تفصيل قضية الإنذار ومهمة النبي ﷺ وأن النبي ﷺ هو القرآن وهو الطريق وهو التنزيل وتفصيل موضوع بشريته وأنه ﷺ بشر لا كالبشر، بل هو ياقوت بين الحجر. وكيفية استنباط إخماد الصفات البشرية في السلوك الصوفي من ذلك.
  - ٩- الحكمة في اختيار النظم القرآني للتعبير بلفظ (قوما) دون أن ينسبهم للنبي ﷺ وارتباط ذلك بالآباء والسلالة والغفلة وأن أول مراتب الطريق اليقظة والانتباه من الغفلة. فالغفلة نوم القلب. ومقابل الغفلة يقظة القلب. وقمة اليقظة للقلب في شهود الرب جل وعلا.



- ١٠- الانتقال لقضية القدر وبياناتها، وكيف أن الكلمة الأزلية القديمة ثبتت على الأكثر وهم أمة الدعوة فهم لا يؤمنون. وبيان عظمة النبي ﷺ حيث يكلفه مولاه بالرسالة ويعطى له نتيجة العمل قبل الخوض فيه، وذلك من مكانة النبي ﷺ عند خالقه.
- ١١- بيان أنواع الأمم: أمة الدعوة وأمة الإجابة وأمة المتابعة والاتباع ووصف كل منها وبيان أحوالهم، والأفضلية فيهم.
- ١٢- قضية الذكر وخشية الرحمن وتجليات صفات الجلال والجمال والكمال. وقول الشاعر:

وَمَرُّ الْوُجُودِ بَشْفِ عَنْكَ لَكَ أَرَى غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ.

- ١٣- قضية الغيب والغائب ومعرفة النبي ﷺ للغيب والأولياء الصالحين من بعده.
- ١٤- قضية البعث والمعرفة ووحدة المعرفة أو وحدة مصدر المعرفة والتحقق. وبيان معنى أن الذات لا تُعرف إلا بالذات، وكيفية معرفة الله بسيدنا محمد ﷺ، وأنه أعرف الخلق بالذات وصفاتها. وقول الصديق الأعظم: العجز عن درك الإدراك إدراك. فأين أنت من رب الأرباب يا كف من تراب
- ١٥- مسألة الكسب وكتابة الأعمال والآثار والمشينة.
- ١٦- قصة أصحاب القرية وفيها العديد من الإشكاليات والمباحث نلخصها فيما يلي:
- أ- سبب إيراد هذه القصة في هذا الموضع تحديداً، ومناسبتها لما قبلها.
  - ب- الموضوعات المتصلة بالقصة.
  - ج- إثبات أن الأولياء في الأمة المحمدية خلفاء ونواب لحضرة النبي ﷺ.
  - د- إثبات أسماء الله وصفاته من سورة يس وخاصة من قصة أصحاب القرية.
  - هـ- استحقاق العبادة لله تعالى وحقه علينا.
  - و- أنواع النفس ومراتبها، والعقل والروح والقلب.
  - ز- الصراع الكامن في مدينة البدن الإنساني، بين أهل مملكة البدن وبين الرسل المتمثلين في الروح والعقل والقلب.
  - ح- كيف كان حبيب النجار ينحت الأصنام وهو ممن وُصف بأنه من سبأ الأمم، وبمعنى آخر كيف فسرت الأصنام التي كان ينحتها حبيب النجار إشارياً بأصنام مظاهر الصفات الإلهية. ومعنى الاحتجاب بمظاهر الصفات عن جنة الذات.
  - ط- التفاوت بين طبائع الرسل ونورانية ما جاءوا به من جهة وبين ظلمة عناصر الجسد والنفس الأمارة بالسوء.
  - ي- رمز العشق الروحي القادم من الملأ الأعلى للحقيقة المطلقة، والترقى من تجليات حضرة الصفات إلى تجلى حضرة الذات، والتوحيد الكامل. والاستغفار المترتب على ذلك.

المنهج العام للشيخ في محاضرات التفسير:

في كل المواضيع والقضايا التي يطرحها فضيلته للبحث كان منهجه واضحاً في ضرورة وجود شاهد عدل على كل ما يأتي به، أي على العقل استناداً وعلى الشرع اعتداداً. وتفصيل ذلك يمكن بيانها كالتالي:



- ١- الربط بين الآيات بعضها البعض، ومناسبة كل آية لما قبلها وما بعدها.
- ٢- إيراد الدليل على كل ما يطرحه من آراء وأفكار، كما أسلفنا.
- ٣- إيراد المعاني اللغوية جنباً إلى جنب مع المعاني الاصطلاحية الشرعية التي ساقها المفسرون بالإضافة إلى ما يرد من معانٍ إشارية.
- ٤- بيان السبب في إثبات النظم الكريم لبعض الحروف على غيرها، مثل كلمة (على) في قوله سبحانه (على صراط مستقيم) ونحوها.
- ٥- إيضاح السبب في اختيار النظم الكريم لأسماء بعينها وصفات محددة في فواصل الآيات الكريمة كل في موضعه المناسب.
- ٦- التركيز على الإعراب ومفاتيحه وبيان أهميته الكبرى لفهم كتاب الله.
- ٧- بيان الموضوعات التي تناولتها سورة يس بوجه عام وطرحها للنقاش.
- ٨- بيان المراجع الوثيقة في التفسير والتفسير الإشاري، وأنواعها وأقسامها.

وختاماً فالشكر كل الشكر للشيخ الجليل أ. د. جودة علي تفضله بالموافقة على نشر هذا العمل حسبه لوجه الله تعالى كما أتوجه للإراعى أسرتنا أ. د. محمد مهنا، وأعضاء المكتب الفني بالمعهد، ولأكل زملائي بالمعهد بخالص الشكر والتقدير على ما قدموه من عون خالص لإخراج هذا العمل بصورة لائقة مشرفة وأخص منهم الأستاذة الفاضلة الزميلة إيمان داود، والأستاذ الفاضل الزميل سيد حسين لإسهامهم في إخراج هذا العمل، جعل الله تعالى عملنا في ميزان حسناتنا يوم تلقاه. وختامه مسك توجيه خالص الشكر وعظيم التقدير لفضيلة الشيخ الجليل الرائد الحائز للعشرة المحمدية محمد عصام الدين على كل ما بذله وبذله من أجل الحفاظ على هذا الكيان وما بهذا العمل من نقص أو تقصير فهو من أنفسنا، وما به من كمال فهو لله وحده، فنسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله مباركا ومعهم به النفع للمسلمين وأن يوزقنا بحبه ومحبه نبيه ﷺ وأن يجعلنا من العارفين به وأن يخرجنا من دائرة سخطه لإدارة رضاه وأن يرض عنا برضاه، وأن يفيض علينا من خزائنه رحمة ومن خزائنه علومه ﷻ وأن من شئء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﷻ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ورضى الله عن إخواننا ومشايخنا في الله أجمعين.

د. موسى محمود شومان

الدارس بالمعهد ومقرر عام أسرة الرائد

القاهرة في: العشرين من صفر ١٤٢٧ هـ  
الموافق: العشرين من مارس ٢٠٠٧ م

# محاضرات فى الفقه الصوفى للتفسير

## (التفسير الإشارى)

تأصيل علمى لمنهج أهل السنة والجماعة  
فى التفسير الإشارى الصوفى الحق من خلال سورة يس

### المحتويات

صفحة

#### الموضوع

مقدمة بقلم أ.د. حسن الشافعى عميد المعهد  
مقدمة بقلم المؤلف أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي  
بين يدي الكتاب: د. موسى محمود شومان، مقرر عام أسرة الرائد بالمعهد  
المحتويات

#### الفصل الأول: تعاريف ومصطلحات:

١

٢

٣

٣

٤

٤

٦

٨

١٠

١٠

١٠

١٥

١٥

١٨

٢١

٢٢

٢٦

٣١

٣٢

٣٥

٣٥

أولاً: فى معنى التفسير (لغة واصطلاحاً)

ثانياً: خريطة المناهج التفسيرية

التفسير بالمأثور

التفسير بالرأى

تفسير بالرأى مذموم / محمود

ثالثاً: تعريف التفسير الفيضى الإشارى (الصوفى):

مبحث خاص: الفرق بين التصوف والفلسفة والباطنية

رابعاً: سبب التسمية

خامساً: شروط التفسير الصوفى

سادساً: عدد التفاسير ومصادر التفسير الصوفى الثقات.

مبحث خاص: مصادر التفسير الصوفى

مبحث خاص: أنواع الدلالات

الخلاصة فى نقاط على الحروف

#### الفصل الثانى: تفسير البسملة

ملاح التفسير الظاهرى للبسملة.

ملاح التفسير الإشارى للبسملة.

#### الفصل الثالث: تفسير يس

أولاً: أسباب اختيار سورة يس

ثانياً: تفسير قوله تعالى ﴿يس﴾ وبيان معنى اللفظ ﴿يس﴾

ما يخص الحروف المقطعة بصفة عامة

- ٤١ ما يخص سورة يس على وجه الخصوص أو يشاركها في ذلك  
باقى الحروف المقطعة
- ٤٦ ثالثاً: تفسير قوله تعالى ﴿ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾
- ٥١ رابعاً: تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وقضية الرسالة.
- ٥٨ خامساً: تفسير قوله تعالى ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وقضية الصراط
- ٦٣ سادساً: تفسير قوله تعالى ﴿ تَزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾
- ٦٩ سابعاً: تفسير قوله تعالى ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ ،  
وقضية الإنذار
- ٨٢ ثامناً: تفسير قوله تعالى ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ،  
وقضية القدر
- ٨٨ تاسعاً: تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ  
مُقْنَعُونَ ﴾ \* وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فَأَغْنَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾
- ٩٦ عاشراً: تفسير قوله تعالى ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾  
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾
- ١٠٤ حادى عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا  
وَأَثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾
- ١١٩ ثانى عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاصْطَبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا  
الْمُرْسَلُونَ ﴾ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ \*  
قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ \* قَالُوا رَبُّنَا  
يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ \* وَمَا عَلَيْنَا الْبَلَاغَ الْمُبِينِ \* قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُم لَنَنْ لَمْ  
تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ  
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ \* وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \*  
اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ \* وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \*  
﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُون \*  
إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُون \* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ  
قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾
- ١٣٩ خاتمة و خلاصة

الرموز المستخدمة: (خ) صحيح البخارى - (م) صحيح مسلم - (ق) متفق عليه، أى اتفق  
السخارى ومسلم على إخراج الحديث فى صحيحيهما - (ت) جامع الترمذى - (ن) سنن  
النسائى - (د) سنن أبو داود - (ج) سنن ابن ماجه - (مك) موطأ مالك - (حم) مسند أحمد -  
(ك) مستدرک الحاكم - (خذ) البخارى فى الأدب المفرد - (تخ) البخارى فى التاريخ - (حب)  
صحيح ابن حبان - (طب/طس/طعى) الطبرانى فى معجمه الكبير/الأوسط/الصغير، على  
الترتيب - (ش) مصنف ابن أبى شيبه - (عب) الجامع لعبد الرزاق - (قط) سنن الدارقطنى -  
(فر) الفردوس للديلمى - (حل) حلية أبونعيم - (هب) شعب الإيمان للبيهقى - (هق) سنن  
البيهقى - (معجس) المعجم الوسيط.

# **الفصل الأول**

## **تعريف ومصطلحات**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين

## على بركة الله نبدأ الفقه الصوفي للتفسير .

ونتحدث أولاً عن معنى التفسير لغة واصطلاحاً ونقوم بوضع خريطة المناهج التفسيرية لنحدد موقع التفسير الصوفي (الإشاري) من خريطة التفاسير وباقي العلوم الشرعية وسبب التسمية ولكي نقف على مشروعيتهما ومصادرها وشروط التفسير الصوفي لبيان الفرق بينه وبين التفسير الباطني، مع بيان أهم الكتب في ذلك الأمر .

### أولاً: في معنى التفسير:

يجدر بنا أن نتعرض لمعنى التفسير لغة واصطلاحاً، فنقول:

**يقال في اللغة:** فسرت الفرس إذا عرّيته أي كشفت الغطاء عنه، لينطلق في حضره (شدة العدو). فمادة فَسَرَ تدل على الكشف والبيان<sup>١</sup> في كل من الجانبين الحسي والمعنوي.

ومقلوبها سَفَر ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٤)، أي بان وظهر<sup>٢</sup>، ومنه السَفَر لأنه يكشف عن أخلاق الرجال.

وعلى هذا يقال: فسرت اللفظ أي أوضحت معناه.  
فلفظة تفسير بوزن تفعيل أي كشف المراد من اللفظ المشكل.

**أي أن التفسير لغة هو:**  
**الكشف والتوضيح والإبانة<sup>٣</sup>.**

١ ( فَسَرَ الشَّيْءَ فَسَرًا وَضَحَهُ، فَسَرَ الشَّيْءَ وَضَحَهُ، وَفَسَّرَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شَرْحَهَا وَوَضَحَ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ مَعَانٍ وَأَسْرَارٍ وَأَحْكَامٍ، وَالتَّفْسِيرُ الشَّرْحُ وَالْبَيَانُ، وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ مِنَ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يُقْصَدُ مِنْهُ تَوْضِيحُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ آيَاتُهُ مِنْ عَقَائِدٍ وَأَسْرَارٍ وَحِكَمٍ، وَالْأَحْكَامِ. وَقِيلَ مَاخُذُ مِنَ التَّفْسِيرَةِ وَهِيَ اسْمٌ لِمَا يَعْرِفُ بِهِ الطَّبِيبُ الْمَرَضَ. (معجم).

٢ ( سَفَرَ سَفُورًا وَضَحَ وَانْكَشَفَ، يُقَالُ سَفَرَ الصُّبْحُ أَضَاءً وَأَشْرَقَ. وَسَفَرَ الشَّيْءَ سَفَرًا كَشَفَهُ وَأَوْضَحَهُ، وَأَسْفَرَ وَضَحَ وَانْكَشَفَ، وَيُقَالُ أَسْفَرَ الصُّبْحُ. وَانْسَفَرَ الشَّيْءُ انْخَسَرَ وَانْكَشَفَ، وَسَفَرَتِ الْمَرْأَةُ كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهَا (معجم).

٣ ( وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ( وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) (الفرقان: ٣٣).

**اصطلاحاً:** والمقصود هو التعريف العلمى الاصطلاحى<sup>٤</sup>.

وهناك عدة تعريفات اصطلاحية للتفسير أهمها<sup>٥</sup>:

علمٌ يُبَحَثُ فيه عن أحوال القرآن المجيد  
من حيث دلالته على مراد الله يقدر الطاقة البشرية

وهناك قيد هام فى هذا التعريف لابد من معرفته وهو قولنا بقدر الطاقة البشرية، وذلك لأن مراد الله من كلامه على حقيقته على وجه الاستقصاء لا يعلمه إلا هو<sup>٦</sup>.

### ثانياً: خريطة المناهج التفسيرية:

التفسير قسمان<sup>٧</sup>: أ\_ تفسير بالمأثور، ب\_ تفسير بالرأى، ونحدث عن كل قسم من قسمي التفسير:

#### أ\_ التفسير بالمأثور:

وهو تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه، وبما ورد عن النبى ﷺ، وبما أثر عن الصحابة رضي الله عنهم<sup>٨</sup>.

٤ ( والاصطلاح مَصْنَعُ اصطلاح، وهو اتفاق طائفة من أهل فن معين على شئ مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته.

٥ ( راجع مناهل العرفان للزرقاني.

٦ ( وهذا القيد أورده العلماء أيضاً لبيان أنه لا يقدح فى العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني التشابهات ولا عدم العلم بمراد الله فى الواقع ونفس الأمر. (المرجع السابق)

٧ ( وينبغى ملاحظة أن أ.د. جودة أراد فى هذا المنهج أن يعرض للنوعين الأساسيين من التفسير اللذين لا خلاف عليهما البتة، ثم يورد التفسير الإشارى فى قسم وحده إشعاراً بأهميته. بيد أن كثير من العلماء والسلف جرت عادتهم على بيان أقسام التفسير المتعددة ومنها التفسير الإشارى الصوفى فقال الزرقاني فى مناهل العرفان فى معرض حديثه عن أقسام التفسير "... وقسم بعضهم التفسير إلى ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور، وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأى، وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشارى، ... ".

٨ ( فما قرره الأئمة أن من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل فى منه فى مكان فقد فسّر فى موضع آخر، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر منه. فإن أعياء ذلك طلبه من السنة الصالحة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، فإن لم يجده فى السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدركوا بذلك. وذهب كثير من الأئمة إلى الرجوع إلى أقوال التابعين. وفى كل ذلك لا غنى عن الوقوف على علوم اللغة. (راجع الاتقان للسيوطى وابن كثير فى مقدمة تفسيره).

ومن نماذج التفسير بالمأثور: تفسير ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت ٩١١هـ) - تفسير ابن كثير (ت ٧٠٥هـ) - تفسير البغوي - أسباب النزول للواحدي - السمرقندي ... إلخ.  
والجمهور على أن النبي ﷺ فسر بعض القرآن وترك البعض للاجتهاد<sup>١٠</sup>.

### ب التفسير بالرأى<sup>١١</sup>:

وهو إما تفسير بالرأى المذموم وإما تفسير بالرأى المحمود، وفي ذلك مباحث كثيرة ليس مجالها الآن<sup>١٢</sup>. ولكن نشير سريعاً إلى بعض النقاط المتعلقة به:  
تفسير بالرأى مذموم:

من الفرق المختلفة كالشيعة والمعتزلة والخوارج والإباضية والبهائية والباطنية (كالقرامطة والإسماعيلية والسبعية والحرمية والبابكية والمحمرة)، وهى الفرق الخارجة عن أهل السنة والجماعة<sup>١٣</sup>.

(٩) ومن اشتهر منهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس - ترجمان القرآن وذلك بشهادة رسول الله ﷺ "نعم تُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ" (ك: وقال صحيح على شرط الشيخين) - وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير. أما من اشتهر من التابعين بالتفسير أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء وعكرمة وابن جبير وطاوس في مكة، وزيد بن أسلم وأبو العالية والقرظي بالمدينة، ومسروق وقتادة والحسن البصري من العراق.  
(١٠) ولكن أ.د. جوده مع الرأى المقابل فما قاله فضيلته أثناء محاضراته هو: "... أن النبي ﷺ فسر القرآن كله وعى ذلك من وعى ونسى من نسى. ودليل ذلك آية ٤٤ من سورة النحل ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، والآية ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة ٦٧)، ومعلوم أن البلاغ يستلزم التبيين، إذ كيف يبلغ بدون بيان ما يبلغه ... "أهـ.

(١١) المراد بالرأى هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موقفاً أى مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود وإلا فمذموم (مناهل العرفان).

(١٢) ومن هذه المباحث التفسير بالمأثور، والمفسرون من الصحابة، والتابعين، وطبقات المفسرين وكتب التفسير وخصائصها، وميزان المدح والذم للحكم على التفسير والتفسير بالرأى والجائز منه وغير الجائز والعلوم التى يحتاجها المفسر وجواز التفسير بالرأى ومناهج المفسرين بالرأى وكتبهم وتفسيرات الفرق المختلفة وكتبهم ومناهجهم والحكم عليها وشروط قبولها، وغير ذلك من المباحث الكثيرة والطويلة. وعلى من يريد الرجوع لمثل هذه المباحث الرجوع إلى الإقتان للإمام السيوطي ومناهل العرفان للزرقاني، وغيرهما.

(١٣) راجع مناهل العرفان للوقوف على هذه الفرق، وكذلك كتب علم الكلام المعاصرة مثل المدخل إلى علم الكلام أ.د. حسن الشافعى، أو كتب السلف.

ويدخل فى هذا الصنف تفسير الكشاف للزمخشري (معتزلى) رغم أنه مدرسة عظيمة بلاغية قوية جدا تفرع منها البيضاوى والنسفى وأبو السعود لذلك يجب الحرص والتدقيق عند قراءته وليس ذلك لأى أحد. فهو وإن كان من خير الكتب التى يُرجع إليها فى التفسير من ناحية البلاغة إلا أن المذهب الاعتزالى فيه لا يستطيع الوقوف عليه فى كثير من المواضع إلا العلماء المتخصصون.

تفسير بالرأى محمود :

وهى تفاسير أهل السنة والجماعة هى أنواع منها:

- تحليلي: وهو تفسير الآيات حسب ترتيبها فى المصحف ببيان المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية والعقدية والفقهية وغيرها، وهذا هو السواد الأعظم من التفاسير. وأشهرها: تفسير الجلالين لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى - "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للنسفى - "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوى / "مفاتيح الغيب" للرازى - "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" لأبى السعود - "روح المعانى" للألوسى - تفسير الخانز - الثعلبى - الواحدى - أبو حيان... إلخ.

- كلامى وعلمى كونى: للفخر الرازى.

- نحوى: الزجّاج.

- بلاغى: الكشاف مع القيد السابق بيانه.

- قصصى: الخازن، ولكن به عيب أن به إسرائيليات كثيرة.

- صوفى: وهو قسمان طبقا لتقسيم الدكتور الذهبى<sup>١</sup>:

١- صوفى نظرى: وهو مرفوض عند الذهبى لأنه باطنى مثل تفسير الباطنية.

٢- فيضى إشارى: وهو مُجمّع على قبوله بالمقاييس العامة الأكاديمية.

ولسنا مع الدكتور الذهبى فى ذلك لأن التفسير الصوفى نوع واحد فقط وهو المجمع على قبوله وهو الفيضى الإشارى أما الآخر فهو ليس من التفاسير الصوفية على الإطلاق وإنما هو تفسير باطنى ولا يجوز الخلط حتى لا يتشتت الناس. فالصوفية يبرؤون من تفاسير الباطنية فكيف نقول بأنه قسم من أقسام تفاسيرهم.

ولذلك فسوف ينصب الحديث على التفسير الصوفى الذى هو الفيضى الإشارى فيما يلى:

(١٤) فى كتابه (التفسير والمفسرون).



## ثالثا: تعريف التفسير الفيضى الإشارى (الصوفى):

ويعرف هذا النوع من التفسير بأنه:

تأويل الآيات القرآنية على خلاف ما يظهر منها  
بمقتضى إشارات تَظْهَرُ لأهل السلوك ويمكن  
الْجَمْعُ بينها وبين الظواهر الْمُرَادَةِ.

وقبل أن نشرع فى شرح مفردات التعريف نضرب مثلا سريعا لذلك لتتویر الأذهان: فى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ (البقرة ٦٧) وتأويله عند أهل الإشارة والفيض بمعنى أن ذلك بإشارة إلهامية إلى أن تذبح نفسك مغنويا بسيف المجاهدة، فالسلوك الصوفى التزام بعهد وبأوامر ونواهى من شيخ مجرب ملتزم بالشرع الحنيف، فأحياء الميت بضربه ببعض البقرة المذبوحة إشارة إلى ذبح النفس وإحياء القلب بنبحها.

مثال آخر: قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٢) فحتى لا يكون (يعلمكم الله) جوابا للشرط جاء بالواو، أى لكى يخبرك أنه يعلمك بمجرد أن تبدأ فى التقوى وأنه ليس من الشرط أن تنتهى من التقوى لكى يعلمك.

والآن نشرع فى بيان معانى مفردات التعريف:

**التأويل:** هناك فرق بين التفسير (الكشف والبيان) وبين التأويل.

والتأويل مأخوذ من الأول أى الرجوع<sup>١٥</sup>.

أول الشئ أى أرجعه إلى جهة أخرى غير التى ظهر فيها.

١٥ ( التأويل مرادف للتفسير فى أشهر معانيه اللغوية، قال صاحب القاموس: "أول الكلام تأويلا وتأولته: دبره وقدره وفسره"، قال الزرقاني فى مناهل العرفان: "... والآيات كثيرة فى القرآن الكريم تشهد لذلك، ومعناه فى جميعها البيان والكشف والإيضاح، أما فى اصطلاحين المفسرين فإنه يختلف معناه... ".

أى إرجاع الآيات القرآنية إلى معانى غير المعانى الظاهرة بمقتضى إشارات تظهر لأهل السلوك.

إذن التفسير هو ما كان راجعا للرواية، والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية<sup>١٦</sup> أى هو "فَهُمْ يُؤْتَاهُ الرَّجُلُ"<sup>١٧</sup>.

**الإلهام:** هو نزول فيض من عالم الغيب إلى القلب والروح<sup>١٨</sup>.  
والإلهام هو أحد المفاهيم الخاصة بالأولياء والذين هم تحت الأنبياء ونبيين ذلك بالشكل التالى:

٤ مفاهيم للأنبياء:	نبي	معجزة	وحى: وسيلة المعرفة"	عصمة
تحتها				
٤ مفاهيم للأولياء:	ولى	كرامة	إلهام	حفظ

وطالما أن للولى إلهاما فهو إذن ليس فكرا ولا فلسفة وإنما هو قلب. ونبين ذلك بإيضاح الفرق بين التصوف والفلسفة والباطنية فيما يلى:  
وقول المعرف **على خلاف**: هذا لا يعنى معنى مضادا ولكنه مغاير للأول بل (يمكن الجمع بينه وبين الظاهر).

**أهل السلوك:** هم الصوفية.

**الظواهر المرادة:** هى المفادات التفسيرية الظاهرة.

١٦ ( اختلفَ فى التفسير والتأويل: فقال البعض هما بمعنى وقال آخرون التفسير أعمُّ من التأويل، وذهب غيرهم إلى أن التفسير لا يحتملُ إلا وجها واحداً والتأويل توجيه لفظ متوجِّه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة، ورأى قوم أن التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية. وقال القشيري التفسير مقصورٌ على الاتِّباع والسمع، والاستنباط يتعلق بالتأويل. وغير ذلك العديد من الآراء جمعها الإمام السيوطي في كتابه الماتع الإِتقان.

١٧ ( ومما يؤيد هذا التعريف ما نقله الزرقاني عن العلامة الألوسى في استعراضه للآراء فى هذا الموضوع ثم قال الزرقاني " فأنت ترى أنه جعل التأويل خاصا بما كان مأخوذا بالإشارة، والتفسير بما كان مفهوما من العبارة" أهـ.

١٨ ( أَلْهَمَهُ اللهُ خيرا: ألقاهُ فى رُوعِهِ ولقَّنه إياه، والإلهام إيقاع شئ فى القلب يطمئنُّ له الصدر، يَخْصَّ اللهُ به بعض أصفياه، والإلهام ما يُلقَى فى القلب من معانٍ وأفكار (معجس).

## الفرق بين التصوف والفلسفة والباطنية:

**التصوف:** إدراك قلبى وجدانى إلهامى، أى أن مصدره الإلهام. وهو ليس فكراً ولذلك لا يصح ربطه بعلم الكلام أو الفلسفة، وإنما هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب.

وللأسف من لم يفهم ذلك أو يستوعبه قام بتقسيم التصوف إلى ثلاثة أقسام: تصوف سنى وتصوف سلفى وتصوف فلسفى، وهذا خطأ فالتراث الصوفى ليس نتاجاً عقلياً كى نضعه مع هذه التقسيمات.

وذلك لأن العقل جزء من النور يصعد من القلب إلى الدماغ ثم يرتبط بالنفس الناطقة ثم يأخذ العقل مجاله فى التفكير فيصح حيناً ويخطئ أحياناً. فالفلسفة نتاج عقلى وبالتالي يمكن أن تشذ.

وكلمة فلسفة مأخوذة من فيلسفيا أى محبة الحكمة، ومصدرها عقلى يصيب ويخطئ. ولكن الإلهام الذى يأتى إلى الولي يأتى إليه سواء كان مثقفاً متعلماً أو أمياً. وهناك الكثير من نتاج الصوفية كان لأमीين صار شيوخ الإسلام تلاميذ لهم كالإمام الخواص وتلميذه الإمام الشعرانى، والإمام عبد العزيز الدباغ وتلميذه الشيخ أحمد مبارك.

وطالما أن للولي إلهاماً فهو ليس فكراً ولا فلسفة.

فالإلهام فيض ينزل من عالم الغيب إلى القلب والروح. فهو مختلف تماماً عن نتاج الفكر والعقل والدماغ.

كما أن الفلسفة بالنسبة لنور الوحي أو الكتاب والسنة أو بالنسبة لإلهام الولي كالمصباح بالنسبة للشمس!!

فبينما الفلسفة محبة الحكمة والفلاسفة هم محبوا الحكمة، نجد أن الصوفية هم الحكماء أنفسهم، فافهم. ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة ٢٦٩)

ولقد سمي الصوفي بذلك لبقية بقيت في قلبه من الخلق بعد تجرده للحق. والتصوف ليس مذهباً بل هو الإسلام وركنه الركين، فهو مقام الإحسان. ومن الخطأ الانزلاق إلى تقسيم التفسير الصوفي إلى تفسير صوفي نظري وتفسير إشاري فيضى. فالتفسير الصوفي واحد فقط أما هذا التقسيم السابق فإنه يؤدي إلى الطعن في أحدهما لأنه باطنى مضاد للظاهر وهو باطل. بينما التفسير الصوفي واحد فقط هو التفسير الإشاري. وهو كما بينا تأويل الآيات القرآنية على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات تظهر لأهل السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظواهر المرادة.

أما التفسير الباطنى الشيعى فهو وليد عقلهم العاكف على نظريات معينة وهو باطل فمصدر المعرفة عندهم أراضى لكن مصدر المعرفة عند الصوفية سماوى أى إلهام وكما يقول الإمام أبو اليزيد البسطامى "أخذتم علومكم من علماء الرسوم ميت عن ميت وأخذنا علومنا عن الحى الذى لا يموت".

فالتفسير الباطنى المرفوض لا يمكن الجمع بينه وبين الظاهرى. ومن أمثلة ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١٣٨) فسرها التفسير الباطنى بأن بيان هذا هو اسم بيان بن سمان أحد زعماء الباطنية وهو رافضى قال بخلق القرآن. فهذا باطل بالقطع قولاً واحداً. ولكن الحق هو أن (هذا) اسم إشارة للقرآن وأنه بيان للناس<sup>١٩</sup>.

ونكتفى بهذا القدر وعلى من يريد المزيد الرجوع لمظان ذلك فى المطولات.

١٩ (ومن المعانى الطيبة فى هذا المضمار ما أورده الزرقانى فى مناهل العرفان بعد أن جاء بآراء العلماء الثقات فى التفسير الإشارى ومدحهم له ومن ذلك قول سعد الدين الفتازانى فى شرحه على عقائد النسفى: "وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان. ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشارى وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يحثون عليه ويقولون لابد منه أولاً إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب... أهـ. ونوصى القارئ الكريم والدارس الحبيب الرجوع إلى ما كتبه الإمام محمد زكى إبراهيم عن نفس الموضوع فى كتابه "أصول الوصول".

#### رابعاً: سبب التسمية:

يرجع ذلك إلى أنها ثمرة للتصوف ومجاهدة النفس فتشرق عليه أنوار وتنزل على قلبه إلهامات يأخذ منها معاني غير المعاني الظاهرة، ولكنها ليست متناقضة له.

#### خامساً: شروط التفسير الصوفى:

لكى يكون التفسير الصوفى مقبولا وضع العلماء ضوابط لقبوله يجب ألا يخرج عنها، وهى:

- ١- عدم منافاته لمقتضى اللغة ولظاهر النظم القرآنى الكريم، أى أن يكون موافق لدلالة اللغة، وهذا يعنى أن يكون على مقتضى لغة العرب التى نزل بها دون معارضة.
- ٢- أن يكون له شاهد شرعى يؤيده من الكتاب والسنة أو سائر الأصول المعتمدة.
- ٣- ألا يكون له معارض شرعى قطعى، أى يكون سالما من معارضة العقل والنقل.
- ٤- يمكن الجمع بينه وبين التفسير الظاهرى المعتمد (أى الظواهر المرادة). فلا يدعى أن هذا التفسير الإشارى هو وحده المراد دون الظاهر، بل لابد من إقرار التفسير العبارى الظاهر أولا ثم الأخذ بالمعنى الإشارى.<sup>٢٠</sup>

#### سادساً: عدد التفاسير ومصادرها الثقات:

وعدد تفاسير رأى المحمود المدونة تتجاوز المائة، وغير المدون منها يتعدى الآلاف، لأن التراث الإسلامى هو أغلى وأغنى تراث. وكل تفسير من هذه التفاسير له فى الغالب حواشى وشروحات وتقارير ورسائل علمية فى الدراسات العليا تتم عليه. ومن الكتب التى ننصح بقراءتها:

التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى.

البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة. وخاصة مقدمته بقلم الدكتور جوده المهدي.

تفاسير يغلب عليها الطابع الإشارى مثل تفاسير الأئمة التستري والسلمى والقشيرى.

طبقات المفسرين: السيوطى

(٢٠) وزاد صاحب مناهل العرفان شرطاً خامساً هو: ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيلاً كتفسير بعضهم قوله تعالى "وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" (العنكبوت ٦٩) بجعل كلمة "لَمَعَ" ماضياً وكلمة "الْمُحْسِنِينَ" مفعولاً.

التفسير ورجاله للفضل بن عاشور.  
الوفا في التعريف بأحوال المصطفى لابن الجوزي.  
فتح الباري النسخة الأصلية طبعة الحلبي - الطبعة البهية (محمد عبد الرحمن).  
فقه السيرة للبوطي.  
الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي (لكن مستواه عالي جدا ويحتاج إلى تحقيق).

### \* من الكتب الهامة في معرفة الصوفية والمطلوب قراءتها وتسلسل صعوبتها

#### كالتالي:

الطريق إلى الله لأبي سعيد الخراز - ما كتبه د. محمد مصطفى حلمي عن ابن الفارض  
والحياة الروحية في الإسلام - اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر للإمام الشعراني -  
الكبرىيت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر للإمام الشعراني - الإنسان الكامل للإمام  
عبد الكريم الجيلي رضى الله تعالى عنهم أجمعين<sup>٢١</sup>.

---

٢١ ( ومن الكتب السهلة والسلسلة في التصوف والتي ينصح أنمتنا بقراءتها كتب الإمام الراحل محمد زكي إبراهيم. راند العشرة المحمدية رحمه الله تعالى، وخاصة كتاب أصول الوصول وكتاب المرجع وكتاب الحمديات وكتاب البيت الحمدي، وهي منوفرة بمقر العشرة المحمدية بالدراسة بقايتباى بالقاهرة.

## من المؤلفات الموثقة في التفسير الصوفي الإنشائي

م	اسم التفسير	المؤلف	ملاحظات
١	البحر المديد	الإمام أحمد ابن عجيبة الشريف الحسنى المغربى (ت ١٢٢٤هـ) (هـ)	ظل هذا التفسير مخطوطا حتى ١٥ سنة فقط، وهو تفسير متميز لأنه يبدأ بالعبارة أولا أى بالتفسير الظاهرى ثم يدخل على الإشارة (الفيض) أى التفسير الصوفى الإنشائي وقد تناول كل القرآن على ترتيب المصحف. أفضل طبعة للدكتور حسن عباس زكى. وله مقدمة بقلم د. جوده. وحققه الشيخ أحمد القرشى
٢	روح المعاني فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني	الإمام الأئوسى: شهاب الدين محمود الأئوسى	وهو من أفضل التفاسير للمتأخرين. كان فى القرن الثالث عشر الهجرى تناول كل القرآن.
٣	المواقف	الأمير عبد القادر الجزائرى	من أعلى الأنواق الصوفية ويتناول التفسير والحديث فهو ليس تفسيراً خالصاً. طبعة دار الكتب العلمية.
٤	لطائف الإشارات	الإمام القشبرى	لم يتناول القرآن كله باستقصاء الآيات.
٥	تفسير القرآن العظيم	سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٠٠هـ)	طبعة الحلبي. لم يتعرض لكل الآيات ولكنه من أعلى المراتب. حصل أحد الباحثين من جامعة المنصورة على رسالة دكتوراه فيه فى الثمانينات.
٦	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	الإمام النيسابورى	
٧	نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور	العلامة برهان الدين البقاعى	وهو أفضل تفسير فى بيان المناسبات وبه نقول صوفية رفيعة عن أبى الحسن الحرالى الصوفى المغربى.

## من المؤلفات الثقات فى التفسير الصوفى (تابع)

٨	روح البيان	الشيخ إسماعيل حقى الإسلامبولى الحنفى (ت) (١١٣٧هـ)	تفسير كامل يجمع بين العبارة والإشارة
٩	المظهرى	ثناء الله العثمانى	المظهرى نسبة إلى شيخه حبيب الله مظهر فالشيخ ثناء الله نسب التفسير لشيخه. يجمع بين الإشارة والعبارة.
١٠	حقائق التفسير	أبى عبد الرحمن السلمى (ت) (٤١٢هـ)	وهو تفسير للمنتهين والمتمكنين.
١١	إعجاز البيان فى تأويل أم القرآن	الإمام صدر الدين القونوى	وهو ربيب سيدى محبى الدين بن عربى لأن سيدى محبى الدين تزوج أمه فعاش صدر الدين فى كنفه، ونهل من فيوضات معارفه.
١٢	التأويلات النجمية	العارف نجم الدين داية (اسمه داية لأنه يولد العلوم)	وهو ما زال مخطوطا يحققه الشيخ د. أحمد القرشى حالياً.
١٣		تفسير الشيخ الأكبر محبى الدين بن عربى	لم يتعرض لكل الآيات، وهو فى مجلدين كبيرين. هذا التفسير حوله كلام كثير لأن البعض ينسب ما فيه إلى القاشانى. ولكن للدكتور جوده رأى أنه فيه نفس الشيخ الأكبر ودليل ذلك وجود بعض العبارات فيه التى ذكرها الألوسى بنصها وذكر أنها للشيخ الأكبر، والألوسى من كبار العلماء.



### ملاحظات هامة:

التفسير الصوفي لا يُطرح في غير أرضه<sup>٢٢</sup>، ولا يُبث لغير أهله لأنه يتناول مفاهيم خاصة في المعرفة لا يتحملها الكل. فليس كل إنسان مؤهلاً لقراءة التفسير الصوفي (الإشاري/الفيضي) وذلك لسببين:

١. إما لأنه تغيرت فطرته ولم تعد صالحة لاستقبال أنوار الصوفية.

٢. أو لأن عقله لم يبلغ إلى حد النضج ليفهم كلام الكاتب فلا يفهم عباراته<sup>٢٣</sup>.

فالتفسير الصوفي له خصوصية في المصدر كما أنه خاص الدلالة وخاص المورد الدلالي<sup>٢٤</sup>.

وهنا لا بد لنا من الوقوف على مصدر التفسير الصوفي وكذلك على كلمة الدلالة.

( ٢٢ ) وهذا الرأي يؤيده ما ذهب إليه الزرقاني في مناهل العرفان مستنداً إلى كلام الغزالي بأن " ... الشروط الموضوعية لهذا التفسير الإشاري هي شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب وليست شروطاً لوجوب اتباعه والأخذ به ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن ثم إن له شاهداً يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يُرفض ، وإنما لم يجب الأخذ به لأن السننم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها ... "أهـ. ولا يخفى على القارئ الكريم والباحث والمفكر أن فهم هذه الإلهامات الروحية لا يتسنى لكل أحد. ومن هنا أستاذان القارئ الكريم أن أضع أمامه نصاً آخر للزرقاني يبين خطورة الموقف استلهم منه أهمية هذا الاتجاه مما يجعلني أزعم أن الزرقاني يريد التوجيه بإشارة خفية في موضع آخر إلى عدم إهمال التفسير الإشاري حيث قال في معرض حديثه عن فضل التفسير والحاجة إليه: "... السر في نجاح سلفنا الصالح بهذا القرآن نجاحاً مدهشاً أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته ... وعلى هذا كان همهم الأول هو القرآن الكريم يحفظونه ويفهمونه قبل أن يحفظوه ثم يعملون بتعاليمه بدقة ويهتدون بهداه في يقظة. بهذا وحده صفت أرواحهم وطهرت نفوسهم وعظمت آثارهم لأن الروح الإنسان هو أقوى شئ في هذا الوجود فمضى صفاً وقُدْب وحسن توجيهه وتأدب أتى بالعجب العجائب "والله عنده حسن الثواب" ... فما أشبه مُسَلِّمةَ السَّيْمِ بالعطشان يموت من الظمأ والماء بين يديه، والحيوان يهلك من الإعياء والنور من حوله يهديه السبيل... "أهـ. وأقول أليس يُشتم من ذلك رائحة تعريف الصوفية والتصوف وأهمية التفسير الإشاري.

( ٢٣ ) وقال الإمام محيى الدين بن عربي: "كنا محرمين على غيرنا".

( ٢٤ ) من كلمات د: جوده: من لم يعرف آياته وأجاده في الطريق فهو لقيط - كل ما للشرع عليه اعتراض فالصوفية منه براء - العهد تأكيد لمبادئ الإسلام مع زيادة الالتزام - إلهي أنت مقصودى ورضاك مطلوبى - الفلسفة بالنسبة لنور الوحى (كتاب وسنة) أو الإلهام للولى كالمصباح بالنسبة للشمس. وقال الإمام الشافعي "جميع ما تقوله الأمة - أمة العلم وليس عامة الناس - شرحٌ للسنة، وجميع السنة شرحٌ للقرآن، وجميع القرآن شرحٌ لأسماء الله الحسنى، وجميع الأسماء الحسنى شرحٌ لاسم الله الأعظم". فكل كلمة علم صادقة لها أصل في السنة.

### مبحث خاص عن مصدر التفسير الصوفى:

الصوفى يقول حدثنى قلبى عن ربى، والفيلسوف يقول حدثنى عقلى، وشتان بين الاثنين. فالمصدر الرئيس للتفسير الإشارى (الصوفى) هو العلم الوهبى. وما ارتباط العلم الوهبى بالنص القرآنى الكريم؟ بمعنى آخر: ما وجه كون الإشارات الفيضانية الصوفية تفسيرا للقرآن وهى تأتى من الحضرة الإلهية؟ نقول إنه لطف من الله تعالى بنا وبأوليائه أوجد الله تعالى صلة بين هذه الإشارات وبين النص القرآنى. وهناك مصادر تأليفية طيبة فى هذا الخصوص لابن تيمية وهى معتدلة وكلامها طيب فى حق الصوفية، ومنها:

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

الصوفية والفقراء

السلوك (من مجموع الفتاوى والرسائل).

### مبحث خاص: أنواع الدلالات:

كلمة دلالة تدل على معنى. ومثال ذلك (محمد ناجح) فهو يدل على أن النجاح مثبت لمحمد أى أنها دلت على نجاح محمد، فالدلالة ما يصدر عن اللفظ من المعنى أو المعانى.

ولقد قسم علماء الأصول الدلالات إلى أنواع كثيرة والمقصود هو دلالة الألفاظ على معانيها ويرجع إليها فى علم الأصول. أصول الفقه، ولكننا نبين بعض الملامح هنا لنقف على وجه استنباط المعنى من اللفظ بدلالة إشارية وإثبات أن الدلالة الإشارية هى من المصادر المعتمدة:

ينقسم المنطوق<sup>٢٥</sup> فى علوم أصول الفقه إلى نص وظاهر، وكذلك إلى صريح وغير صريح.

(٢٥) فى مباحث أصول الفقه وعلم الكلام يعرف المنطوق لغة بأنه المُلْفُوظ به أى المتكلم به. واصطلاحاً بأنه "ما دلّ عليه اللفظ فى محل النطق، أى يكون حكماً للمذكور وحالاً من أحواله". أى هو دلالة اللفظ على معنى

والنص هو ما دل على معنى ولا يحتمل غيره أى لا يحتمل التأويل، ومثاله ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ (النساء ١٢)، فلفظ النصف يدل على معنى واحد ولا يحتمل غيره. ويدل عليه دلالة قطعية.

والظاهر هو ما دل على معنى واحتمل غيره احتمالا مرجوحا، أى هو ما يحتمل التأويل. ومثاله "رأيت اليوم الأسد"، فلفظ الأسد مفيد للحيوان المفترس محتمل للرجل الشجاع وهو معنى مرجوح لأنه معنى مجازى والأول حقيقى للأسد لأنه هو المتبادر للذهن بدون سببية الاشتهار فالتبادر أمانة الحقيقة.

والمنطوق الصريح: هو ما وُضِعَ اللفظ له فيدل عليه بالمطابقة أو التضمن. ومثاله ومثاله ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾ (النساء ١٢)، فإنه يدل على حرمة التأفيف صراحة وحرمة السب والشتم تضمنا. ومن هنا فدلالة المنطوق الصريح تشمل نوعين من الدلالة وهما: الدلالة المطابقة، والدلالة التضمنية.

والمنطوق غير الصريح: هو ما لم يُوضَعَ اللفظ له بل يلزم مما وُضِعَ له فيدل عليه بالإلزام، أى هو دلالة اللفظ على معنى لازم للمعنى الموضوع له. وأنواعه ثلاثة: الاقتضاء والإيحاء والإشارة.

ونلخص ذلك ببعض من الأمثلة البسيطة جدا للتوضيح حتى نخلص إلى ما نريده:

١- دلالة تصريحية: ومثالها قولنا "انتصر الإسلام" فهل تحمل معنى صريحا دلالاته انتصار الإسلام، فهي عبارة أفادت انتصار الإسلام صراحة.

٢- دلالة تضمنية: نفس المثال السابق يمكن أن يؤخذ منه صدق المسلمين لأنهم لما صدقوا نصرهم الله، أى هى جملة تضمنية تضمنت صدق المسلمين وفهمت من العبارة. أى أن عبارة "انتصر الإسلام" تضمنت مدلول صدق المسلمين فى إسلامهم.

٣- دلالة اقتضائية: أى شئ اقتضى شيئا ففى المثال السابق هذا الانتصار اقتضى أنه كانت هناك معارك بين المسلمين وبين الكفار كانت نهايتها انتصار المسلمين.

٤- دلالة لزومية: يلزم منها المعنى.

٥- دلالة إشارية: وهى الخاصة بالتفسير الإشارى، ومنشأها ليس فى علوم اللغة وأصول اللغة ولكن فى علوم أصول الفقه. فعلم أصول الفقه فائدته الوصول إلى القوانين والقواعد التى يستنبط بها الحكم من الأدلة الكلية التى هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ومثال

فى محل النطق. ومن هنا تكون دلالة المنطوق لفظية. والنطق هو التلفظ مطابقة أو تضمنا أى يخرج به ما يفهم فى محل السكوت. "انظر مختصر ابن الحاجب وإرشاد الفحول للشوكاني".

ذلك من القرآن آية وعلى المولود له رزقهن ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلًا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلُهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا أُولَادُكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مِمَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة ٢٣٣)، ففي هذه الآية:

على المولود له = الأب      رزقهن = أى الممرضات      كسوتهن = كذلك

والوالدات يرضعن، إذن حكم وجوب الإنفاق من الوالد على الأم المرضعة فمن حق الأم ألا ترضع إلا بأجر. لكن ربك وهو أرحم الراحمين وضع في قلب الأم الرحمة بحيث أنها لا تفكر في هذا مطلقاً بل تفكر في فلذة كبدها فوضع فيها رحمة أضعاف ما عند الأب لترضع لبنها وليدها. أى أن الكلام في هذه الآية سيق بإيجاب نفقتهم على الوالد.

وهنا يمكن أن ننظر بدلالة إشارية أصولية وهى نسبة المولود لأبيه (وعلى المولود له)، أى أن النسب إلى الآباء لأنه نسب إليه بلام التملك، وهى توجب الاختصاص فدل على كونه أحق بالولد، وبالإجماع لا يصير أحق به من حيث الملك لأن الولد لا يصير ملكاً لأبيه فدل على أنه صار أحق به نسباً فهو لا يملك ابنه إلا نسباً. وهو ما يتفق مع سياق آية الأحزاب ﴿ اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (الأحزاب ٥)، والله أعلم.

أما في التفسير فبناء على أقسام الدلالات السابقة فالتفسير الإشارى هو من قبيل القسم الأخير أى من قبيل دلالة الإشارة، والإشارة مقابل العبارة.

والدلالة إشارية بالعبارة أى أشار بالعبارة فالعبارة مجموعة ألفاظ.

ففى التفسير الصوفى سوف نأخذ دلالة حرفية أى أن الحرف يدل (قبل أن أصل إلى الكلمة ثم الجملة والعبارة)، كما سوف نتعرض للدلالة العددية وفقاً لما هو معروف بمصطلح "حساب الجُمَّل" ٢٦.

٢٦) وهو حساب يعطى كل حرف من الحروف الأبجدية وزن عددى معين أى ما يقابل كل حرف عدد معين وله جاول خاصة معروفة ومشهورة مبنية على الترتيب الهجائى الأصلى (أب ج د هـ و ز ... )، ومن العلماء من يعمل به ولكن مع التحذير لضرورة أخذ الأذن بذلك من المشايخ. وسوف يأتى تفصيل الكلام عليه فى حينه وآراء العلماء فيه.

## الخلاصة في نقاط على الحروف:

- التفسير الإشاري الصوفي يبدأ حيث ينتهي التفسير الظاهري.
- شرط قبول التفسير الظاهري أن يكون متوافقا مع الظاهري غير متعارض مع التفسير الظاهري المعتمد.
- من الحقائق العلمية أن التفسير الإشاري له جذوره في أقوال الصحابة والتابعين وهناك مآثورات عن أئمة آل البيت وعن بعض الصحابة تتعلق بالتفسير الصوفي الإشاري. وأيضا فإن المفسرين بالظاهر الذين تُدرّس تفاسيرهم في الجامعات الإسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف كتفسير البيضاوي وحاشية الشهاب الحفاجي عليه، وتفسير الرازي والتسفي والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن تتضمن صراحة في نصوصها وجوهاً من التفسير الصوفي الإشاري<sup>٢٧</sup>. حتى الإمام البقاعي الذي اهتموه بأنه يعادى الصوفية له معالم صوفية رائعة في تفاسيره ولم يكن منكرا للتصوف على الإطلاق بل دسوا عليه ولم يفهموا كلامه ولم يدرسوه جيدا فله نظم نستنتج من ذلك كله أن التفسير الصوفي الإشاري ليس بدعة وليس دسيسة وليس مختلفا ولا دخيلا على علم التفسير. إذن لا يوجد تفسير كبير معتمد إلا ونستطيع استخراج التفسير الصوفي منه. وأساطين المفسرين لهم مستويات في التفسير مطولات ووسيط ووجيز مثل الإمام الواحدي الذي فسر القرآن ثمانى مرات كل منها يختلف عن الآخر.
- هناك اتجاه علمي الآن في دراسة (الاتجاه الصوفي عند أئمة المفسرين) ولقد نُشرت لى بحمد الله تعالى فيه بعض الأبحاث منذ سنة ١٩٨٧م في الحوليات العلمية لجامعة الأزهر الشريف<sup>٢٨</sup>، في كلية أصول الدين والدعوة بطنطا.
- مرة أخرى التفسير الإشاري هو إشارات نورانية قلبية من عند المولى عز وجل وهو ليس فكرا عقليا وليس تفسيراً فلسفياً. فمثلا قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٢): نلاحظ وجود حرف العطف (و) حتى لا تكون الجملة جوابا للأمر فلا ننتظر أن ننتهى من التقوى حتى نعلمك، ولكن بمجرد شروئك في التقوى وبدايتك

٢٧) انظر أدلة ذلك مع التحليل الوافي في حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا: العدد الثالث سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، صص ٧-٥٧.

٢٨) راجع في ذلك مؤلفات أ.د. جودة أبو اليزيد مهدي بحوليات جامعة الأزهر الشريف، ومنها المرجع سالف الذكر.



الأدب مع الله. فمن الأدب مع الله ألا تشغل عنه.. ألا تغفل عن ذكره.. أن تؤثره بالحب على كل من سواه وما سواه، فبدلاً من أن تعشق التراب اعشق رب الأرباب، وهذا هو الصدق مع الله. فالتفسير الإشاري محدد المصدر بالإلهام الرباني الذي هو ثمرة الصدق<sup>٢٩</sup> في العمل بالكتاب والسنة.

### مرة أخرى التفسير الإشاري والتفسير الظاهري:

التفسير الإشاري هو تفسير مرتبط بوثيقة العلاقة بالتفسير العباري الظاهري، أي أنه لا بد أن يكون نصب أعيننا التفسير الظاهري ثم التفسير الإشاري. أي أن التفسير الإشاري يكون في المرتبة الثانية المواكبة للتفسير الظاهري العباري. لأن الإشاري قد يندرج في دلالة الظاهر لكنه يحتاج لاستنباط، وقد يستقل بدلالة مستقلة تماماً عن التفسير الظاهري<sup>٣٠</sup>.

وفى منهجنا للتفسير الإشاري لا بد أولاً أن نلقى الضوء على التفسير العباري فالتفسير هو عبارة أو إشارة. وحتى ساداتنا من أئمة الصوفية كابن عجيبة في البحر المديد يأتي أولاً بالتفسير الظاهر بالعبارة حتى تكون هناك الأرضية وحتى يظهر العطاء الفيضي الإشاري بعد المقادير الظاهري العباري.

٢٩ ( والإمام أبي سعيد الخراز له كتاب في الصدق نوصي بقراءته.

٣٠ ( انتبه أيها القارئ الكريم والدارس الحبيب فالدكتور جودة هنا يقرر قاعدة علمية هامة لا بد من العز عليها بالنواجد، وهي ما عبر عنه آخرون في نقد ما يقوله البعض (هذا الحديث فيه كلام ولكنه صحيح عند أهل الكشف)، فهذه دعوى عريضة ليس لها مستند، ولا نستطيع ضبطها. فلا بد من دليل واضح لأن كل واحد من الممكن أن يدعي أنه من أهل الكشف، فافهم.

## الفصل الثانى

### تفسير البسملة



## تفسير البسملة

من الطبيعي قبل أن يبدأ الكلام في أى تفسير أن يتم التعرض أولاً إلى البسملة، وفي هذا المقام سوف نتعرض باختصار شديد لتفسير البسملة من الناحية الظاهرية، وكذلك نخرج على بعض اللقطات السريعة من التفسير الإشارى حولها كاستفتاح هام قبل الشروع فى تفسير سورة يس نفسها<sup>٣١</sup>:

لمحات من التفسير الظاهر للبسملة<sup>٣٢</sup>:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم<sup>٣٣</sup> : جار ومجرور متعلق بمقدّر من جنس ما جعلت البسملة مقدمة له<sup>٣٤</sup>.

مثلاً: بسم الله أفعل - بسم الله أكتب - بسم الله أقرأ - بسم الله أجاهد -  
أولف مستعينا باسم الله....

قال الطبرى : نجعل المتعلق عاما ونقول " بسم الله أبدأ ".

( ٣١ ) ونظرا لأن هذه المحاضرات التى ألفها فضيلة أ.د. جودة كانت هى الأولى من نوعها أكاديميا على مستوى العالم لم يرد فضيلته الدخول بعمق أكثر من ذلك لأنها أول تجربة من نوعها والدارسون فى حاجة إلى التأسيس الجيد قبل الانطلاق، فكان لابد من البدايات المبسطة المجرّدة تمهيدا للتعقيد عند الدخول فى شرح سورة "يس". فاكفى فضيلته بهذه الكلمات وإلا لو لم يكن هناك قيد الوقت وأولية التجربة لفاض واستفاض وملأ المجلدات بعون الله تعالى. ولكن لما كان الأمر قد استقر قبل كتابة هذه المذكرات فإننا نحاول فى الهوامش التحتية إيراد مجموعة من التفاصيل التى تم الدارسين وذلك بإذن من فضيلته وبمراجعته وإشرافه.

( ٣٢ ) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة حتى يزل عليه "بسم الله الرحمن الرحيم" (د/ك) وهو صحيح. قال ابن كثير: "وقد افتتح بها الصحابة كتاب الله، ولهذا تستحب فى أول كل عمل مثل أول الوضوء وعند الذبيحة وعند الأكل وقبل الجماع، وغير ذلك وأورد ابن كثير الأحاديث الدالة على ذلك.

( ٣٣ ) فى الكتابة الإملائية فى المصحف الشريف حُدِّثَت الألف فى "بسم" لكثرة الاستعمال.

( ٣٤ ) قال ابن كثير: "منهم من قدر المتعلق باسم تقديره: باسم الله ابتدائى " بسم الله مَجْرَأَهَا وَمُرْسَاهَا " (هود ٤١)، ومنهم من قدره بفعل تقديره: أبدأ باسم الله، أو ابتدأت باسم الله " أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " (العلق ١)، وكلاهما صحيح، وقال الرازى "الباء متعلقة بمضمّر وهذا المضمّر يحتمل أن يكون اسما وأن يكون فعلا. فإذا كانت للإلصاق فهى متعلقة بفعل، والتقدير: باسم الله أشرع فى أداء الطاعات. ومن هنا كان قوله (بسم الله) لا يصير معلوما إلا بعد الوقوف على جميع العقائد الحقّة والأعمال الصافية، فهى إشارة إلى ما ينبغى من الاعتقادات والعمليات. والحالات المختلفة الممكنة لهذا التقدير هى: متقدما وفعلا (أبدأ اسم الله) - متقدما واسما (أبتداء الكلام باسم الله) - متأخرا وفعلا (بسم الله أبدأ) - متأخرا واسما (باسم الله ابتدائى) - أهـ.

**الاسم** : من الْوَسْمِ وهو العلامة وهو السَّمة لأن الاسم علامة على مسماه<sup>٣٥</sup>.  
أو هو من السُّمُو وهو العلو والارتفاع لأن الاسم يرتفع بتسميته من حيث المجهولية إلى حيث المعلومية.

**الله** : لفظ الجلالة، وهو أشهر الألفاظ. واختلفوا في اشتقاقه كالآتي:

• علم جامد غير مشتق ، أطلق على الذات العلية<sup>٣٦</sup>.

• لفظ مشتق من:

○ التَّأَلُّه : وهو التعبد، أَلِهَ يَأْلَهُ إلهةً وألوهةً وألوهيةً، كعبد

يعبد عبادة وعبودة وعبودية. وزنا ومعنى، وقيل

○ ألَهتُ : أى نزعت أو سكنت إليه، من أَلِهَ الفصيل إلى أمه، أى

أننا نفرز إلى الله تعالى، لأن العقول لا تسكن إلا إلى ذكره، وقيل

○ مشتق من الوله : أو مأخوذ من أَلِهَ، إذا تحير لأن القلوب

متولهاة فى حب ذات الله تعالى، أو لأنه تعالى يتحير الفكر فى

حقائق صفاته، أو لتحير العقول فى شأنه، لأن العقول تتحير فى

إدراك كنه الله تعالى، وقيل

○ لاه يليه لاهة : بمعنى احتجب وارتفع لأن الله تعالى مرتفع عن

إدراك الأبصار ومحتجب عن إدراكية العقول والأبصار.

وعليه قراءة قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ لَآءٌ ﴾ (الزخرف ٨٤).

٣٥ ( الاسم مشتق من السُّمُو عند البصريين فلامه محذوفة، وعند الكوفيين من السَّمة أى العلامة ففأوه محذوفة. ودليل البصريين التصغير والتكسير فقالوا أسماء ولم يقولوا أَوْسَامَ، وقالوا سَمَى ولم يقولوا وَسَمَ. وكتب علم الكلام فيها تفاصيل مطولة وهامة فى بحث هل الاسم عين الذات أو غير الذات وكذلك مبحث الاستعانة (أولف مستعينا بسم الله الرحمن الرحيم)، فلترجع هناك، ولعل من أطيبها قول الشيخ الأمير (ت ١٣٥٠هـ) فى حاشيته على جوهرة التوحيد "فالأولى المصاحبة التبركية".

٣٦ ( قال ابن كثير : "وقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات فأجرى عليه الأسماء الباقية كلها صفات. وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يُعرف له فى كلام العرب اشتقاق فهو اسم جامد وقد نقله القرطبي عن الشافعي والغزالي وإمام الحرمين. وقد اختار الرازى أنه اسم غير مشتق البيت وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء" أهـ. وقال الرازى فى تفسيره: "الاسم الأعظم هو قولنا (الله) لأنه يجرى مجرى اسم العلم فى حقه سبحانه، وإذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة" أهـ، كما بين الإمام الرازى فى تفسيره تفاصيل الاختلاف فيه وأن هناك من قال بأنها ليست عربية بل عبرية ومن قال بأنها اسم علم ومن قال إنها من الأسماء المشتقة وذكروا فى اشتقاقها وجوها عشرة.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: " الله علم جامد غير مشتق " علم على الذات محجوب عن العقول كنهه مختص بالذات.

والحجة العقدية لذلك : أنه لو كان لفظ الجلالة مشتقا "مثل الكاتب من الكتابة والشاعر من الشعر وهكذا" لكان مفهومه مفهوما كلياً، لأن اللفظ المشتق مفهومه كلي يُطلق على كثيرين، فكاتب يطلق على طه حسين والعقاد وغيرهم فيشترك فيه أفراد عديدة.

والعلم لا يطلق إلا على واحد.

فلو كان لفظ الجلالة مشتقا لكان مفهومه مفهوما كلياً لا يمنع إطلاقه من وقوع الشركة فيه، ولو كان كذلك ما كان قولنا (لا إله إلا الله) توحيداً.

وقال آخرون: هو (إله) وحذفت الهمزة وعوّض عنها بـ أل، ثم وقع الإدغام وفُخِمت للتعظيم، فصارت (الله).

وهذا ممتنع عند الفريق الآخر لعدم إمكانية دخول حرف النداء (يا) على المحلى بـأل، فلا تستطيع أن تقول (يا الرجل) لكن تقول (يا رجل).

إذن الله علم على الذات الواجب الوجود<sup>٣٧</sup> المعبود بحق.. المستحق لجميع المحامد.. علم جامد غير مشتق.

(٣٧) فهو سبحانه وتعالى واجب الوجود. وفي علم الكلام أقسام حكم العقل ثلاثة بينها الشيخ الدردير (ت ١٢٠١هـ) في منظومته في خريده البهية في علم التوحيد قائلاً:

أقسام حكم العقل لا مخالفة  
هي الوجوب ثم الاستحالة  
فأفهم منحت لذة الإفهام

أقسام حكم العقل لا مخالفة  
ثم الجواز ثالث الأقسام

الرحمن الرحيم<sup>٣٨</sup> : صفتان مشبهتان مأخوذتان من ( رَحِمَ )<sup>٣٩</sup> مكسور العين نُقِلَ إلى ( رَحَّمَ ) مضموم العين للدلالة على اللزوم لأنه صفة مشبهة، أى لازمة للصفة الإلهية لا تنفك عنها<sup>٤٠</sup>.

أما عن الإعراب فلقد أجمعوا على أن إعراب (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) هو الجر لكونهما صفتين للمجرور الأول. إلا أن الرفع والنصب جائزان فيهما بحسب النحو، أما الرفع فعلى تقدير (بسم الله هو الرحمن الرحيم)، وأما النصب فعلى تقدير (بسم الله أعنى الرحمن الرحيم)<sup>٤١</sup>.

هذا: والرحمة<sup>٤٢</sup> فى حقنا رقة وانعطاف فى القلب (صفة فى القلب) تقتضيان التفضل والإحسان.

الرقة انفعال فقط ولكن لابد وأن يعقبها أفعال. إذن بدؤها انفعالات تعقبها أفعال.

والرحمة فى حقه تعالى: تفضل وإنعام وإحسان إلى الغير لأنه لا انفعال لله. ونحن لا نعرف حقيقتها ولكن ندرك أثرها فى الكون وهو الإحسان.

( ٣٨ ) الرحمن الرحيم اسمان بُنِيا للمبالغة من رَحِمَ، كالغضيان من غضب، والعليم من علم. قال القرطبي: "وإنكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وما وجل له" أهـ.

( ٣٩ ) وقال البعض فى الموازنة بين مدلوليَّ الرحمن والرحيم: زيادة المبنى تدل على زيادة فى المعنى: فيكون الرحمن أبلغ من الرحيم: رحمن أعم وأشمل من رحيم - رحمن للمؤمن والكافر - رحيم للمؤمن فقط - رحمن تناسب الدنيا ورحيم تناسب الآخرة - والدنيا مقدمة على الآخرة تقدم ترتيب وترقى من الأدنى إلى الأعلى وليس أفضلية، فكان من المناسب تقديم الرحمن على الرحيم. فيقال: يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يختص بالمؤمن، أو يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فجيلة وحقيرة (ابن جرير، وذكر أدلة ذلك).

( ٤٠ ) وقيل إن الرحمن هو المنعم بجلال النعم مثل نعمة الإسلام والإيمان والإحسان، والرحيم بدقائق النعم مثل الصحة والعافية والمال والحلال. وقيل الرحمن بنعمة إيجاد الأشياء وإبرازها والرحيم بنعمة الإمداد مما يقتضى تربيتها وإمدادها (البحر المديد). وقال القرطبي: "الرحمن ترهيب، والرحيم ترغيب".

( ٤١ ) راجع تفسير الإمام الرازى ص ٩٣.

( ٤٢ ) الرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والإحسان، ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها.

## عروجا إلى التفسير الإشاري للبسملة :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وفيما يلي نبين بعون الله تعالى وفضله بعضا من الومضات الإشارية حول البسملة<sup>٤٣</sup> :

بسم<sup>٤٤</sup> : ونختار بعضا من أقوال أهل التفسير الإشاري ونبينها:

قال الإمام سهل التستري:

ب :	الباء بهاء الله	فأقسم الله تعالى ببهائه وثنائه ومجده أنه هو الله الرحمن الرحيم
س :	والسين ثناء الله	
م :	والميم مجد الله	

قال الإمام محي الدين بن عربي في الباء:

ب :	الباء فيها خلاصة الوجود كله.
	فإن الله تعالى يقول بـ أى بي يكون ما كان، وبـي كان ما يكون، وهل الوجود إلا ما كان وما يكون، مع الوضع في الاعتبار أن دلالة المضارع (يكون) للحاضر والمستقبل

من أقوال الإمام الشبلي في الباء:

وسأل أحدهم الإمام الشبلي (وهو من تلاميذ الإمام الجنيد سيد الطائفة): من أنت

فقال له: أنا النقطة التي تحت الباء.

وتفصيل ذلك كما يلي: الباء من غير نقطة ليست متعينة فمن الممكن أن تكون ب

/ ت / ث / يـ

٤٣ ( قال الإمام الغزالي: " إذا قلت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فافهم أن الأمور كلها بالله وأن المراد هاهنا المُسَمَّى، وإذا كانت الأمور كلها بالله فلا جرم أن الحمد كله لله " أهـ.

٤٤ ( مرة أخرى: في الكتابة الإملائية في المصحف الشريف حُدِّثَتِ الألف في "بِسْمِ" لكثرة الاستعمال.

ولكن لما كان الإمام الشبلى وقتها فى حال الاستغراق فى الحقيقة المحمدية ومندرج فيها وقتها ويعرف أنَّ المُعَيَّن للباء هو هذه النقطة، فالباء دون نقطة غير متعينة لتحير العقول فيها وبمعزل عن المعرفة، والنقطة هى التى تحدده. والتعين الأول للوجود بعد حضرة الوجوب الإلهية هو سيدنا رسول الله ﷺ فكَذلك عرف الخلق ربَّهم بسيدنا محمد ﷺ، ويؤيده الحديث القدسى ﴿كنت كترًا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فى عرفونى﴾ (انظر كشف الخفا للعجلون ١٩١/٢)، أى فى محمد عرفونى.

وقال آخرون فى (بسم):

بـ:	الباء هى الوجود
اسم :	الذات قديمة واجبة الوجود
أ	الألف برزخ بين حضرة الإمكان وحضرة الوجود

### تطبيق (أدب سلوكى):

س: لماذا كُسِرَت الباء فى البسملة<sup>٤٥</sup>:  
ج: الباء حرف جر والحروف (المفردة) فى اللغة شأنها غالبا أن تُفَتَّح مثل ( و ف .... إلخ)

ولكن الباء مكسورة فنأخذ من كسرة باء البسملة منها صوفيا أنه:  
لا يُتَوَصَّلُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِكُسْرِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسَّوِّ حَتَّى يَحْيِيَ الْقَلْبَ.  
فياليت لى خفصة من كسرة باء البسملة لأنها لو وُزَّعَتْ عَلَى الْعَالَمِ لَكُسِرَتْ أَنْفُسُهُمُ الْأَمَارَةُ بِالسَّوِّ، وَإِذَا كُسِرَتْ النَّفْسُ حَيَّى الْقَلْبُ<sup>٤٦</sup>.

٤٥ وقال الرازى: "فيما يتعلق بالخط: قال أهل الإشارة والباء حرف منخفض فى الصورة فلما اتصل بكتابة لفظ الله ارتفعت واستعلت، فنرجو أن القلب لما اتصل بخدمة الله عز وجل أن يرتفع حاله ويعلو شأنه" أـ.

٤٦ ( وفى ذلك يقول العارفون: "حَكَمَ الْقُدُّوسُ أَلَّا يَدْخُلَ إِلَى حَضْرَتِهِ أَصْحَابُ النَّفُوسِ".

الله: فوق إدراكات العقول<sup>٧</sup> حتى قال جمع من الأكابر إنه الاسم الأعظم<sup>٨</sup>.  
 علم على الذات الأقدس<sup>٩</sup>، وهناك مباحث خاصة بعين الذات وغير الذات  
 و.... إلخ تدرس في علوم العقيدة والكلام ليس مجالها الآن<sup>١٠</sup>.

الرحمن الرحيم<sup>١١</sup>: وهناك سؤالاً:

س: لماذا تكررت مرتين الأولى في البسملة والثانية في صدر الفاتحة؟  
 ج: لأن رب العالمين من أسماء الجلال فيعترى المخلوق خوف عند قراءتها  
 فيسعه المولى يتجلى الجمال فيقول الرحمن الرحيم  
 أى لا تيأس وتذكر أننى رب العالمين مرة  
 وأننى الرحمن الرحيم مرتين  
 فلقد سبقت رحمتى غضبى.

٤٧ ( قال الرازى: "قالوا: الأصل في قولنا (الله) الاله، وهى ستة حروف: فلما أبدلوه بقولهم (الله) بقيت أربعة أحرف في الخط: همزة، ولامان، وهاء. فالهمزة من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من أقصى الحلق وهو إشارة لحالة عجيبة، فإن أقصى الحلق مبدأ التلفظ بالحروف، ثم لا يزال يترقى قليلاً إلى أن يصل إلى طرف اللسان ثم يعود إلى الهاء الذى هو في داخل الحلق، وحمل الروح، فكذلك العبد يبتدىء من أول حالته التى هى حالة النكرة والجهالة، ويطرق قليلاً قليلاً في مقامات العبودية حتى إذا وصل إلى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والأنوار أخذ يرجع قليلاً قليلاً حتى ينتهى إلى الفناء في بحر التوحيد، فهو إشارة إلى ما قيل: "النهاية رجوع إلى البداية" أهـ.

٤٨ ( قال ابن أبي حمزة: الله تدل على ما في الكتاب العزيز من أسماء الترفع والتعظيم، لأنه قيل إنه اسم الله الأعظم. وقال الرازى: "لأرباب الإشارات والمجاهدات ههنا دقيقة، وهى أن لام التعريف ولام الأصل من لفظة (الله) اجتماعاً فأدغم أحدهما في الثاني فسقط لام المعرفة وبقي لام لفظة (الله)، وهذا كالتبنيى على أن المعرفة إذا حصلت إلى حضرة المعروف سقطت المعرفة وفنيت وبطلت، وبقي المعروف الأزلى كما كان من غير زيادة ولا نقصان" أهـ.

٤٩ ( قال أ.د. جودة: "وبترديد هذا الاسم في خلوة صوفية (تحت إشراف الشيخ المرشد المربي) يمكن أن يتأتى به الكشف والشهود" أهـ.

٥٠ ( وكتب علم الكلام فيها تفاصيل مطولة وهامة في مبحث هل الاسم عين الذات أو غير الذات وكذلك مبحث الاستعانة (أؤلف مستعينا بسم الله الرحمن الرحيم)، وأصل الاشتقاق، فلتراجع هناك، ولعل من أطيبها حاشية الشيخ الأمير (ت ١٣٥٠هـ) على جوهرة التوحيد، وكذلك الخريدة البهية للدردير وحاشية الصاوى عليها.  
 ٥١ ( قال العلامة ابن أبي حمزة: لفظ الرحمن الرحيم يتضمن كل ما في الكتاب من المغفرة والرحمة والإنعام والعفو والإفضال. وقال الرازى: "فاعلم أن الرحمة عبارة عن: (١) التخلص من أنواع الآفات (وهذا لا يمكن معرفته إلا بعد معرفة أقسام الآفات وهى كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى) وعن: (٢) إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات.

وقال الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله في تفسيره:

في البسملة اسمان عظيمان دالان على الرحمة الذاتية، وفي صلب الفاتحة اسمان عظيمان دالان على الرحمة الصفاتية.

فهناك رحمة ذات، وهناك رحمة صفات..

وهناك رحمة ذات عامة (رحمن) ورحمة ذات خاصة (رحيم)

ففي البسملة (الرحمن) دال على الرحمة الأصلية الذاتية العامة المدلول عليها بقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شئ) (الأعراف ١٥٥).

وكل شئ دخل فيه الغضب<sup>٥٢</sup>. فدخول الغضب كفعل لله في حيز الوجود لا يأتي إلا برحمانية الله.

ولذلك قالوا إن (الرحمن) من أسماء الجلال والجمال في نفس الوقت.. و (الرحيم) محض للجمال.

مثال:

فهذا جمال	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (طه ٩٦)
فهذا جمال	يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (طه ٨٥)
فهذا جلال	الرَّحْمَنُ فَاَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا (الفرقان ٥٩)
فهذا جلال	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (طه ٥)

كما أن هناك حديث تقسيم الرحمة مائة جزء<sup>٥٣</sup>، وهذا الجزء في الدنيا من (الرحمن)، والباقي تسعة وتسعون جزءًا تأتي من رحمانية ورحيمية الصفات لأنها لن تشمل إلا المؤمنين فقط ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب ٤٣).

٥٢) وذلك من حديث الصحيح في رواية البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزُّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

٥٣) والحدِيث في الصحيحين. في رواية البخاري: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمَنْ ذَلِكَ الْجُزْءُ يَتَرَأَّحُمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ». وفي رواية مسلم: حَدَّثَنَا حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمَنْ ذَلِكَ الْجُزْءُ تَرَأَّحُمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ». وكذلك هناك حديث الرحم شجرة أي شعبة في غصن شجرة، والمراد قرابة متشابكة كاشتباك العروق

(خ/ت/حم/هق) وهو حديث مسلسل بالأولية ونصه عند الترمذي: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي قَابُوسَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَن فِي السَّمَاءِ الرَّحْمَنُ شَجَرَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وغير ذلك الكثير جدا في السنة عن الرحمة.



ولذلك فسر الإمام القشيري البسملة بطريقة مختلفة في بداية كل سورة عن السورة الأخرى.

### وجه آخر في الرحيم:

قالوا إن اسم (الرحيم) هو اسم للنبي ﷺ وهذا عند القرطبي والألوسي.  
أى أن المعنى هو : أى بالرحيم محمد ﷺ وصلتكم إلى الله وإلى الرحمن

ولقد سماه بذلك المولى عز وجل فقال عنه فى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة ٢٨)

ويشهد لذلك (ما وسعنى أَرْضى ولا سَمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن)  
"انظر كشفا الخفا للعجلونى ٢/٢٧٣"، وذلك لأن قلب المؤمن يسع برحيميته الصفة  
فهو قد وسع العالم كله.

بسم الله الرحمن الرحيم : وقالوا عنها:

إنها من العارف بمنزلة " كُنْ فَيَكُونُ " من الحق سبحانه، وهذا للأولياء الأكابر  
فقط (ولله المثل الأعلى).

ويشير إلى ذلك حديث ابن ماجه " عن سيدنا عثمان بن عفان ؓ عندما سئل عن  
بسم الله الرحمن الرحيم فقال: هو اسم من أسماء الله ما بينه وبين الاسم الأعظم  
إلا كما بين بياض العين وسوادها من شدة القرب "،  
ولذلك فمن يستطيع التعامل ببسم الله الرحمن الرحيم ؟!!<sup>٥٤</sup>

ونكتفى بهذا القدر من الكلام حول البسملة ونشرع فى المقصود وهو تفسير  
سورة يس.

٥٤ ( وقال آخرون إنه لما قال: بسم الله كان بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا فكان ما كان، فماذا لو أكملها  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

# **الفصل الثالث**

## **تفسير سورة يس**

## تفسير سورة "يس"

قبل أن نشرع في بيان التفسير الإشاري (الصوفي) لسورة يس نبين أسباب اختيارنا لهذه السورة بالذات، والقضايا التي تتناولها وبيان معنى لفظ "يس" والحروف المقطعة، ثم نعرض لبعض نماذج التفسير الظاهر كمدخل للتفسير الإشاري ونعرج سائرین فی المنهج الإشاري الفيضي مع كل آية من الآيات ومع كل لفظة من الألفاظ في حدود الوقت المتاح.

### أولاً: أسباب اختيار سورة يس:

١- هي سورة حضرة النبي ﷺ وفيها إشارات إلى مقامه الأعلى ﷺ. والتعريف به وبعظمته ﷺ.

٢- هي قلب القرآن: حديث<sup>٥٥</sup> ﴿يس﴾ قَلْبُ الْقُرْآنِ لَا يَقْرَأُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْدارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ وَاقْرَأُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ ﴿٥٦﴾ ، وفي اللغية<sup>٥٦</sup>: قلب كل شيء هو خالصه ولبه والمقصود منه، أي الخلاصة والجوهر.

<sup>٥٥</sup> (وتمام الحديث في مسند أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا عَارِمٌ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الْبَقَرَةُ سِتَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ نَزَلَتْ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا وَاسْتَخْرِجَتْ (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَوُصِّلَتْ بِهَا أَوْ فَوُصِّلَتْ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ (وَيَس) قَلْبُ الْقُرْآنِ لَا يَقْرَأُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْدارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ وَاقْرَأُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ ».

وروايته في سنن الدارمي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ هَارُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «: إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا ، وَإِنْ قَلْبُ الْقُرْآنِ يَس ، مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ».

٥٦ ( قَلْبُ كُلِّ شَيْءٍ وَسَطُهُ وَبُؤُهُ وَمَحْضُهُ (معجم).

٣- تتضمن أصول العقيدة الثلاثة: (أ) إثبات الوجدانية لله تعالى، (ب) إثبات النبوة

للنبي ﷺ، (ج) إثبات البعث والحشر والجزاء يوم القيامة.  
ولكن نلاحظ أن الإمام الغزالي اقتصر فقط على إثبات الحشر وأعجب بهذا التقرير الإمام الرازي فقال: "إن المدار في صحة الإيمان على الاعتراف بالحشر، وهو مقرر في سورة يس بأبلغ وجه. لأن الأصلين الآخرين "الوجدانية، والنبوة" يصبان في الثالث وهو البعث، فإذا آمن بالبعث فهو متبع للرسول أى مصدق به فلا بد أن يكون موحدًا بالله أيضا".

٤- الحشر: مقرر في يس بأبلغ صورة لم تتكرر في غيرها من السور وعليه مدار عمل القلب.

٥- سورة يس تعني بوظائف القلب: ولأنها قلب الوجود كله ﷻ .

ولقد أعرب الشيخ البقاعي عن أن كلمة قلب قلبت في (يس) بمقاصد عدة وأطوار شتى،  
وأثبت أن مقصود (يس) الأصلي هو إثبات الرسالة،  
لأن إثبات الرسالة هو قلب الحقائق المفاض على قلب النبي ﷺ،  
الذي أوحى إليه في قلب الأرض مكة المكرمة،  
بين أظهر العرب وهم قريش الذين هم قلب العرب،  
والعرب هم قلب الناس،  
لذلك فسورة يس جديرة بأن تكون (قلب القرآن).

٦- تتضمن سورة يس معرفة الله تعالى: وإرشاد الخلق إلى غاياتهم الكمالية،  
وهذا يجمع بين شيئين:

\* كيف تعرف الله  
\* وكيف تتقرب إلى الله.

٧- فيها قضايا عشر موضوعية تشير إليها فيما يلي:

١- الوجدانية: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون \* إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (يس ٢٢-٢٥).

٢- الرسالة: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾

٣- البعث: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. وهو أبلغ وأعظم وجه لإثبات الحشر، وتتضمن القياس المنطقي على أبلغ وجه.

٤- القرآن: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾

٥- الإنذار: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾. والإنذار من وسائل للدعوة إلى الله، وهذا يذكرنا بمبدأ (قاعدة) الضرورة العملية، وهو - كما قرره البعض - أنه لو كان كاذبا فعليه كذبه ولم نخسر شيئا، وإن كان صادقا كسبنا اتباعه، والنجاة من العذاب والفوز بالثواب.

٦- القدر: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. أى الكلمة الأثرية القديمة ثبتت على أكثر هؤلاء وهم أمة الدعوة فهم لا يؤمنون.

٧- العبادة: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

٨- الصراط المستقيم: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. أى إفراد الله بالعبادة، وسلوك الصراط المستقيم على الحقيقة هو جوهر التصوف.

٩- موقف الإنسان من الشيطان ومن عهد الله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

١٠- إثبات عالم الملكوت: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . قال الشيخ نجم الدين داية قدس الله سره: (أثبت لكل شئ ملكوتا، وملكوت الشئ ما هو الشئ به قائم، ولو لم يكن للشئ ملكوت يقوم به لما كان شئ، والملكوتات قائمة بين قدرته)<sup>٥٧</sup>.

٥٧ ( انظر روح البيان للعارف سيدى إسماعيل حقى (٧/٤٢ ط/دار إحياء التراث العربى).

## ثانياً: تفسير قوله تعالى:

﴿يس﴾

وهنا لابد من الوقوف على معنى لفظ يس التي استفتح بها المولى عز وجل السورة الكريمة:

فى التفسير الظاهر قال العلماء إن لفظ يس مثل الحروف المقطعة التى بُدِئت بها بعض سور القرآن، ولها معانى عدة قد تصل إلى عشرين وجهاً منها بعض الوجوه الإشارية. وبعض هذه الوجوه قوى والآخر ضعيف ولكنه غير مردود، وبعضها يشتمل على مدلول (يس) وغيرها والبعض الآخر يستقل بمعانى (يس)، والأحرف المقطعة قد افتتحت بها تسعة وعشرون سورة من سور القرآن وهذه الأحرف المقطعة قد تأتى على حرف واحد مثل (ق-ص) أو اثنين (حم) أو ثلاثة (الم-الر) أو أربعة (المص) أو خمسة (كهيعص). ونبين فيما يلى بعض من ذلك:

### \* ما يتناول الحروف المقطعة بصفة عامة نقوم ببيانه فيما يلى:

١- رأى السلف الأصلى بعض السلف قَوَّض فيها وقال الله أعلم بمراده<sup>٥٨</sup>، والبعض

الآخر قال بتأويلها:

ولقد قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (الله فى كل كتاب سر وسره فى القرآن أوائل السور). وقال سيدنا على رضي الله عنه (إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى). وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن (الم) فقال (قسم أقسم به الله تعالى وهو من أسمائه). كما ورد عن سيدنا على رضي الله عنه (يا كهيعص اغفر لى وارحمنى .....). وسمح بالتأويل كابن عباس. وقال بعض السلف هى من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه أى اختص نفسه بعلمها أو خص نفسه وأحابه من الأنبياء والأولياء<sup>٥٩</sup>. حيث قال البعض هذا إشفافاً على الناس لكن

٥٨ ( حكى القرطبى فى تفسيره أن السلف ردوا علمها إلى الله ولم يفسروها.

٥٩ ( ولا مشكلة فى ذلك إعمالاً لصيغة أفعال التفضيل التى تقتضى المشاركة فى أشياء وتفوق أحد الطرفين على الآخر. وذلك من حديث الصحيح الذى علم فيه النبى ﷺ درجات الإسلام والإيمان والإحسان (وسبق تخرجه)، ولا سئل عن الساعة قال ما المسئول عنه بأعلم من السائل.

الصحابة أعطاهم الله عز وجل هذا العلم ومنهم كما ذكرنا سيدنا ابن عباس ويؤيد ذلك قوله رضى الله عنه فى عدد أصحاب الكهف الذين قال تعالى فيهم ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (وأنا من القليل) وكذلك فى آل عمران عن الراسخين فى العلم فقال (وأنا من الراسخين) وذلك ببركة دعوة النبى ﷺ له.

٢- أسماء الله تعالى: وهو لسيدنا عبد الله بن عباس. ويشهد لذلك ما جاء فى تفسير البحر المحيط من قول سيدنا على ؓ أنه كان يدعو بها (يا كهيعص اغفر لى وارحمنى .....). وأيضا (يا حم اجرنى واسترنى ...). وكذلك قول ابن عباس رضى الله عنهما لما سئل عن (الم) فقال (قَسَمَ أَقْسَمَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ). فإذا جمعت الفواتح مع حذف المكرر وسئل الله تعالى بقلب مخلص فإن الله تعالى لا يرد السؤال بسر الحروف المقطعة.

٣- أبعا ض (أجزاء) أسماء الله تعالى: فعندما نجمع (الر) مع (حم) مع (ن) تصبح (الرحمن)، ولكن لا نقدر على معرفة تأليفها كلها فيما نعلم، فعرشنا بعض ذلك ولم نعرف الآخر.

٤- مفاتيح أسماء<sup>٦٠</sup>: فكل حرف منها مفتاح اسم لله تعالى، فمثلا (الم): (الآلف مفتاح اسم (الله)، واللام مفتاح اسم (لطيف)، والميم مفتاح اسمه (مجيد).. أى الله لطيف مجيد.

٥- أسماء أبعاض بعضها للذات وبعضها للصفات وبعضها للأفعال، ومثل ذلك: (الم): (أنا، ل=الله، م=أعلم) أى أنا الله أعلم. وكذلك (الر): (أنا، ل=الله، ر=أرى) أى أنا الله أرى، وأيضا (المص): (أنا، ل=الله، م=أعلم، ص=أفصل).

٦- حروف بعضها يدل على اسم الله وبعضها على اسم الملك من الملائكة وبعضها اسم لسيدنا محمد: ومثل ذلك (الم): (أنا=أنزل الله القرآن، ل=بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام، م=على قلب سيدنا محمد ﷺ).

٧- أسماء للقرآن: وهو رأى مجاهد تلميذ ابن عباس رضى الله عنهما. وكذلك هو رأى لقتادة رضى الله عنه.

٨- أسماء للسور: كما ورد عن سيدنا زيد بن أسلم رضي الله عنه فنقول سورة يس، سورة طه. أما مع المكرر فى السور فنقول: سورة الم البقرة، سورة الم آل عمران، سورة الم السجدة، سورة الم الروم، وهكذا<sup>٦١</sup>.

٩- حروف أقسم الله تعالى بها لشرفها: وهى شريفة لأن القرآن مؤلف منها. ولذلك نجد فى آراء الفقهاء أنه لا يجوز التبول على حجارة كانت لمسجد وهدم لأنها اكتسبت شرفاً. وهذا فى الحجر فكيف بالحروف التى هى مبانى لكلمات الله تعالى، فهى الحروف التى ألف الله تعالى منها كلامه.

١٠- حروف تشير إلى الشريعة والطريقة والحقيقة: ذكر الإمام الرازى فى تفسير العديد من الآراء ثم قال إنها حروف تشير إلى الشريعة والطريقة والحقيقة: وبيان ذلك أن حرف (ا) منتصبه مستقيمة تشير باستقامتها إلى الاستقامة على الشريعة، (فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ)، (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا)، (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) وحرف (ل) تشير بانحنائها إلى الانحناء الحاصل عند المجاهدة لرعاية الطريقة، فالذى يسلك الطريق يتعبد حتى ينحنى لأنها بذل وطاعة وجهاد فى الله، وحرف (م) رأسها دائرة والدائرة لها بداية هى نفس النهاية فتشير باستدارة رأسها لرعاية الحقيقة، وقيل للجنيذ رضي الله عنه ما سر النهاية قال الرجوع إلى البداية.

١١- هى حروف وردت على نمط التعديد للتحدى والإيقاظ: وهذا هو رأى جمهور أهل الرأى من المجتهين كالزجاج وابن قتيبة، وهو أحكم الآراء للخلف، وفيه اجتهاد عقلى. أى أنها على نمط التعديد (مثل واحد اثنين وهكذا) وهذا من إعجاز المولى عز وجل لأن العرب تبنى كلامهم على حرف أو حرفين أو ثلاثة

(٦١) قال الزمخشري: وعليه إطباق الأكثر.



أو أربعة أو خمسة، فهذا القرآن يتناول كل فنونهم في التعبير. كما أنها مفرقة على (تسعة وعشرين) سورة من سور القرآن (بعدد الأحرف الأبجدية بأكملها باعتبار "لا: لام ألف"). وهذا كله للإيقاظ لمن تُحدّث بالقرآن على أنه مؤلف من جنس الحروف الهجائية التي تنظمون منها كلامكم، أما وقد تحديناكم ولم تقدروا بل عجزتم فهذا القرآن حق من عند الله، ومن نزل عليه فهو رسول الله ﷺ وهو صادق. إذن الفواتح حجة لإعجاز القرآن وإثبات مصديريته من عند الله وصدق رسوله ﷺ.<sup>٦٢</sup>

١٢- هي حروف تثبت نبوة النبي ﷺ: فهي حروف وردت مستقلة بضرب من ضروب الإعجاز لأنها نزلت على النبي ﷺ وهو أمي وشأن الأمي ألا يقرأ ولا يكتب وهو ينطق بذوات الحروف لا بأسمائها فهذا إعجاز. ومثال ذلك: الأمي لا يستطيع أن يتهجى حروف اسمه ولكن الحروف المقطعة وردت متهجة على لسان النبي ﷺ فهو إعجاز لأنه أمي. لذلك أمية الرسول ﷺ حاش له أن تكون جهلا، فمعنى الأمي وحدة المصدر فأمر أي لم يأخذ من بشر ولكنه ظل على فطرته التي ولد بها من أمه فعلمه خلاق القوى والقدر. فضن المولى عز وجل أن يكون لأحد فضلا على النبي ﷺ فلا فضل عليه إلا من ربه أي أن أميته هي وحدة المصدر العلمي.

١٣- هذه الحروف إشارة إلى مُدد قوم وآجال آخرين بوقفها العددي وحساب الجُمَّل: ودليل ذلك أثر ورد عند القرطبي<sup>٦٣</sup> أن النبي ﷺ كان جالسا فمر عليه

(٦٢) قال الزمخشري أيضا: ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة، وكرر التحدي الصريح في أماكن وجاء منها على حرف واحد مثل (ص) وحرفين مثل (حم) وثلاثة مثل (الم) وأربعة مثل (المص) وخمسة مثل (كهيعص) لأن أساليب العرب كلامهم منها ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك.

(٦٣) ذكر ذلك أيضا بن حجر في الفتح، قال: "وأما عدد الحروف بخصوصه - فواتح السور - فإنما جاء عن بعض اليهود كما حكاه ابن إسحاق في السيرة النبوية عن أبي ياسر ابن أخطب وغيره أنهم حملوا الحروف التي في أوائل السور على هذا الحساب واستقصوا المدة أول ما نزل الم والر، فلما نزل بعد ذلك المص وطسم وغير ذلك قالوا ألبست علينا الأمر... أهـ.

أبو ياسر بن أخطب (أخو حبي بن أخطب والد السيدة صفية رضى الله عنها) فقال له: يا محمد أتزعم أن الله أنزل عليك قرآنا يتلى وأن فيه الم، قال: نعم. قال له: كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة، هل أنزل عليك غيرها. قال نعم ألم الر المر المص وهكذا. قال ألبست علينا أمرك يا محمد ولم ندر بأيهما نأخذ. فتبسم النبي ﷺ ولم يرد عليه وانصرف<sup>٦٤</sup>.

والشاهد هنا أن أبو ياسر قام بتحديد هذا من خلال حساب الجُمَّل الذى كان معروفا فى الأمم السابقة ولم ينكر عليه النبي ﷺ أن (الم) لها مقابل عددى، وإلا لكان اعترض عليه ولكنه رد عليه لما سأله هل أنزل عليك غيرها فأجابه ببعض بقية فواتح السور.

١٤ - حروف جعلها الله تعالى أمانة لأهل الكتاب ودليل صدق نبي آخر الزمان:

فأخبرهم فى كتبهم أنه منزل على آخر رسله آخر كتبه وأمانة نزوله أن تبتدئ بعض سورة بحروف مقطعة، ولكنهم أخفوا ذلك ولم يظهروه ولكن المولى تعالى فضحهم وقال عز من قائل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة ١٥) أى لكى يخرج الخبايا ويكشف المستور. إذن هذه الحروف دلالة صدق للأمم الأخرى أن هذا القرآن حق لأنه أظهر ما أخفاه آباؤهم واستكتموه فى كتبهم فصرح به القرآن الكريم.

٦٤ ( وهذا الحساب هو أن الحروف الأبجدية بترتيبها الأصلي (أبجد هوز حطى....) كل حرف له رقم يقابله يوزن به فيتم مقابلة حروف الكلمة بهذه الأعداد ويتم حساب وفق الجملة، وذلك فى حالة البسط أو عدم البسط. وعدم البسط هو أن الألف يساوى واحد والباء تساوى اثنين والجيم تساوى ثلاثة وهكذا. أم البسط هو اعتبار أن حرف الألف مكون من ثلاثة أحرف هى الألف واللام والفاء فيوزن حرف الألف بهذه الحروف الثلاثة. ولقد قام أبو ياسر بهذا الحساب بدون بسط فحسب أن ١=ل، ٣٠=م، ٤٠=ن فكانت الجملة ٧١. أى أنه ظن أن كل ما للامة من عمر هو الم. وبصفة عامة فالعلماء مختلفون حول هذا الموضوع، كما أن من يجيزه يشترط عدم العمل به فى الذكر إلا ياذن المشايخ، وفى ذلك ننصح بالرجوع إلى كتاب "أصول الوصول" للإمام الراشد محمد زكى إبراهيم ففيه تفاصيل مهمة حوله.

١٥- هذا تفسير إشاري للنبي لا يعرفه كل أحد: فقد جاء واحد إلى محمد بن الحنفية عليه السلام وسأله عن معنى (كهيعص) فأجابه بقوله لو أخبرتك بتفسيرها لمشيت على الماء لا يوارى قدميك أى لا تبتل بالماء أى يسخر الله تعالى لك الماء والبحر والنهر فتستطيع السير فوق الماء.

١٦- هذه الحروف بعدد شعب الإيمان: فأصلها (١٤ حرف) بدون تكرار<sup>١٥</sup>، وبالمكرر هى (تسعة وسبعون حرفاً) وهذه الحروف أسماء ملائكة بعدد شعب الإيمان وكل ملك حامل لشعبة من شعب الإيمان، وهذا العدد على منازل القرآن الروحية بعدد شعب الإيمان. وذلك لحديث الإيمان بضع وسبعون شعبة<sup>١٦</sup>. فالذكر بها يغدق على الذاكر من قبل الملك بعضاً مما لديه من فيض الشعبة الإيمانية التى هو موكل بها.

١٧- حروف فواصل للتنبيه: وذلك كما كان يفعل العرب فى أشعارهم وخطبهم وكلامهم يأتون بالفواصل مثل (بل-قد-بلى) فجاء القرآن وجعل هذه الحروف فواصل بين السور، فالقرآن شمل كل مناحى التعبير باللغة العربية، وهى مزيدة للتنبيه.

٦٥ ( ذكر ابن حجر فى الفتح: " فإن السور التى ابتدئت بذلك تسع وعشرون سورة وعدد حروف الجميع تسعة وسبعون حرفاً وهى الم ستة حم ستة الر خمسة طسم ثنتان المص المر كهيعص جمعق طه طس يس ص ق ن، فإذا حذف ما كرر من السور وهى خمس من ألم وخمس من حم وأربع من الر وواحدة من طسم بقى أربع عشرة سورة عدد حروفها ثمانية وثلاثون حرفاً" أهـ. ومن الفوائد الماثورة: إن الدعاء بهذه الفواتح التسع وعشرين مستجاب بإذن الله تعالى.

٦٦ ( وتام الحديث فى رواية مسلم حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» ،، وعند الترمذى حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله» . قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَهَكَذَا رَوَى سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وعند النسائى أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ وَحَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأوضعها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» .

**\*\* أما ما يخص سورة يس تحديداً أو على وجه الخصوص أو  
بشاركتها في ذلك باقى الحروف المقطعة فنقوم ببيانه فيما يلى:**

١٨- يس لها موافقات عديدة مع اسم النبى ﷺ: الموافقة الأولى لما ورد فى الحديث الشريف أنه اسم من أسماء النبى ﷺ: وهو تفسير بالمأثور وهو معتمد، فهو قول لمحمد بن الحنفية، وعن سعيد بن جببر (تلميذ الإمام ابن عباس رضى الله عنهما). وأدلة ذلك كثيرة منها: \* حديث "لى عند ربى عشرة أسماء..." وذكر منها يس وطه.<sup>٦٧</sup>

\* وكذلك لأن الخطاب بعدها مباشرة قرينة: (يس) أى يا محمد والقرآن الحكيم إنك يا محمد لمن المرسلين. وكذلك (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. \* موافقات حروف يس العددية بدون بسط هى نفسها موافقات اسم محمد العددية وذلك لأن يس=يا+س=١٠+١+١+١٢٠=١٣٢، وكذلك محمد=٤٠+٤٠+٤٠+٨+٤=١٣٢. وانظر تفاصيل ذلك فى نظم الدرر لبرهان الدين البقاعى.

والموافقة الثانية: أنها قسم ظاهرى بمحمد وقسم باطنى باسمه الذى يوافق عدد بسط حروفه عدد جميع المرسلين: فحروف محمد بالبسط هى: م=ميم=٤٠+٤٠+١٠=٩٠ ٣x٩٠ عدد ميمات الاسم=٢٧٠، حرف ح=حاء=٨+١+١=١٠ والدال عدد بسط حروفه ٣٥، وهكذا فيكون مجموعها ٣١٥ بعدد المرسلين الذى جاء فى إحدى روايات حديث أبى ذر فى مسند أحمد. والمعنى أن الله أقسم بسيدنا محمد ظاهرا (إنك لمن المرسلين) وباطنا بعدد حروفه أنه هو عدد المرسلين أى أقسم باطنا بأن المرسلين منك فهم باطنا منك لأنك أصل الوجود.

والموافقة الثالثة أن (يس) موافقة لكلمة قلب:: فكما أن يس قلب القرآن فأنت يا محمد قلب الأكوان، لأن موافق كلمة يس هو ١٣٢، وكذلك موافق كلمة قلب هو ١٣٢ أيضا.

أى أن هناك ثلاث موافقات: يس هو محمد/يس هو عدد المرسلين/محمد هو قلب الأكوان.

٦٧) أخرجه السيوطى فى الخصائص.

ومعاني ذلك تلخصها في العبارة الآتية: أقسم الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ باسمه فقال أقسم ببس وأقسم بالقرآن الحكيم ( الواو للعطف ) إنك يا محمد لمن المرسلين وأنهم منك باطنا وإن كنت منهم ظاهرا. وهذا لأنه ﷺ شجرة الأصل النورانية<sup>٦٨</sup>. لأنك واحد اكتمل فيك الجميع.

١٩- يس أى يا إنسان<sup>٦٩</sup>: قال ذلك جمع من المفسرين منهم أبو حيان، فالخطاب للنبي ﷺ فهو مجمع الإنسانية وقد كملت واكتملت الإنسانية فيه ﷺ. وذلك لأن يس=يا+س، والياء للنداء، والسين شطر كلمة (أيسين) وهى تصغير إنسان فحذفت (أنيب) وأدخلت ياء النداء فكانت (يس). واختص ﷺ بهذا النداء (يس) على معنى إنسان لأنه اكتملت فيه جميع مقومات الإنسانية كأنه لا إنسان غيره ﷺ. وهذا فيه مدح للنبي ﷺ.

٢٠- يس أى يا رجل: وقال ذلك البعض وتجده فى تفسير البحر المحيط، وأن ذلك هو باللغة الحبشية. وهذا لأن النبي ﷺ اجتمعت فيه كل كمالات الرجولة فكانه لا رجل غيره فناده يا رجل.

٢١- ها دلالات إشارية: ذكر ذلك الإمام القشيري حيث فرق حروف يس وأعطى دلالة لكل حرف فقال: ي=يوم الميثاق فى عالم الذر (يوم أُلست)<sup>٧٠</sup>، س=سِرّه مع الأحباب. أى أن سر الله مع الأحباب قد أُودِع فى فِطْرِهِم من يوم الميثاق<sup>٧١</sup>. كان الله تعالى قال (أقسم بيوم الميثاق ويسرّى مع الأحباب وبالقرآن الحكيم إنك يا محمد لمن المرسلين).

٢٢- يس والحروف المقطعة من أسرار المحبة بين المولى عز وجل وحبيبه ﷺ: فوضع هذه الأسرار فى فاتحة سورة يس.

( ٦٨ ) (شجرة الأصل النورانية) هى جملة من صيغة السيد أحمد البدوى ؑ وعنا به فى الصلاة على النبي ﷺ.

( ٦٩ ) ذكر بن كثير أن هذا هو قول عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير هو كذلك فى لغة الحبشة "أ.هـ.

( ٧٠ ) وهذا من الآية الكريمة: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (الأعراف ١٧٢).

( ٧١ ) وقال الإمام الدسوقي ؑ: أعرف تلاميذى من يوم (ألست بربكم) لا من يوم أخذوا مني العهد.

٢٣- يس نوع من أنواع القسم: قال العلامة البقلی يس أى ي= أقسم بيد القدرة الأزلية، س= أقسم بسر الربوبية. أى أن الله تعالى أقسم فى أول يس بيد القدرة الأزلية وبسر الربوبية وبالقرآن الحكيم إنك يا محمد لمن المرسلين على صراط مستقيم.

٢٤- التحقق بينبوع اليقين: قال إسماعيل حقى صاحب روح البيان نقلا عن نعمة الله النقشبندى أن يس= يا من تحقق بينبوع بحر اليقين وسلم سره عن الاحراف والتلوين. أو (وسيح سالما). والينبوع أخذ من حرف ي فى مقدمة يس، وسلامة السر أخذت من حرف س. وهذا يشير إلى طريق العرفين بالله فى الولاية، فالتغلب على النفس مطلوب ومقاومة الشيطان فى كل وقت مطلوبة، فهو يدخل على السالكين فى طرقهم<sup>٧٢</sup>. لذلك لابد من الشريعة مع الحقيقة.

٢٥- يس إشارة لاسمى الواقى والسلام: قاله الإمام محيى الدين بن عربى. حرف (ي) إشارة إلى اسم الواقى، وحرف (س) إشارة إلى اسم السلام. أى أقسم لك يا محمد يا من وقيت فطرتك فى الأزل منذ خلقتك باسمى الواقى عما ينبغى وسلّمت فطرتك ونشأتك باسمى السلام عن عوارض النشأة والنقص الجبلى الذى يعترض النشأة الإنسانية أنك يا حبيبى من المرسلين على صراط مستقيم، وخلقك كاملا مكمل. وهذا لأن الروح قبل أن تدخل الجسد كانت

(٧٢) ومن ذلك القصة المعروفة والموقف المشهور بين سيدى عبد القادر الجيلانى رحمته الله وإبليس لعنه الله لما جاءه فى صورة نور ينير له الأفق وقال له رفعت عنك التكليف فقال له احسأ يا لعين. وعرف أنه اللعين لأن التكليف لم يُرفع عن سيد الخلق أجمعين فكيف يرفع عنه. وهو لم يقف على ذلك إلا لتمكنه من الشريعة فهى الأصل، ومن أنار الله قلبه لا يترك ميزان الشريعة، فالإنسان لا يركن مهما شاهد أو رأى. وقال تعالى: "وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" (الحجر ٩٩)، واليقين ياجع الفقهاء والناس هو الموت. وهنا وقفة لطيفة مع هذه الآية الكريمة حيث جاءت مخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمضارع حيث لا زمن، ثم أتبع ذلك مباشرة فى الآية التى بعدها بفعل الماضى "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ" (النحل ١) حيث عبر بالماضى عن المستقبل لتحقق الوقوع وهذا فى حقنا نحن. أما فى حق صلى الله عليه وسلم فلقد عاش اليقين حقيقة وشاهد الآخرة حقيقة وعيانا فكان متحققا بأعلى درجات اليقين. كما كان من الصحابة من هو على ذلك كالإمام على عليه السلام حيث قال عند آية "فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ": "والله لو انكشف الغطاء ما ازددت يقينا" فهو يعيش فى يقين. وكذا الأولياء لا يحتاجون الانتظار إلى الموت فهم متحققون وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

كالمرآة تنطبع فيها صورة كل ما تراه وحينما تدخل قفص الجسد حجبت لأن  
النشأة الآدمية الترابية تطمس معالم الصفاء والنقش الروحي الذي كانت عليه  
فى عالم الإطلاق. وهذا لنا وليس للحبيب لأن الله تعالى وقاه عن آفات البشرية  
والنشأة الجبلية وحجاب الترابية الطينية عن قوانين الروح فهو منذ ولد لم  
يعتريه نقص أبدا لاكتناف الواقى والسلام لنشأته ﷺ .

٢٦- يس أى يا سيد فوجيت له السيادة: وهو قول الإمام محمود شهاب الدين  
الألوسى فى روح المعانى<sup>٧٣</sup> . ففيه إشارة إلى سيادته ﷺ . أما عن مقومات  
السيادة الكاملة الخلقية شرحها الألوسى لأنه واسطة الاستفاضة والإفاضة. فهو  
أشرفهم ونورهم وسيدهم وحق له السيادة. فمن مقومات السيادة أنه الواسطة  
العظمى فى الاستفاضة من الله تعالى والإفاضة على الخلق ﴿ وَإِذْ قَالَ  
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا  
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ  
(البقرة ٣٠) . فالخليفة من يخلف غيره وينوب عنه لغيابه ويعطيه صلاحياته  
حتى يعود ولكن ربنا لا يغيب فهذا ليس مرادا فى حق الله لأنه لا يغيب وهو  
أعلم بخلقه من أنفسهم. إذن عجز المستخلف عليه عن تلقى الإفاضة من الله  
فالمناسبة بيننا وبين الله تعالى بعيدة جدا فأتى للمحدث استقبال أنوار القديم  
الأزلى، فمثلا لا نصلح نحن لاستقبال الوحي ولكنه تعالى جهز حبيبه تجهيزا  
خاصا لتلقى الوحي وهذا لا يطيقه إلا النبي ﷺ كما أن المقصود أن يتلقى  
جبريل ولكن المقصود هو المعنى الذى وراء ذلك والذى ثبت فى سدره المنتهى  
بالاختراق والاحتراق. ولقد عبر الشاعر شوقى عن هذا المقام فقال:

وقيل كل نبى عند رتبته      ويا محمد هذا العرش فاستلم

(٧٣) وتفسير روح المعانى للألوسى خاتمة المفسرين الموسوعيين قال عنه د جودة: وهو ديوان احتوى من قبله.

وسر الإشارة فى التفسير أن يس=يا سيد أن هناك من لا يطبق قول (سيد) للنبي ﷺ  
فاختصر ذلك شفقة عليهم وقال يس لمن لا يستوعب حقيقة سيادته ﷺ<sup>٧٤</sup>.

وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر نود التأكيد على بعض الأمور الخاصة بالقسم. فالشأن  
فى القسم أنه يأتى لرد إنكار أو لتأكيد إثبات غير متيقن. وأن يكون المقسم به أقوى  
وأكد من المقسم عليه، لأن المقسم عليه أنكره البعض (حيث أنكر الكفار رسالة سيدنا  
محمد ﷺ كما فى آخر سورة الرعد: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ  
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ". فرد عليهم المولى عز وجل بل إنك من  
المرسلين وأقسم بك رغم أنهم يشككون فيك لكنك عندى كل اليقين ولا يوجد فى مملكتى  
من هو أفضل منك كى أقسم به لتحقيق رسالتك.

(٧٤) راجع فى هذا كتاب: "تشيف الأذان باستحباب ذكر السيادة مع اسم النبي ﷺ فى التشهد والإقامة  
والأذان" للصادق الغمارى، وهناك العديد من المؤلفات التى تستند على أدلة كثيرة من الكتاب والسنة حول إثبات  
سيادته ﷺ فى الدنيا والآخرة. وحديث الصحيحين خير شاهد "حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ حَدَّثَنَا هَقْلٌ -  
يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ - عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو غَمَارٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرُّوخٍ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ «أَنَا سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ» وللنوى فيه تفصيل جميل  
فراجع. وفى الحقيقة أيها القارئ الكريم أنه لو كان هناك لفظ أعلى من كلمة (سيدنا) لكان النبي ﷺ أولى بها (لمزيد  
من الإيضاح حول أهمية ذكر السيادة مع اسم النبي ﷺ يمكن لقارئ الكريم الرجوع إلى مؤلفنا بعنوان إرشاد العقول  
فيما تيسر ذكره من أسماء الرسول ﷺ) والذى شُرِّفَ ببناء مشايخنا عليه وخاصة ثناء أ.د. جودة. أما عن مقالة "لا  
تسيدونى" الباطلة فهذا من المباحث اللغوية المتعلقة بأصل كلمة سَيِّد وما يُشاع عند البعض بفهم خاطئ لحديث  
السيد هو الله وكذلك لفظ لا تسيدونى فى الصلاة. فأقول وبالله التوفيق أنك عندما تستخدم كلمة سيدنا وتقول  
"سيدنا محمد" فإنك تقصد أشرف بنى آدم فهو سيد غيرهم بالأولى والإضافة فيه لتعريف العهد الخارجى أى السيد  
المعين المعلوم وتقديمك سيدنا على محمد مع أنه صفة له والأصل تأخير الصفة عن الموصوف إشارة إلى استقلالها  
بنفسها حتى صارت كالعلم. والسيد لغة من سيد وأصله سيود بكسر الواو قلبت ياء لتحركها واجتماعها مع  
الساكنة قبلها ثم أدغمت فيها لاجتماع المثلين، والقاعدة أن المدغم هو الذى يقلب ويرد من جنس المدغم فيه لكن  
لما كانت الياء أخف من الواو قلبت الواو ياء مطلقا. ويطلق فى اللغة أيضا على من كثر سواده أى جيشه أو المتولّى  
للسواد أى الجماعة الكثيرة وعلى الكامل المحتاج إليه عند الشدائد وكل هذه المعانى مناسبة لمقامه ﷺ. ومن هنا  
يتبين الخطأ اللغوى فى العبارة "لا تسيدونى فى الصلاة"، وما كان لرسول الله ﷺ وهو أفصح العرب الذى أوتى  
جوامع الكلم والذى لا ينطق عن الهوى أن يتلفظ بما فيه أخطاء لغوية، فَعَلِمَ أن هذا الكلام مكذوب على سيدنا  
رسول الله ﷺ. ولمزيد من التفاصيل راجع راجع حاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية للإمام الدردير - مطبعة  
الحلبى (صفحة ٣)، وكذلك حاشية الشيخ الأمير على جوهره التوحيد - مطبعة الحلبي.



### ثالثاً: تفسير قوله تعالى:

#### ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾

#### القرآن :

القرآن<sup>٧٥</sup> فيه عدة أقوال وتعريف<sup>٧٦</sup> :

فهو عَلمٌ على كتاب الله المنزل متعلق بصفة الكلام الأزلية.

- التعريف الأشهر أنه: كلام الله تعالى المنزل على خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه المنقول إلينا بالتواتر الموجود بين دفتي المصحف<sup>٧٧</sup>.

- تعريف الحكماء (علماء العقيدة): هو الصفة الأزلية القيمة القائمة بذات الله تعالى (صفة الكلام) المتعلقة بالكلمات الغيبية الحكمية من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة الناس.

(٧٥) والقرآن له خمسة أسماء على التحقيق (القرآن-الفرقان-الكتاب-الذكر-التزويل) والباقي وصف له ومن ذلك (كريم-مبارك-نور-هدى-شفاء-رحمة-موعظة-مبين-عزيز-مجيد-بشير-نذير) وكل تسمية ووصف باعتبار معنى من معاني القرآن.. ومن أشهر أسمائه القرآن والكتاب وروعى في تسميته قرآنا كونه متلوا باللسن كما روعى في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، وفي ذلك إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا موضع واحد أى يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا. (د. محمد عبد الله دراز في النبأ العظيم).

(٧٦) القرآن لغة فيه عدة أقوال أوردها الزقاني في مناهل العرفان واختار منها الآتى: " القرآن مصدر مُرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى " إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " (القيامة ١٧-١٨)، ثم نُقِلَ من هذا المعنى المصدرى وجُعِلَ اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله....وعلى الرأى المختار فلفظ قرآن مهموز -همزته أصلية- وإذا حُذِفَ هَمْزُهُ فإِنَّمَا ذلك للتخفيف وإذا دخلته "أل" بعد التسمية فإِنَّمَا هى للفتح الأصل لا للتعريف". وأقول ذلك من: قرأ يقرأ قرآنا وأطلقنا القرآن (مصدر) وأردنا منه اسم المفعول (مقروء) كما نطلق الخلق على المخلوق والطبخ على المطبوخ.

(٧٧) قال البعض إن القرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص بحيث يكون تعريفه حقيقياً. والحد الحقيقي له هو استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهداً بالحواس كأن تشير إليه مكتوباً في المصحف فتقول هو ما بين الدفتين، أو مقروءاً باللسان كأن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى قوله: من الجنة والناس. وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة المنقول بالتواتر الموجود بين دفتي المصحف، فصار كالعلم الشخصى. وهو يطلق بالاشتراك اللفظى على مجموع القرآن وعلى كل آية من آياته (مباحث في علوم القرآن: مناع القطان).

فالذى نكتبه هو مُتَعَلِّقٌ بحقيقة الكلام وليس الكلام القديم ذاته. فهناك القديم وهناك الحادث<sup>٧٨</sup>، وهو النزول والقراءة والكتابة.

والكلام الأزلى ليس له جهة ولا صوت، فهو ليس بحرف ولا صوت ولا أداة ولا ينقطع. وليس بحادث وغاية ما نقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى ١١) <sup>٧٩</sup>. أى فى الذات والصفات ومنها صفة الكلام.

أما ما فى المصحف من كلمات ونقوش ورسوم فهى دالة على كلام الله<sup>٨٠</sup>.

**والمعنى: أن الله تعالى يقسم بالقرآن بعد أن أقسم بنبى القرآن ﷺ.**

وهناك حكمة فى الترتيب لهذا القسم. وانتبه جيدا فلا نقارن بين القرآن وبين النبى، إنما النبى ﷺ كان مَجَلًى للقرآن. فالله تعالى أقسم على تحقيق رسالته بالقرآن وهو الحكيم المحكم أو الحاكم أو بالحكمة<sup>٨١</sup>:

---

(٧٨) والقرآن كلام الله تعالى وقد يُطَلَّق ويراد به الكلام النفسى وهذا عند المتكلمين لأفهم المتحدثون عن صفات الله تعالى النفسية من ناحية والمقررون لحقيقة أن القرآن كلام الله غير مخلوق من ناحية أخرى، وقد يطلق ويراد به الكلام اللفظى وهذا عند الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام وهو لا يكون إلا بالألفاظ (أهـ بتصرف من مناهل العرفان).

(٧٩) معلوم أن القرآن كلام الله، وأن كلام الله غير كلام البشر. قال الشيخ الدردير فى شرحه على خريدته البهية: "...أهل السنة يميّزون بمنع حصر الكلام فى الحروف والأصوات بجعل الكلام قسمين: لفظى ونفسى فيقولون: كلام الله تعالى صفته الأزلية ليست بحرف ولا صوت. أهـ بتصرف. وقال الشيخ الأمير فى حاشيته على الجوهرة: "...كل من أنكر أن ما بين دفتى المصحف كلام الله كفر إلا أن يريد ليس هو القائم بالذات للتعليم..."

(٨٠) ونصح بالرجوع إلى تفاصيل ذلك فى علم الكلام وكتب العقيدة وخاصة حاشية الشيخ الأمير على الجوهرة، وحاشية الشيخ الدردير على منظومته الخريدة البهية. وللزرقانى كلام محقق فى مناهل العرفان فليراجع هناك لأهميته فهذا موضوع الخوض فيه بغير علم حرام، ولا بد من الوقوف عليه لطالب العلم.

(٨١) واضعين الآية الكريمة "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (الأنعام ١٢٤) نصب أعيننا دائما.

الحكيم على وزن (فعليل) بمعنى " فاعل: حاكم " أو " مفعول: مُحَكَّم ، كما نقول مُبَرِّم أى الذى أُبْرِمَ "

• وجاء بكلمة الحكيم (على وزن مُفْعَل أى مُحَكَّم<sup>٨٢</sup>) أى لم يصبه نقص ولا خلل فهو ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (فصلت ١) فالقرآن لا يتسرب إليه نقص ولا يتخلله نقص ولا تناقض ولا خلل.

• أو الحكيم بمعنى الحاكم على وزن (فعليل) أى أن الله تعالى جعله حكما على سائر الكتب الإلهية وحاكما على عباده فالقرآن يشهد يوم القيامة فمن جعله أمامه فهو قائده إلى الجنة ومن كان خلف ظهره ساقه إلى النار، فاجعل القرآن أمامك تهتد به. وانتبه أنه عندما كان القرآن حاكما ومُحَكَّمًا ومطبقا ساد المسلمون الدنيا.

• أو بمعنى ذى الحكمة أى العلم بحقائق الأشياء ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت ٤٢) فالله تعالى وصف القرآن بما وصف به نفسه.

• أو بمعنى الحكيم قائله، ويكون مجاز فى الإسناد. أى الحكيم قائله وهو الله، والقرآن الحكيم أى كلام حكيم والحكيم قائله سبحانه وتعالى. مثل ولنا كلام بليغ، والبليغ قائله.

ونتبين هنا أن وصف الحكيم للكلام العزيز القرآن العظيم يعطى حكمة الله. وهذا يدفعنا إلى الوقوف على معنى الحكمة، فما معنى الحكمة؟

٨٢ ( حَكَمَ يَحْكُمُ حُكْمًا. والمُحَكَّم: المتقن، لا اختلاف فيه ولا اضطراب. والْحَاكِم: من يُختار للفصل بين النزاعين. والحِكْمَة: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم (معجس)

س: ما الحكمة؟

ج: تطلق الحكمة ويراد بها معاني كثيرة أهمها:

○ الحكمة تطلق على وضع الشئ فى موضعه . أى  
أن ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام ١٢٤) . وهنا وصف  
الحكمة يعطينا أحقيّة رسالة الرسول . لماذا تنكرون رسالة سيدنا محمد!  
وهو فوقكم فى كل شئ . افتنعوا وأقروا وارضوا برسالة الرسول ﷺ ولا  
تقفوا فى وجه تصديقها لأنه ما أُرْسِلَ إلا بمقتضى الحكمة . إذن من  
وصف الحكيم للقرآن استنبطنا مصداقية  
إرسال الرسول ﷺ .

○ وقالوا: الحكمة هى العلم بحقائق  
الأشياء . فكما نعلم غاية الفلسفة هى محبة الحكمة ، فهى من  
مادة الفلسفة أى فيلو سوفيا أى محبة الحكمة . أى ليست الحكمة  
نفسها ، لكن القرآن العظيم ليس محبة الحكمة ولكنه مصدر الحكمة  
نفسها ، فالفلاسفة أحبوا الحكمة ولم يصلوا إليها ، لكن الرسول ﷺ تربّع  
على قمة الحكمة بلا فلسفة .

○ وهل يعلم حقائق الأشياء إلا خالقُ الأشياء سبحانه وتعالى . فقال تعالى  
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا  
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة ٢٦٩) ، ولقد سنل  
الإمام ابن عباس عن معنى الحكمة فى هذه الآية فقال: يعنى المعرفة  
بالقرآن محكمه ومتشابهه . ناسخه ومنسوخه . عامه وخاصه . مقدمه  
ومؤخره ... إلخ من علوم القرآن . إذن الحكماء على الحقيقة هم أهل  
القرآن . وهم تلامذة نبي القرآن سيدنا محمد ﷺ .

ومن هنا فالحكيم هو من يضع الأشياء فى مواضعها ويعلم حقائق الأشياء لأنه  
خالقها ، ومن المنطق وبداهة أن يُعَلَّمَ حقائق الأشياء لمن أرسله لإصلاح الأشياء

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء ١١٣) ولقد أرسل الله تعالى سيدنا محمد ﷺ لإصلاح العالم، وأول مراتب الإصلاح الإخراج من الظلمات إلى النور ﴿الرَّحْمَنُ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم ١) وأرسله لهداية العالم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى ٥٢) فأعطى سبحانه وتعالى مدد الهداية لنبي الهداية.. لسيدنا محمد ﷺ . جعلنا الله تعالى به من المهتدين السعداء بجمعيته المشرفة في الدنيا ويوم الدين، اللهم آمين.

---

## رابعاً: تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

### قضية الرسالة:

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ :

وَالْمُقَسَّم عَلَيْهِ: هو ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. وهذا تأكيد لرسالة النبي ﷺ. فهو قسم وبالجملـة الاسمية والتأكيد. وفي هذا وقفة هامة: التعبير بالجملـة الاسمية دلالة على الدوام والاستمرار والثبات. وجاء بالتأكيد بحرف (إن) وجاء خبر إن جواب القسم أى إِنَّكَ بهذا القسم لمن المرسلين بيان لرسوخه فى الرسالة فهو قلب المرسلين ويس قلب القرآن.

س: وهنا نتساءل: لماذا عبر النظم الكريم بقوله إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ولم يعبر بلفظ إِنَّكَ لِرَسُولٍ<sup>٨٣</sup>؟

ج: والجواب أنه يا أمة القرآن لا أوجب عليكم فقط إيمانكم بأنه رسولكم ولكن الإيمان بكل الرسل فاثبت رسالة حبيبي من خلال جميع الرسالات أى أنه من سائر الرسل الذين هم منه باطنا وإن كان منهم ظاهرا وهذا لأنه ﷺ شجرة الأصل النورانية، لأنه واحد اكتمل فيك الجميع.

٨٣) وهناك فرق بين النبي والرسول على أقوال التحقيق فيها أنه بينهما عموم وخصوص مطلق فالنبي أعم من الرسول، والنبي هو إنسان ذكر حى أوحى إليه بشرع أمر بتبليغه أم لا، والرسول أمر بتبليغه كان له كتاب أم لا. وبيان ذلك تفصيلا فى مباحث العقيدة وعلم الكلام. ومن المعلوم ثبوت النبوة والرسالة لنبينا محمد ﷺ فى وقت واحد. كما أن حكم الرسالة يستمر إلى دخول الناس الجنة أو النار وأما النبوة فإنها باقية الحكم فى الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا. (الشعراني فى البواقيت والجواهر) وقال أ.د. حسن الشافعى فى محاضراته بمعهد الدراسات الصوفية بالعميرة الحمديدية فى عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ما مفاده أن ذلك للنبوة لأنها عطاء من الله فى فطرة النبي فنور قلبه فيظل كذلك حتى بعد دخول الجنة ولأنه عرفان والمعرفة لا تخرج من القلب بعد دخولها.

**إنك:** فيها بلاغة الالتفات. فأول الكلام هو غيبة - غائب - فالاسم الظاهر من قبيل الغيبة (يس) لأنه يقول أقسم بـ، يس وبـ القرآن الحكيم، ثم انتقل من الغيبة إلى الخطاب (إنك) للمواجهة بالتشريف في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أى إنك يا سيد الرسل.. يا سيد الخلق، لمن المرسلين.

أما عن الإعراب وهو مهم جدا لنا فهو كشف المعاني الخفية فى الكلام، ولأن فهم وربط الكلام اللاحق بالكلام السابق يتوقف على الموقع الإعرابى.

**إن:** (من إن وأخواتها) ناصبة ناسخة<sup>٨٤</sup>، ولها اسم منصوب وخبر مرفوع.  
**لـ:** كاف الخطاب اسم إن.

**لـ** **المرسلين:** خبر إن، كما أن لها عدة أخبار أخرى:

(على صراط مستقيم) خبر ثانى، (تنزيل) خبر ثالث<sup>٨٥</sup>، على قراءة الرفع.  
والمعنى إنك لمن المرسلين، وأيضا إنك على صراط مستقيم، وكذلك إنك تنزيل

**لـ** **المرسلين:** أى إنك لمن الذين أرسلوا على صراط مستقيم. والذين اسم موصول قدرناه من (ال) فى المرسلين لأنها (ال) الموصولة بمعنى الذين. أى من الذين أرسلوا هم حالة كونهم على صراط مستقيم.  
فعلق على صراط مستقيم - أرسلوا المستكنة فى المرسلين.

**من:** حرف جر، **الذين:** اسم موصول مجرور،

**أرسلوا:** فعل ماضى مبنى للمجهول، والواو نائب فاعل أى من الذين أرسلوا هم، وجملة أرسلوا صلة الموصول.

٨٤ ( سميت نواسخ لأنها تنسخ الحكم لدخولها بحكم جديد. محمد ناجح مبتدأ مرفوع وخبر مرفوع، تصبح بعد الدخول عليها إن محمدا ناجح فينصب اسم إن، ويرفع خبرها.

٨٥ ( وهناك قراءتان متواترتان لكلمة تنزيل أحدهما بالرفع والأخرى بالنصب. وسوف يتعرض فضيلته لذلك تفصيلا بعد قليل.

س: لماذا لم يقل إنك لرسول مباشرة وقال لَمَنِ الْمُرْسَلِينَ ؟  
 ج: حتى يعطى لنا تقرير الإيمان بكل الرسل ﴿لَمَنِ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة ٢٨٥) فالرسالات لا تتفرق ولا يؤمن ببعضها ويكفر ببعض، فكل الرسالات واجب علينا أن نؤمن بها. ومن هنا يكون المعنى أن نؤمن به سيدا للمرسلين قائدا ونؤمن بجملة المرسلين كتابع لسيد الرسل سيدنا محمد ﷺ .

س: وما معنى المرسل؟  
 ج: الذى أرسله الله رسولا إلى قومه ليبلغهم دعوة الله، ومادة الرسالة من (الرَّسُل) ومنه (الإرسال)، والرَّسُل يطلق على النزول فى تودة، ولذلك من يسير مسرعا نقول له (على رِسْلِكَ) أى تمهل. إذن الرسالة فيها رفق فى بعثة الرسول<sup>٨٦</sup>. وهذا الإرسال إنما هو إرسال بعث لا إرسال تسخير.  
 س: ما أنواع الإرسال؟

- ج: هناك نوعان من الإرسال: ١- إرسال تسخير ٢- إرسال بعث.
- ١- إرسال تسخير مثل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ﴾ (فاطر ٩). وكذلك قوله تعالى فى سورة الحجر ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ (الحجر ٢٢).
- ٢- إرسال بعث مثل قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (الكهف ٥٦) أى إرسال بعث.

٨٦ ( أُرْسِلَ الرسولُ: بعثه برسالة، والرسالة ما يُرْسَل، ورسالة الرسول: ما أُمِرَ بتبليغه عن الله، ورسالة المُصَلِّح ما يتوخَّاه من وجوه الإصلاح، والرَّسُل الذى فيه لين واسترخاء، ويعبر رسل: سهل السَّير، والرَّسُل الرُّفْق والتَّوَدَّة يقال: افعل كذا على رِسْلِكَ: اتَّد ولا تعجل، والرَّسْلَةُ اللين ويقال هم فى رَسْلَةٍ من العيش. (معجم).



## و القرآن الحكيم إنك لمن المرسلين

كما بينا سابقا فهذا قسم ومن الممكن أن يكون معطوفا على القسم الأول ﴿يس﴾ إذا لم تكن "يس" نداء أو حروفا مقطعة دالة على إعجاز القرآن وعلى التحدى بمعجزة القرآن. فلقد قلنا قبل ذلك "يس" نداء، الله ينادى سر الخليفة المرموز إليه بحرف "س" وتكون الياء "ى" حرف نداء، أى "يا س"، وسين هى رمز الإنسان فيكون أكمل بنى الإنسان أو "يس" رمز لرجل كما روى فى وجه أخر أو "يس" يا النداء والمنادى سيد أى "يا سيد الخلق"، "يا سيد العالمين". ففى هذه الحالة هو استئناف قسم ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ، أى بداية قسم.

س: لماذا أقسم الله على تحقيق رسالة النبى ﷺ فى مواجهة المنكرين المشركين مع أن المطالب تثبت بالدليل لا بالقسم؟

انتبه أيها السامع الحبيب: السؤال المطروح الآن هو ما طرحه الإمام فخر الرازى - وهو حكيم المفسرين - يقول: لماذا أقسم الله تعالى على تحقيق رسالة النبى - ب - "يس"، وب - "القرآن الحكيم" مع أن المطالب تثبت بالدليل لا بالقسم؟

ونبين معنى السؤال أولا قبل الشروع فى الإجابة عليه: هذا رد من الله على المشركين الذين حكى مقالتهم فى قوله تعالى فى الآية ٤٣ من سورة الرعد وهى آخر آيات السورة: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ، فلماذا أقسم الله تعالى على تحقيق رسالة النبى ﷺ أى أنها حق .. لماذا أقسم الله عليها فى مواجهة المنكرين المشركين مع أن المطالب تثبت بالدليل لا بالقسم..

ولنضرب مثلاً آخر يوضح المسألة: واحد لا يصدق أن العالم حادث <sup>٨٧</sup> ، فلو جاءك فلسفى أو ملحد ويقول إن العالم غير حادث، فهل يصح أن ترد عليه وتقول: "والله إنه لحادث" أى هل ترد عليه بقسم وهو غير معترف بالله أصلاً! أم هل ترد عليه بدليل.

وعندنا النص القرآنى والله المثل الأعلى: الله تعالى أقسم فى مواجهة المنكرين والمشركين لرسالة النبى ﷺ بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَسْ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

ج: هذا اعتراض عقلى يُجَاب عنه بثلاثة أجوبة:

١- معاملة العرب بمنس معتقداتهم أن اليمين الفاجرة تخرب الديار، فأثبت نبوة الرسول ورسالة الرسول ﷺ بالإقسام عليها: إن الله تعالى يعلم أن هؤلاء العرب الذين أنكروا رسالة النبى ﷺ كانت لديهم معتقدات وعادات وتقاليد وعقائد رغم أنهم فى الجاهلية <sup>٨٨</sup>. وكان من عاداتهم أن اليمين الكاذبة توجب خراب العالم. وهذه العقيدة أقرتها الملة الإسلامية المحمدية، وجاء فيها حديث عنه ﷺ ﴿الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ﴾ أى خرائب <sup>٨٩</sup>. فالعرب

٨٧ ( والمعروف أن العالم حادث لأنه متغير وكل متغير حادث وكل حادث لا بد له من مُحدث، والله مُحدث هذا العالم فيكون العالم حادث. وهذه المثل يناقش كدليل فى علوم المنطق والعقيدة فلتراجع أصولها هناك.

٨٨ ( قال أ.د. جودة فى هذا الموقف: وانتبهوا لذلك فالمستشرقين يريدون أن يبينوا أن العرب أجهل خلق الله ولا قيم لهم ولا مبادئ لكى يقولوا بعد ذلك هؤلاء الذين خرج منهم الرسول، وبهذا يطعنوا فى الرسول بالطعن فى البيتة التى نبت منها وهى بيئة العرب.

٨٩ ( وتام الحديث بروايته فى سنن البيهقى: عن مُجاهد وعكرمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لَيْسَ شَيْءٌ أَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَابًا مِنْ صَلَةِ الرَّحْمِ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ» ، وكذلك: وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ بِالْإِرْسَالِ خَلَفْنَا عَبْدَ الرَّزَّاقِ أَلْبَانًا مَعْمَرٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ يَرْوِيهِ قَالَ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ رَأَى وَيَالَهُنَّ قَبْلَ مَوْتِهِ . فَذَكَرَهُنَّ وَفِي آخِرِهِنَّ وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ. ، وأيضاً: عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : «إِنْ أَعْجَلَ الْخَيْرُ ثَوَابًا صَلَةِ الرَّحْمِ وَإِنْ أَعْجَلَ الشَّرِّ عِقَابُهُ الْبَغْيُ وَالْيَمِينُ الصَّوْرُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ» . {ش} قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَنْ خَلَفَ عَامِدًا لِلْكَذِبِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ كَذَّاءً وَكَذَّاءٌ وَلَمْ يَكُنْ كَفَرًا وَقَدْ أَنْتُمْ وَأَسَاءَ حَيْثُ عَمَدَ الْخَلْفَ بِاللَّهِ بَاطِلًا. قَالَ الشَّافِعِيُّ فَإِنْ قَالَ وَمَا الْحُجَّةُ فِي أَنْ يُكْفَرُ وَقَدْ عَمَدَ الْبَاطِلِ قِيلَ أَفَرُبَّهَا قَوْلُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَلَيَاتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكْفَرُ عَنْ يَمِينِهِ فَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَعْمَدَ الْحَيْثُ.

كانت لهم قيم أقرها النبي ﷺ . وكان بمقتضى هذه العقيدة أنه عندما يأتي أحدهم يدعى حقا له فيقولون له "احلف" ويعتقدون أنه إذا كان كاذبا في حلفه لا بد وأن يؤول الأمر إلى خراب داره. وربنا سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء. وفعلا يصير بيته خرابا بَلَقًا. فرينا سبحانه وتعالى يعلم عادات العرب وعقائد العرب فعاملهم من جنس ما يعتقدونه، فأثبت نبوة الرسول ورسالة الرسول ﷺ بالإقسام عليها بالله وبالرسول (سواء كان يس اسما من أسماء الله أو اسما من أسماء الرسول ﷺ وهو الأشهر) وبالقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم، وهو المُقَسِّم عليه. ومضت فترة بعد نزول أول يس ينتظرون مصداقية عقيدتهم في الرسول أنه حلف وهو عندهم الصادق الأمين قبل ذلك، فينتظرون سريان السنة القديمة عندهم أن المُقَسِّم الذى يحنث فى قسمه يصير بيته خرابا بلقعا، فانتظروا فوجدوا أمر النبي ﷺ فى علو وفى مزيد ظهور وسطوع نجم فدل ذلك على أنه صادق فى قسمه، وأنه رسول من عند الله.

٢- أن قوله تعالى ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿﴾ دليلٌ أُخْرِجَ مخرج القسم. وتقرير الدليل هو أن المُقَسِّم به معجزة، والمعجزة أقوى دليل على صدق الرسول. فتكون مصداقية هذا القسم واجب تصديقها لأنه دليل أُخْرِجَ مخرج القسم. وبيان ذلك هو: إن النبي ﷺ وهو خاتم الرسل كان مفترضا عندهم أن يأتي بدليل فقال العلماء "إن ما ظهر على أنه قسم هو قسم فى الظاهر ودليل فى الباطن". لأن المُقَسِّم به معجزة، فرينا أقسم بالقرآن الحكيم وهو معجز وتحداهم وقال ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ \* فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿﴾ (البقرة ٢٣-٢٤)

فالقرآن يحمل قوة المعجزة، وهو أظهر معجزة لأنه من جنس كلام العرب فى المظهر من ناحية المادة اللغوية التى منها الألف واللام والميم والياء والسين، ومع ذلك أعجزهم. إذن هو حق من عند الله، إذن من نزل عليه

فهو رسول الله ﷺ فيكون قوله تعالى ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ دليل أخرج مخرج القسم. ولم يأت دليلاً وحده لكى يجمع بين قوة الدليل وقوة القسم. وبالتالي يكون قد استجمع فضلين.

إن القسم يقوم مقام الحجج والأدلة: فلو تناظر اثنان أحدهما له حق عند الآخر فأتى كل منهما بدليل أو بينة فثبت الحق عند أحدهما فيقول ضعيف الحجة لخصمه إنك ما غلبتني لأن الحق معك ولكن لأنك أقوى حجة منى والحق معي، فيرد عليه وماذا تريد؟ فيقول له أقسم لى على صدق ما تقول وأن الحق معك فأصدقك وأذن لك ويكون القسم مقام الحجة والبيئة والأدلة، فيقسم له فيكون أقرب إلى الاقتناع. وربنا سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿إِذَا لَمْ تَقْتُنْوْا بِالْحُجَّةِ وَالْإِعْجَازِ وَالِدَلِيلِ فَهَآكُمُ الْقِسْمُ﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿فَاقْسَمْ لَكُمْ بَأَنَّهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. وهذا يؤيده الحديث ٩٠ الشريف ﴿الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ﴾ فجعل اليمين فى مقابل البيئة، والبيئة أدلة. فأتت يا محمد معك قوة الحجة والبيان والدليل وأقسم على ذلك.

٩٠ ( ٩٠ ) وقام الحديث فى سنن الدارقطنى: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ التَّيْسَابُورِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ الصَّفَّارُ قَالَا حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَمَرِيُّ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّحَّاحِ وَمُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَتِيقُ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ قَالَا حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ الرَّزَّاقِيُّ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ «الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ إِلَّا فِي الْقَسَامَةِ».

## خامساً: تفسير قوله تعالى:

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قضية الصراط:

على صراط مستقيم:

بعد أن تم تناول قضية الرسالة كانت الحاجة إلى بيان الطريق الذي سار عليه كل الرسل فكانت قضية الصراط المستقيم. ونتحدث عن الصراط أولاً ومعناه، ثم معنى المستقيم، ولماذا وصف الصراط بالاستقامة مع أن الاستقامة مفهومة من لفظ الصراط. ولماذا عبر بـ على ولم يعبر بلفظ إلى صراط أو في صراط، وغير ذلك من المسائل.

الصراط: لغة: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه يَمَنَّةً أو يَسْرَةً.

والصراط مأخوذ من السَّرَط فنقول سَرَطَ الشَّيْءُ أى ابتلعه، وكذلك الطريق يبتلع المارة باحتوائه لهم. وهذا يستطيع أن يتخيله من يركب فى سيارة مسرعة وينظر أمامه فيشعر وكأن الطريق فَم يبتلع السيارة بمن فيها.

ومنه فى اللغة: الصرط للطعام، أى يطلق على ابتلاع الطعام فيقال صرط الطعام.

وأيضاً هناك السبيل: بمعنى الطريق، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف ١٠٨). وهو أعم فقد يكون واضحاً أو غير واضح. والسبيل سمي كذلك لأنه تمر عليه السائبة وهم المارة.

س: لماذا لكم يعبر بلفظ (الطريق) وإنما عبر بلفظ (الصراط)؟

ج: لأن الطريق من الممكن أن يكون معوجاً يميناً أو يساراً، إنما الصراط يمتاز عن الطريق العادى أنه طريق واضح ومستقيم لا اعوجاج فيه.

س: ولماذا وصفه بالمستقيم رغم أن الاستقامة موجودة ضمنا في معناه؟  
ج: الصراط لا اعوجاج فيه يمنة ولا يسرة، ولكنه من الممكن أن يكون فيه مرتفع ومنخفض أى اعوجاج رأسى، فجاء التعبير بلفظ (مستقيم) لينفى الاعوجاج مطلقا سواء يمنة ويسرة أو إلى أعلى وإلى أسفل.

**تفسيرا:** التعبير بالصراط هنا استعارة، لأننا لا نسير فى طريق برى أو بحرى أو جوى، وإنما نحن نسير فى طريق الله. وبالتالي يكون لفظ (الصراط) استعارة لأحد المفردات الآتية:

- ١- الصراط المستقيم هو الإسلام،
- ٢- الصراط المستقيم هو القرآن،
- ٣- الصراط المستقيم هو ما تركنا عليه رسول الله ﷺ ، أى سنته،
- ٤- الصراط المستقيم هو الحق.
- ٥- الصراط المستقيم هو الفضيلة التى هى وسط بين رزيلتين،
- ٦- الصراط المستقيم هو الجسر الممدود على متن جهنم وموصل إلى الجنة، والذى سوف يسير عليه البعض والآخر يزحف وهناك من يجرى وآخر يطير، وكذلك من يمر كالبرق وهكذا<sup>٩١</sup>.
- ٧- أو هو رسول الله ﷺ وصاحبه من بعده سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما.

وكل وجه من هذا الوجوه له تفاصيل كثيرة يرجع إليها من يريد ذلك فى تفسيرنا لسورة الفاتحة. ومن ذلك:

ما رواه أحمد فى مسنده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَوَّارٍ أَبُو الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا لَيْثٌ - يَغْنَى ابْنُ سَعْدٍ - عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوَاسِ بْنِ

(٩١) وهنا استطرد فضيلة أ.د. جودة فى بيان حال بعض من يتجاوزون الصراط بخصوصية معينة ومنهم سيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت سيدنا رسول الله ﷺ : "... وبينما المسلمون فى مشاهد القيامة وإذا بملك ينادى أهل الموقف: يا أهل الموقف غضوا أبصاركم فإن فاطمة بنت محمد تمر على الصراط فيأتى نور يمر كالبرق اللامع"، وإذا كان الرجال مأمورون بغض البصر، فالنساء يغضضن أبصارهن حتى لا يُخْطَفَ من النور. فالبرق يخطف الأبصار إذا نظرت إليه لحظة. فكيف بنور بنت النبي ﷺ !.

سَمِعَانَ الْأَنْصَارِيَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطُ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مَفْتُحَتَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّقُوا وَدَاعِي يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ وَيَحْكُ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلَجُّهُ وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتُحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ ».

(عَلَى): عبر بلفظ على هنا بدلا من فى أو أى حرف آخر لمعانى يمكن استشعارها فيما يلى:

س: لماذا عبر بالحرف (على)؟

ج: إنما عبر بحرف (على) التى هى مشتقة من العلو ليفيد تمكن النبى ﷺ من الصراط تمكن المستعلى على الشئ من الشئ، ويفيد من **باب الإشارة** أن النبى ﷺ له أعلى مرتبة على الصراط.

ونتذكر قوله تعالى فى أوائل سورة البقرة: ﴿الم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، كما نتذكر قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٤) أن سيدنا النبى ﷺ على قمة الخلق العظيم، ولذلك لم يعبر بلفظ (لذو خلق). فالخلق يشرفون بالخلق العظيم والخلق العظيم يشرف بسيدنا محمد ﷺ ٩٢.

٩٢ ( ولقد من الله تعالى على أثناء إلقاء أ.د. جودة هذه المحاضرات وفى هذه اللحظة التى يتحدث فيها عن قدر النبى ﷺ بمعنى أفرق على فضيلته وشجعتى قائلا: "أنت تمتص جيذا، الله ينور عليك" فكان من أفضل الأدعية التى نالتنى بركتها. والحمد لله أولا وآخرا فالفضل كله لله تعالى. وهذا المعنى هو: "استشعارا من قوله تعالى فى كتابه العزيز يمدح رسوله الكريم ﷺ قائلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٤) أى كان الخلق مطية للنبي ﷺ بوجهه حيث يشاء وأينما وجهه النبي ﷺ فهو الخلق، وأينما سار النبي ﷺ كان الخلق، فكَذَلِكَ أَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فَهُوَ الصِّرَاطُ، فالصراط هو النبي ﷺ والطريق هو النبي ﷺ، ويناسب ذلك ما عبر شاعر السلف عنه قائلا:

وأنت باب الله أى امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

فالله تعالى حكم ألا يدخل عليه أحد إلا من طريق النبي ﷺ وخلف النبي ﷺ، فهو القدوة ﷺ.

س: وهل الصراط هو المستقيم أم أن سالكه هو المستقيم؟

ج: قد يستقيم الصراط ولا يستقيم السالك. لذلك قال البعض: المستقيم سالكه. ولذلك قرر المولى عز وجل الحقيقة بالنسبة للنبي ﷺ قائلا: عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لبيان أنه تربع على قمة السلوك، وقمة الصعود، وقمة الترقى إلى أعلى المقامات

ملحوظة هامة وقبل أن نتعرض لمعانى الصراط المستقيم أود أن أشير إلى حقيقة هامة جدا سوف تفيدنا عند الوقوف على هذه المعاني، وانتبهوا جيدا لعقيدتنا أن مقام سيدنا النبي ﷺ عند قاب قوسين أو أدنى بينما بقية الرسل كل عند مرتبته وهي مراتب عليا، ولا يُقاسُ بها أعظم ولي. رغم أن الولاية عندنا هي قمة القمة، لكن الرسالة أعلى وأشرف وأعظم، فكل المفتريين بأن الصوفية يفضلون المولى على الرسول هو باطل. فالصوفية يقولون إن أعظم ولي لا يفضل أي نبي ولا رسول مطلقا ولا يساويه بأي حال.

على صراط مستقيم: لها تفاسير عدة<sup>٩٣</sup>:

قال الزجاج: لعلى صراط الأنبياء الذين تقدموا قبلك.

وقال الزمخشري: قال عَلَى صِرَاطٍ وَلَمْ يَقُلْ (على الصراط)، فالتنوين يدل على العظمة (التعظيم)<sup>٩٤</sup>. فقوله (على صراطٍ أى لا يُكْتَنَى وَصْفُهُ فى العظمة لأنه صراطك الخاص بك يا رسول الله وليس عموم صراط من تقدموا قبلك)، أى أنك وحدك لك صراط مستقيم.

وقال الشيخ إسماعيل حقى نقلا عن الشيخ نجم الدين داية: "لعلى صراط ليس لأحد غيرك لأنه صراطك الخاص بك الذى وصلت به إلى مقام قاب قوسين أو أدنى". ولذلك فسيدنا النبي ﷺ فى

٩٣ ( وقال الرازى فى تفسيره: "لتحصيل الهداية طريقان: (١) أحدهما طلب المعرفة بالدليل والحجة، وطرق الاستدلال غير متناهية لأنه لا ذرة من ذرات العالم الأعلى والأسفل إلا وتلك الذرة شاهدة بكمال إلهيته وبعزة عزته وبجلال صمديته، كما قيل: وفى كل شيء له آية. نَدُلُّ على الله واحداً. (٢) تصفية الباطن والرياضة وذلك بحر لا ساحل له ولكل واحد من الساترين منهج خاص ومشرب معين، كما قال ( ) ولا وقوف للعقول على تلك الأسرار، ولا خبر عند الأفهام من مبادئ تلك الأنوار، والعرفون المحققون لخطوا فيها مباحث عميقة، وأسرار دقيقة، فلما ترقى إليها أفهام الأكثرين.

٩٤ ( التنوين كما يكون للتعظيم يكون للتقليل والتحقير مثل: "وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ" (فاطر ١٣) والقطمير هو اللقافة التى على نواة البلحة فهى ضئيلة.



لسيلة الإسراء والمعراج مر بالسماء الأولى وفيها سيدنا آدم، والثانية فيها عيسى ويحيى والثالثة فيها يوسف والرابعة فيها إدريس والخامسة فيها هارون والسادسة فيها سيدنا موسى والسابعة فيها سيدنا إبراهيم وهكذا باقى من قابلهم من الأنبياء والمرسلين<sup>٩٥</sup> فكل منهم فى مقامه الذى صعد إليه على صراط مستقيم أما صراطك يا أفضل الرسل فلم يتوقف عند هؤلاء الأعظم وإنما صعدت به إلى ما فوق سدرة المنتهى، إلى مقام قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. وانتبهوا لقولـه تعالى (إِنَّكَ) أى أنت وحدك، وقولـه تعالى له فى موضع آخر (وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا).

(٩٥) وذلك إشارة إلى حديث المعراج فى البخارى وقامه: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ . وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ وَهَشَامٌ قَالَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ - وَذَكَرَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأَتَيْتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَلَأْتُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَشَقُّقُ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِ الْبَطْنِ ، ثُمَّ غَسَلَ الْبَطْنَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ مَلَأْتُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، وَأَتَيْتُ بِدَانِيَةِ أَبِيصَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقِ ، فَاطْلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَبْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، وَلَنَعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَكْبَى . فَأَتَيْتَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قِيلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، وَلَنَعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَكْبَى . فَأَتَيْتَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، وَلَنَعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . فَأَتَيْتُ يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَكْبَى فَأَتَيْتَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قِيلَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، وَلَنَعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ مَرْحَبًا مِنْ أَخٍ وَكْبَى . فَأَتَيْتَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ . قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ ، وَلَنَعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . فَأَتَيْتَا عَلَى هَارُونَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَكْبَى . فَأَتَيْتَا عَلَى السَّادِسَةِ ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ ، وَلَنَعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى ، فَسَلَّمْتُ { عَلَيْهِ } فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَكْبَى . فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَّى . فَقِيلَ مَا أَبْكَاكَ قَالَ يَا رَبِّ ، هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ مِنِّي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي . فَأَتَيْتَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ ؟ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ . قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ . قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ ، وَلَنَعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَكْبَى ، فَرَفَعَ لِي النَّبِيُّ الْمَعْمُورَ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا النَّبِيُّ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يُعْودُوا إِلَيْهِ آخَرُ مَا عَلَيْهِمْ ، وَرَفَعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِيُّهَا كَأَنَّهُ قَلَالٌ هَجَرَ ، وَوَرَفَّهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفَيْوَلِ ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَهْزَانٍ أَهْزَانٌ بَاطِنٌ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ أَنَا الْبَاطِنَانِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ الْكَيْلُ وَالْفَرَاتُ ، ثُمَّ فَرَضْتُ عَلَى خَمْسُونَ صَلَاةً ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى ، فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ فَرَضْتُ عَلَى خَمْسُونَ صَلَاةً . قَالَ أَنَا أَغْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ ، غَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالِجَةِ ، وَإِنْ أَمْتُكَ لَا تُطِيقُ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّ . فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ، ثُمَّ مِثْلَهُ ثُمَّ ثَلَاثِينَ ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرِينَ ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا ، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا ، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ جَعَلَهَا خَمْسًا ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، قُلْتُ سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ ، فَنُودِيَ إِلَيَّ قَدْ أَمْطَيْتُ قَرِيبَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي ، وَأَجْزَى الْحَسَنَةَ عَشْرًا » . وَقَالَ هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « فِي النَّبِيِّ الْمَعْمُورِ » .

﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾

تنزيل

وهنا يدور الحديث حول تنزيل<sup>٩٦</sup> القرآن ومعناه وارتباط ذلك باسمي العزيز الرحيم.

التفسير الظاهري:

**تَنْزِيلٌ** : فيها ثلاث قراءات بالفتح والضم (وهم متواترتان)، وقرأ بالفتح عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر، والضم وقرأ بالضم نافع وابن كثير، وبالكسر (وهي شاذة) وقرأ بها ابن أبي عجلة.

**تَنْزِيلٌ** : بالنصب، التَنْزِيل مصدر نَزَلَ يَنْزِلُ تَنْزِيلًا، وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا. فهي مصدر معمول لفعل مقدر تقديره نَزَلَ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَوْ نَزَّلَهُ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، فقال تعالى ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُنَزِّلَهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء ١٠٦).

وقد تحمل معنى آخر لقراءة النصب بالمعنى أو المدح أو الاختصاص "أعنى تنزيل العزيز الرحيم" أو "أمدح تنزيل العزيز الرحيم".

وتَنْزِيلُ الْقُرْآنَ ليس تنزيل القرآن من مكان عالٍ إلى مكان أسفل منه، فكلام الله لا ينتقل. فالمراد بالتنزيل إظهار الشيء من عالم الملكوت إلى عالم الملك. ومن العلماء من قال بأن القرآن له ثلاث تنزلات<sup>٩٧</sup>:

٩٦ ( معنى نزول القرآن لغة هو انحدار الشيء (المبوط) من غُلُوٍّ إلى سُفْلٍ (نزل فلان من الجبل) (وهو المعنى الحقيقي في لغة العرب لأنه المتبادر إلى الذهن والتبادر أمانة الحقيقة. كما يطلق على الحلول في مكان والأوَّى به (نزل الأمير المدينة) وهذا قاله الزمخشري في الكشف. ولما كان كلا المعنيين لا يليق إرادته هنا في إنزال الله للقرآن قال المحققون إن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته، فهو مجاز مرسل علاقته اللزوم.

٩٧ ( هذه الآراء أوردها أ.د. جودة بشي من التبسيط للحاضرين وبما يخدم الهدف المشار إليه في هذا المنهج الخاص بالتفسير الإشاري. ولكن على من يريد التفاصيل الرجوع إلى مطائفا في الكتب المطولة حيث يتم بحث هذه التنزيلات ودراسة الاعتراضات عليها والترجيح والتحقيق في هذه المسائل فهي من الغيبيات التي لا بد من إعمال قاعدة "الغيبات لا تتلقى إلا بالسمع". ونشير بعد قليل لبعضها.

١- القرآن الكريم فى أم الكتاب فى علم الله، وعلم الله أزلّى قديم لا زمان ولا مكان. فلا أول لوجوده ولا آخر. فالله تعالى أراد إظهار القرآن من علم الله إلى اللوح المحفوظ ونسخته الحفظة أو كتبه القلم الإلهى فى اللوح المحفوظ. وهذا غير مؤقت بوقت<sup>٩٨</sup>.

٢- تنزيله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا فى ليلة القدر ودليله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا<sup>٩٩</sup>.

٣- تنزيله على قلب الحبيب المصطفى الأعظم سيدنا محمد ﷺ ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء ١٩٢-١٩٥) <sup>١٠٠</sup>.

٩٨ ( ) واخققون على أن التنزيل الأول إلى اللوح المحفوظ بطريقة وفى وقت لا يعلمهما إلا الله ومن أطلعه على غيبه، وحكمة هذا النزول من الحكمة العامة من وجود اللوح نفسه وإقامته سجلا جامعا لكل ما قضى الله وقدر وكل ما يكون من عوالم الإيجاد والتكوين. قال الزرقانى "والإيمان باللوح وبالكتابة فيه أثر صالح فى استقامة المؤمن على الجادة وتفانيه فى طاعة الله وبعده عن مساخطه ومعاصيه لاعتقاده أنها مسطورة عند الله فى لوحه مسجلة لديه فى كتابه"  
٩٩ ( ) ويستدل الجمهور على ذلك بأحاديث أربعة موقوفة وأنها صحيحة وفى حكم المرفوع، إلا أن اخققين يقولون بخلاف ذلك: ".. سلمنا بأنها حكم المرفوع ولكنها آحاد فهي ظنية فلا يلزمنا الاعتقاد بخبر الواحد، فهو معتبر ولكن إذا أنكره واحد فلا نكفروه..." (راجع محاضرات علوم القرآن أ.د. محمد سالم بالرواق العباسى بالأزهر الشريف عام ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، وساقوا الأدلة على عدم وجوب الإلزام باعتقاد هذا التنزيل الثانى وأن القول المختار الذى يخرجنا من التعارض للأدلة هو قول الشعبي "أنه ابتدئ إنزاله فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما فى وقات مختلفة من سائر الأزمان على النبى ﷺ" قال الزرقانى وكان صاحب هذا القول ينفى النزول جملة إلى بيت العزة بالسماء الدنيا فى ليلة القدر..

١٠٠ ( ) هذا هو واسطة عقد التنزيلات لأنه المرحلة الأخيرة التى منها شاع النور على العالم ووصلت هداية الله إلى الخلق. وكان هذا النزول بواسطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبى ﷺ بدليل الآية أعلاه من سورة الشعراء. أما عن كيفية أخذ جبريل للقرآن وعمن أخذ فهذا من أنباء الغيب فلا يطمئن الإنسان إلى رأى فيه إلا إن ورد بدليل صحيح عن المعصوم ﷺ. ولقد ورد فى ذلك أقوال متنوعة هنا وهناك وأيا ما تكن هذه الأقوال فإن الموضوع لا يتعلق به كبير غرض ما دمتنا نقطع بأن مرجع التنزيل هو الله تعالى وحده ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فما قيمة البحث فى كيفية أخذ جبريل للقرآن (مناهل العرفان). والحق أن النزول بالمعنى واللفظ فالقلب وعاء المعاني ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ كما فى الآية وأيضا ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ إشارة إلى اللفظ. وأما كيفية أخذه ﷺ القرآن من جبريل ففيه طريقتان أن النبى ﷺ كان ينخلع من صورته البشرية إلى صورة الملكية فيأخذه أو أن جبريل ينخلع من صورته الملكية إلى البشرية حتى يأخذه الرسول ﷺ منه. (الآلئى الحسان: لموسى شاهين لاشين).

**تَنْزِيلٌ**: بالرفع. فالله تعالى أقسم بالقرآن وأتى بالمقسم عليه إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم، أعاد الكلام إلى القرآن على نية مبتدأ محذوف مقدر هو تنزيل العزيز الرحيم. وهنا يتبادر سؤال هام: هل القرآن هو نفس التنزيل أم المُنزَّل؟

س: هل القرآن هو التنزيل أم هو المُنزَّل؟ القرآن مُنَزَّلٌ، و مُنَزَّل اسم مفعول. وتنزيل مصدر، فكيف أبدل التعبير باسم المفعول وأتى بالمصدر، ولماذا؟ أى لماذا لم يقل هو مُنَزَّل العزيز الرحيم"، وقال "تنزيل العزيز الرحيم"؟

ج: عبر بالمصدر فى موقع المفعول لإفادة عراقة المنزل فى نزوله. كقولنا "قاضٍ عدل" أى كأنه هو نفس العدل. فأعظم ما نُزِّلَ من حضرة الغيب إلى حضرة الشهادة كتابُ الله لأنه كلامه وكلامه صفته والصفة تستمد عظمتها من عظمة الموصوف، ولذلك جاء فى الحديث الشريف<sup>١٠١</sup> "فَضَّلَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ". ولذلك عبر بقوله "تنزيل". أى هو نفس التنزيل.

الوجه الإشارى:

سبق وأن ذكرنا فى قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، إنك: للمواجهة بالتشريف، وإن: لها اسم منصوب وخبر مرفوع. والـك: كاف الخطاب اسم إن. لمن المرسلين: خبر إن، كما أن لها عدة أخبار أخرى، هى: (على صراط مستقيم) خبر ثانى، (تنزيل) خبر ثالث.

(١٠١) وقام الحديث عند الترمذى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبْدِ الْعَبْدِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْهَمْدَانِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَنِي أَغْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ وَفَضَّلَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ». قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وكذلك رواه الدرামী.

أى إنك يا رسول الله تنزيل العزيز الرحيم فهو قد قال سبحانه ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا \* رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ (الطلاق ١٠-١١) ، كما أن من أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ "ذِكْرُ اللَّهِ" (راجع دلائل الخيرات). وبذلك فإن حقيقة سيدنا النبي ﷺ ليست قاصرة على المظهر البشرى المتمثل فى البشرية المولودة فى شهر ربيع الأول سنة ٥٧١م، إنما الحقيقة المحمدية هى ﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فتكون هى لإفادة الحقيقة المحمدية.

أى أن الخطاب مستمر للنبي ﷺ :

يس \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، إِنَّكَ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. أى أن المنزل يستمد قدسيته من المنزل. ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء ٨٠)، وكذلك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح ١٠)

### العزیز :

العزیز: من العزة<sup>١٠٢</sup>، وهى الإباء والغلبة والامتناع.

ويطلق لفظ العزة على الشئ النادر. فيقال عزيز للشئ النادر.

والعزيز القوى الغالب الذى لا يمتنع عليه شئ، الغنى بذاته عن كل العالمين لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية.

وكذلك قوله تعالى فى آخر سورة التوبة حينما تقف عند قوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فتقراها ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ﴿ عَزِيزٌ ﴾ ﴿ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أى أنه رسول من أنفسكم وهو عزيز. وعليه عنتمكم. فعنتمكم ثقيل هو رحمة بكم لأنه رحمة فهو الذى قال عنه مولاه فى سورة الانبياء ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

١٠٢ (عَزَّ فُلَانٌ وَعِزَّةٌ وَعِزَّةٌ قَوِيٌّ وَبَرٌّ مِنَ الذَّلِّ. وعز الشئ قل فلا يكاد يوجد وعز الأمر عليه اشتد يقال عز على أن تفعل كذا اشتد وشق فهو عزيز والعزة القوة والغلبة (معجم).

لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٣﴾ ، وقال هو ﷺ ﴿ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدُّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا ، فَأَنَا آخِذٌ بِجُحُزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا ﴾ (ق). ففي الحديث إنه ﷺ لتصيب أحدكم الشوكة فأجد لها في جسدي ﷻ ، وهذا الحديث روى في النسخات الأقدسية لشرح الصلوات الإدريسية لسيدى أحمد بن إدريس. لأن سيدنا النبى ﷺ حقيقة الحقائق، وسر كل شئ في الوجود وأقرب الناس له أمته وإحساسه فينا، فهو لا يرانا فقط وإنما يحس بإحساسنا ويشعر بنا ويتألم لألمنا، ومع هذا أعطاه الله تعالى قوة لكي يتحمل فما من أحد من أمة محمد ﷺ تصيبه شوكة أو أى ألم يحس بها لأنه الحقيقة الجامعة وروح الوجود التى تحس وتشعر بكل موجود بترتيب الأقرب أمته (كما جاء فى الصحيحين: .. أمتى أمتى...) ١٠٣ ، وفى القرآن ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ (الكهف ٦) ، وأيضاً ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ (فاطر ٨) ، ثم واساه فى سورة يس قائلا ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يس ٧) أى لا تحزن كثيرا يا حبيبى يا رسول الله فإن من كفر من أمة الدعوة من أمتك فحكم الله سابق فيهم فلا تحزن، ولحكم الله حكمته، فالله حاكم وحكيم وحكم. فهو ﷺ يفرح عندما نطيع ويحزن عندما يصاب أحد منا.

( ١٠٣ ) وذلك من حديث الشفاعة العظمى فى الصحيحين وغيرها، ورواية البخارى: « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَا جِئَ النَّاسُ بِغَضُّهُمْ فِي بَعْضِ قِيَاتُونَ آدَمَ يَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ يَا إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ . فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ . فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا . فَاسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مُحَامَدٌ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَخْضَرُنِي الْآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامَدِ وَآخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْأِفْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ . فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمْنِي أُمْنِي . فَيَقَالُ اطْلُقْ فَأَخْرَجَ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَأَطْلُقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُوذُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامَدِ ، ثُمَّ آخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْأِفْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ . فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمْنِي أُمْنِي . فَيَقَالُ اطْلُقْ فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ أَوْ خَرَدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ . فَأَطْلُقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُوذُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ ، ثُمَّ آخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْأِفْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ . فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَنْذَنَ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَيَقُولُ وَعِزِّي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَانِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

## الرحيم :

الرحيم: المتفضل بالإنعام والإحسان على خلقه مع غناه عنهم<sup>١٠٤</sup>.

وهنا يتبادر سؤال عن سر الجمع بين العزيز الرحيم.

س: لماذا جمع الله تعالى الوصفين العزيز الرحيم معا؟

ج: لأن الملك عندما يُرْسِلَ رسولا إلى قوم برسالة فيما أن يُخَالِفَ الْمُرْسِلَ ويهيئوا الْمُرْسِلَ (الرسول) عندئذ لا يقدرُ على الانتقام منهم إلا العزيز. وإما أن يطيعوا الْمُرْسِلَ ويكرموا الْمُرْسِلَ عندئذ لا يقدرُ على الإحسان عليهم إلا الرحيم. فلذلك قال ﴿ تَتَرَى الْغَزِيرَ الرَّحِيمَ ﴾.

١٠٤ ( سبق الشرح المستفيض لصفة الرحمة في تفسير البسملة.

## سابعا: تفسير قوله تعالى:

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾

### قضية الإنذار:

بعد أن بين المولى عز وجل قضية الرسالة انتقل القرآن الكريم لبيان قضية الإنذار وأنه من وسائل الدعوة إلى الله، وهذا يذكرنا بمبدأ (قاعدة) الضرورة العملية، وهو أن الداعي لو كان كاذبا فعليه كذبه ولم نخسر شيئا، وإن كن صادقا كسبنا اتباعه.

والإنذار: لغة: الإعلام بالأمر المخوف ليحترز منه. أو الإعلام بالشر وقد يطلق على التخويف فقط<sup>١٠٥</sup>. كقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ (النبا ٤). فالإنذار يكون بالعذاب. ولقد بعث سيدنا رسول الله ﷺ بمهام كثيرة، ومن أهم مهام النبي ﷺ الإنذار ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا\* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب ٤٥-٤٦)، وكذلك من قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبا ٢٨).

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ لها ارتباط بما قبلها ارتباطا نحويا وارتباطا معنويا<sup>١٠٦</sup>.

لتنذر: اللام هنا لام التعليل. وانتبه فالفعل لا يُنصَب باللام ولكن بأن المضمر جوازا بعد لام التعليل.

تنذر: فعل مضارع منصوب بأن مقدرة جوازا بعد لام التعليل. والتقدير "لأن تنذر"<sup>١٠٨</sup>.

١٠٥ (نذر بالشئ نذرا ونذارة علمه فحذره يقال نذروا بالعدو. ألدرة الشئ أعلمه به وخوفه منه، والنذارة الإنذار. والتذير الإنذار والمُنذر (معجس).

١٠٦ (وصفة شاهدا في هذه الآية دليل عند المحققين على أولوية خلقه ﷺ

١٠٧ (أول شئ في التفسير للنص القرآني أن نظهر العلاقة والتعلق النحوي والبياني للآية التي نحن بصدد تفسيرها بين علاقاتها بالآيات السابقة. وهناك ارتباط نحوي وهناك ارتباط معنوي مبني على الرؤية النحوية.



ونتعرض في هذه الآية إلى وجوه التفسير لهذا الارتباط ثم نتعرض لمعنى الإنذار:

أ- قوله تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بقوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أى إنك لمن المرسلين لتنذر قوما. فيكون التعلق هنا محوره هو شخص الرسول ﷺ. والتعلق هنا هو تعلق معنوى. أى طالما أنك من المرسلين فانت مرسلٌ وسبب إرسالك هو أن تُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ.

ب- قوله تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بقوله تبارك وتعالى ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ على قراءة النصب وهى قراءة متواترة كما سبق وأن بينا. والنصب هنا فى تنزيل منصوب على المدح وتقديره "أمدحُ تنزيل العزيز الرحيم".

ج- قوله تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بقوله تبارك وتعالى ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ على قراءة الرفع وهى أيضا قراءة متواترة كما أوضحنا سالفًا. والرفع هنا على تقدير أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو تنزيل العزيز الرحيم".

ومن ذلك إشارة صوفية لا بد من الوقوف عليها بشئ من التفصيل:

استكمالاً لما قرناه في اللقاء السابق مختصراً حول هذا المعنى أنه خبر لحرف إن في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهذا هو ما بيناه في اللقاء السابق من أن خبر إن متعدد على ثلاثة أخبار هى:

١٠٨) وهذا التقدير جوازى لأنه من الممكن أن يظهر في بعض الحالات مثل قوله تبارك وتعالى ﴿لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ (الحديد ٢٩) حيث جاءت يعلم منصوبة بأن الظاهرة أى "لأن لا يعلم".

لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل. أى إنك يا رسول الله  
تتريلُ العزيز الرحيم فقد قال سبحانه ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا \* رَسُولًا  
يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ (الطلاق ١٠-١١) ، كما أن من أسماء  
النبي ﷺ "ذِكْرُ اللَّهِ". وبذلك فإن حقيقة سيدنا النبي ﷺ ليست قاصرة على المظهر  
البشرى، إنما الحقيقة الحمديّة هي كما بين القرآن الكريم هو ﴿ تَرِيلُ الْعَزِيزِ  
الرَّحِيمِ ﴾ ، فتكون هي لإفادة الحقيقة الحمديّة، ولابد هنا من استشعار الجمال  
والتوجه الروحي عندما نعرف أن شخص حضرة النبي ﷺ ذُكر. وهذا لا بد له من  
التمعق روحيا للوقوف على معنى "ذِكْرُ اللَّهِ". فهل الذكر هو طرد الغفلة بالحضور،  
والحضور هو الحضور مع الله.  
أى كأن النظر إلى حضرة النبي ﷺ حضورٌ مع الله. وأنت في معية الرسول ﷺ أنت في  
معية الله لأنه تتريلُ الله. واحذر أن تفهم كلمة "تنزيلُ الله" بصورة خاطئة أو أن  
تغالى فيها<sup>١٠٩</sup>. ولكنه كما قال سيدى محمد أبو المواهب الشاذلى "سيدنا محمد ﷺ  
بشّرُ لا كالبشر، بل هو ياقوتُ بين الحجر".

(١٠٩) أو أن ترفع حضرة النبي ﷺ إلى مرتبة الألوهية. فلقد قال ﷺ فيما رواه البخارى في صحيحه "حَدَّثَنَا  
الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ أَخْبَرَنِي غُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا  
عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. وفي ذلك قال الإمام البوصيرى في برده:

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ      وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ  
وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكَرَامَ بِهَا      فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ  
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلُ هُمْ كَوَاكِبُهَا      يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

فمن المعروف والمسلم به في عقيدة المسلمين أنه ﷺ بشر وهذا هو ما قرره القرآن ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ  
يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (الكهف ١١٠-١١١-فصلت ٦) فهو ﷺ أعظم البشر، وهو في أعلى مقام وهو مقام  
العبودية لله عز وجل وهو في ترقى دائم لا ينقطع إلى يوم الدين.

كما بين هو ﷺ نفسه حقيقته وأنه إن كان كمظهر بشري فلاجل أن ننتفع به ﷺ لكن حقيقته قررها ﷺ أنها فوق البشرية ومن ذلك قوله ﷺ " إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَيَبْتُ يُطْعَمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي " (مك) ١١٠ . وطالما هو عند ربنا فطعامه ليس كالطعام المعروف من الخضروات والفاكهة والسلطات وغيرها، فافهم.

ولذلك فإن الأولياء تزداد ولايتهم وارتفع قدرهم قدر ما تخلصوا من بشريتهم، ولا يفهم أحد هذا المعنى خطأ فالولى لا يتخلص من بشريته نهائيا فهو بشر وسيظل بشرا، وإنما هو المعنى المراد بالتجرد من البشرية.

ولقد عبر عنه الإمام الجنيد سيد الطائفة في تعريفه للتصوف بأنه " إخما د الصفات البشرية "، أى ألا يتحكم فى الإنسان الجوع والعطش لأنه كلما كان مع الله أكثر وأكثر كلما أعطاه طاقة للتحمل والتغلب على هذه الأشياء. وهذا من كرامات الأولياء. وانتبه لما عبر عنه الإمام الغزالي فى قصيدة جميلة قائلا:

### (وَطَعَامِي وَشَرَابِي وَاحِدٌ)

فالنظر بالمشاهدة إلى ذات الله تعالى هى الطعام والشراب. فإذا نظرت الله تعالى تستغنى عمن سواه. استغناء بالله. فالعلماء هم ورثة الأنبياء فى علومهم، والأولياء هم ورثة الأنبياء ليس فى الدرهم والدينار أو العلم فقط ولكن فى العلم والتحقيق. فالعلم يظل كما هو مكتوب بالقلم الرصاص حتى يعمل به صاحبه فيكون حجة له أو حجة عليه. فعلوم الأولياء الحقيقية. وهذا هو ما قرره الإمام الغزالي حيث قال "التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة"، والعلم لا يُثمر إلا بالعمل، والعمل لا يُثمر إلا الموهبة. والموهبة تشمل الأحوال والمقامات من كونه صابرين وصادقين وذاكرين و... إلخ، وكل هذا من نتيجة العمل بالعلم. "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم" ١١١، ونسأل الله أن نكون منهم.

(١١٠) وتام هذه الرواية فى موطأ مالك (مك) هو: حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِنِّي لَأَكُونُ وَالْوَصَالِ إِنِّي أَكُونُ وَالْوَصَالِ ». قَالُوا فَإِنَّكَ تَوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَيَبْتُ يُطْعَمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي ». وهناك روايات عديدة لهذا الحديث فى الصحيحين (خ/م) وغيرها ومنها أيضا رواية مسند أحمد (حم) وتامها: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ غَامِرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ عَنْ غَاصِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَصَالِ. قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَوَاصِلُ قَالَ « إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي ».

(١١١) رواه أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه.

وهنا لابد من إيضاح أمر مهمة الرسول ﷺ ولماذا قصرها المولى عز وجل على الإنذار دون البشارة في هذه الآية الكريمة من سورة يس!

س: لماذا اقتصر على الإنذار في الآية ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، ولم يضم إليها البشارة؟

ج: قال لتنذر قوما ولم يقل لتبشر مراعاة للمقام. فالمقام هنا للإنذار لأن ما بعدها قوله تعالى ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، فإذا استيقظوا نبشروهم. أى أنهم طالما هم غافلون وفى غفلتهم فننذرهم.

الْمُنْذَرُ بِهِ: ولابد من بيان الْمُنْذَرِ بِهِ، وهو كالتالى ظاهريا وإشاريا:

**ظاهريا:** لتنذر قوما النار والعذاب ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، وهذا هو الوجه الظاهري. ولابد من التمييز بين الْمُنْذَرِ بِهِ ووسيلة الإنذار، فالقرآن الكريم مثلا هو وسيلة الإنذار ولكن العذاب (جهنم) هو المنذر به.

**إشاريا** العذاب عند الناس كافة هو العذاب بجهنم أو بالزمهرير أو بسقر أو بالهاوية أو بالخطمة<sup>١١٢</sup>. أما عند الصوفية فالعذاب هو الحجاب عن الله. والتقدير لتنذر قوما بالاحتجاب عن الله والابتعاد عنه، وهذا الحجاب أشد من السعير وذلك من قوله تبارك وتعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين ١٥). وانتبهوا فلقد قدم ذلك على قوله تعالى فى نفس السورة فى الآية التالية مباشرة ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ (المطففين ١٦). فأتى بالحجاب قبل الجحيم، فالحجاب أشد من الجحيم. ويتحدث سيدى أبو اليزيد البسطامى رحمه الله قائلا: أنا أتمنى أن يوقفنى الحق تبارك وتعالى فى الموقف (الآخرة) بين يديه ويقول لى كلمة واحدة: يا عبدى، وبعد ذلك يفعل بى ما يشاء. وذلك لأن قوله تعالى عبدى أى ينسبني إليه، والذى يُنسبُ إلى الله لا تضره نار. فهو فى معية الله. فيكون المنذر به الحجاب عن الله.. القطيعة عن الله.

(١١٢) وأسماء النار ليست متواردة على مُسمى واحد ولكن كل منها غير الآخر كما قرر ذلك السادة العلماء.

ولذلك فإن لبّ التصوف هو تعريف الإمام الجنيد "الكَوْنُ مع الله بلا علاقة"، أى بغير علل. ولذلك تجد العوام فى عباراتهم عندما يجدون أحدهم يفكر فيقولون له "كن مع الله" وكثير من الناس يكتبها ويعلقها فى أماكن عديدة حتى فى المحلات التجارية. وهى عبارة فيها الإسلام كله.. الإسلام والإيمان والإحسان.

#### قوما :

وسبق بيان معنى ﴿قَوْمًا﴾ أنهم الرجال القائمون بالأمر، ويلحق بهم النساء<sup>١١٣</sup>. وهى نكرة بالتثنية ولم تأت معرفة بالإضافة أو بأى شئ آخر، والتثنية للتخصيص. وفى ذلك ملمح صوفى.

س: لماذا جاء بلفظ ﴿قَوْمًا﴾ على سبيل النكرة ولم يأت به معرفة بالإضافة "قومك"؟

ج: يناسب قومك أن يكونوا مع التشرف بالنسبة إليك باطنا تأتى النسبة بالإضافة ظاهرا. ولكن هؤلاء لأنهم غافلون وأنهم يحتاجون إلى الإنذار فلا يصح إضافتهم إليك وأنت سيد المتيقظين، فهم غير جديرين بحضرته وبالإضافة إلى ضميره ﷺ.

#### ما أنذر آباؤهم :

وهنا يصف القوم بِجُمْلَةٍ ﴿قَوْمًا مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ﴾. إذن هذه الجملة واقعة صفة لبيان شدة حاجتهم إلى الإنذار. فالجمل تتسلسل فى تصاعد للغاية.

س: لماذا جاءت الآية الكريمة ﴿لِتَنْذِرَ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، ولم تأتى على نحو لتنذر قوما لأنهم غافلون؟

ج: لأنهم مساكين وإنما تأتى لتنذرهم رحمة، وهذا الإنذار فى تحد ذاته رحمة.

(١١٣) القَوْمُ الجماعة من الناس تجمعهم جماعة يقومون لها، وقوم الرجل أقاربه عصبية ومن يكونون بمزاجهم تبعاً له. والقومية صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك فى الوطن والجنس واللغة والمنافع (معجس).

مَا: فيها عدة وجوه متفق عليها كالاتى:

- \* نافية: بمعنى لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ. وهذا الوجه فيه نفى.
- \* موصولة: بمعنى الذى وتقدير ذلك لتنذر قوما الشئ الذى أُنذِرَ به آبَاؤُهُمْ. وهذا اوجه فيه إثبات.
- \* مصدرية: تؤول بما بعدها بمصدر والمعنى ما أُنذِرَ فى قوة إنذار أى لتنذر قوما إنذار آبائهم.

\* نكرة: بمعنى شئ، والتقدير لتنذر قوما شيئا أُنذِرَ به آبَاؤُهُمْ فهم غافلون.

س: هل هناك تناقض بين النفى والإثبات فى وجوه مَا المختلفة والمتواردين على نفس الآية. وكيف يمكن فك هذا التناقض؟

ج: يمكن فك هذا التعارض إذا علمنا أن جهة الإثبات غير جهة النفى. وهذا نفهمه من تحليل لفظ "آبَاؤُهُمْ". ففى حالة النفى لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ فهم آباء غير الآباء المقصودين فى حالة الإثبات لتنذر قوما الشئ الذى أُنذِرَ به آبَاؤُهُمْ. فهؤلاء لهم نوعان من الآباء، آباء أقربون (أى أجدادهم المباشرين) وآباء أبعدون من لدن سيدنا إسماعيل بالنسبة للعرب.

ولفظ قَوْمًا ليس المقصود به قومية خاصة للنبي ﷺ لأن سيدنا النبي ﷺ مُرْسَل لكل العالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبا ٢٨) ، وأيضا من قوله عز من قائل ﴿لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام ١٩) فكل الذى يبلغه القرآن مُنذَر به فى أى مكان، وهم أمة الدعوة<sup>١١</sup>.

١١٤) الأمم ثلاث: أمة الدعوة وهى لكل من بلغته الدعوة بالفعل أو بالقول، أو يمكنه الوصول إليها وقَصُرَ فى حق نفسه (ومن هؤلاء مثلا من هم فى الريف الإنجليزي) وخاصة فى عصرنا الذى فيه شبكة الانترنت. ومن أمثلة الحجج التى تقام على مثل هؤلاء أن واحدا كمحمد على كلاى وهو بطل للعالم فى الملاكمة ولا يوجد تقريبا أحد لا يعرفه من الغربيين نجد أن دينه الإسلام. أليس فى ذلك حجة منة الله حتى لا يدعى أحد أنه لم يسمع بالإسلام، وكذلك رينيه جينو عالم الرياضيات والفيلسوف الفرنسى، كما أنه شيخ الدكتور عبد الحليم محمود، والمسلمون الحاصلين على جائزة نوبل مثل أحمد زويل ونجيب محفوظ ومحمد البرادعى فكل العالم يعرفهم، ومن هذه الأمثلة الكثير. ولقد أصبحت الكرة الأرضية كالفقرية الصغيرة. وأمة الإجابة: وهم من آمن طائعين وعصاة فهم أجابوا لا إله إلا الله ولكنهم لم يقيموا حقوقها فى المنهج والتطبيق. وأمة متابعة: وهم من دُعُوا وأجابوا وأطاعوا كما فى قوله تعالى " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الأعراف ١٥٧). ولما فرطنا حجب عنا كل شئ.

ففى وجه النفى المقصود آباؤهم الأقربون الأذنون أى أبويه وجده وجد جده وهكذا. وتوجيه النفى هنا هو أن هؤلاء لم يُنذَرُوا لتباعد الزمن بين الرسل فوقعوا فى زمن الفترة بعيدا عن زمن الرسالات السابقة. فأخر رسول فى العرب سيدنا إسماعيل عليه السلام، وفى بنى إسرائيل سيدنا عيسى. فهؤلاء الآباء لم يدركوا هؤلاء الأنبياء.

وفى وجه الإنذبات نجد أن الآباء الأبعدين قد أُنذِرُوا. أى لتتذر قوما الشئ الذى أُنذر به آباؤهم الأبعدون الذين عاصروا سيدنا إسماعيل أو سيدنا عيسى عليهما السلام. وهذا الشئ المنذر به هو العذاب والنار على الظاهر والحجاب عن الله على الباطن وبالإشارة.

### فهم غافلون :

ف: الفاء تفرعية مفسرة ما بعدها مسبب عما قبلها، فتكون الغفلة مسببة عن عدم الإنذار.

أو سببية تعليلية، بعدها سبب لما قبلها، فتكون غفلتهم سبب فى ضرورة إنذارهم.

غافلون: اسم فاعل جمع مذكر مشتق من الغفلة، وما الغفلة؟

الغفلة: ظاهريا: قال البعض: ترك الشئ سهوا وقد يكون عمدا،

وقال آخرون: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ،

أو لشئ أهم من آخر فوق المهم.

ولذلك فالإنسان لا ينسى الأكل لأن (همه على بطنه) فلا ينساه. فالسهو فرغ عن تقييم الشئ قلبيا ونفسيا. ولذلك فالرئيس يعاقب مرعوسه إذا سهى فى مهمة وظيفية، لفقد الاهتمام الذى أدى إلى السهو والغفلة فالتقصير. والله تعالى يريدك ألا تغفل عن دينه، فانتبه.

إشاريا: وهناك معنى صوفى رائع للشيخ إسماعيل حقى: هى نوم

القلب، فالقلب له نوم ويقظة كالجسم. وفى حق الكمل لا ينام القلب، لحديث "تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي" (حم/ت/د). فلا ينقض وضوءه ﷺ نوم. وضدها التيقظ وهو

مربط فرس التصوف، فمفهوم المخالفة للآية ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق ٣٧) يقتضى من لا قلب له، ولكن ما القلب؟ وماذا يتعلق به فى التصوف استنباطاً من الكتاب والسنة؟ هذا يحتاج لبيان مبحث الغفلة والتيقظ وعلاقة ذلك بالقلب، أى أنه لا بد من الوقوف على المعنى المراد بالقلب فى الكتاب والسنة وكذلك عند الصوفية للتأكيد على أن المعانى الصوفية مستمدة من الكتاب والسنة، وبيان ذلك إنما يكون كالتالى:

### القلب فى التصوف و الكتاب و السنة :

القلب هو لطيفة نورانية ربانية. ولقد قرر القرآن الكريم حقيقة القلب ووصفه حيث قال عز من قائل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق ٣٧) وبمفهوم المخالفة أى لا ذكرى لمن لم يكن له قلب، وليس المقصود بذلك القلب التشريحي الموجود فى الصدر<sup>١١٥</sup>. فالآية تنص على أن الذكرى لمن كان له قلب وأنه ليس بذكرى لمن ليس له قلب<sup>١١٦</sup>. وهناك درجة أعلى من ذلك تبينها الآيات الكريمة لمن ثبت له قلب ولكنه قد يكون مريضاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة ١٠) وهذا نقيضه وضحته الآية الكريمة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء ٨٩). فاللهم اجعلنا نأتيك بقلوب سليمة. والقلب السليم هو الذى يعيش الله<sup>١١٧</sup>، ولا يوجد به غير الله. (أى غير معرفته تعالى).

فالمتيم بحب الدنيا مغفل، ومن يشغل بشهوات الدنيا (من شهوة البطن والفرج والمال والسلطة والحكم والتملك، وغيرها كل ذلك ينازع فى حق الله فى القلب). وبكل بساطة إن الولي هو الذى تحلى عن كل هذه التنازعات والشهوات.

١١٥) فالقلب التشريحي هو الجسم اللحماني الصنوبي الموجود بصدر الإنسان والحيوان وغيرهما بينما المراد هنا ما عرفه حجة الإسلام الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) بأنه هو تلك اللطيفة الربانية المخاطبة وهى التى تثاب وتعاقب ولها تعلق بالقلب اللحماني الصنوبري الشكل تعلق الجواهر بالعرض، ويسمى روحاً ونفساً.

١١٦) وفى ذلك قرر الإمام محمد زكى إبراهيم أن القلب يسمع ويشهد.

١١٧) والحديث فى الصحيحين (خ/م) وفى رواية البخارى حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرُدُّهُ حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».



ومن ذلك عرف البعض الصوفى بأنه " من أفرَد قلبه لله "، أى أنه هو ﴿ مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، فالغفلة نوم القلب. ومقابل الغفلة يقظة القلب. وقمة اليقظة للقلب فى شهود الرب جل وعلا.

فعند المشاهدة (رزقنا الله أن نكون من أهلها فى الدنيا قبل الآخرة بحق نبيك محمد ﷺ). أن تعبد الله كأنك تراه، وهو مقام الإحسان الذى بينه النبى ﷺ فى الحديث الذى يعرفه الجميع والذى أوضح فيه مقام الإسلام والإيمان والإحسان، لما أتى جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، وسأله أَخْبِرْتَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ قَالَ فَأَخْبِرْتَنِي عَنِ الْإِيمَانِ ثُمَّ قَالَ فَأَخْبِرْتَنِي عَنِ الْإِيمَانِ وكذلك سألَه عن الساعة وبين المعصوم ﷺ كل ذلك وأوضحه، ثم قال فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ<sup>١١٨</sup>. ولقد قرر السادة العلماء أن لفظ "كأنك" هو مكاشفة أو حد أدنى من المشاهدة، ولكن هناك ترقى يرفع الحجب فيرفع حرف الكاف ويصبح واوا بمعنى (كأنك تراه تتحول إلى وأنت تراه). حيث أن السنة فى الحديث المشار إليه بينت

(١١٨) وهو الحديث الصحيح وقامه من رواية مسلم: حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ كَهْمَسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَتَبِيُّ - وَهَذَا حَدِيثُهُ - حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدَ الْجَهَنِيِّ فَاطْلُقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُمْرِيُّ حَاجَتَيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ فَوَفَّقَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاسْتَفْتَانَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أَيَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِيلَتَا نَاسٍ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَفَقَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَلَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أَفْ. قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أَوَّلَ لَكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَلَى بَرَاءٍ مِنْهُمْ وَأَلَهُمْ بَرَاءٌ مِنِّي وَالَّذِي يَخْلَفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَلْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ يَتِمُّ نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الْقِيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مَنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَدْرَكَنِي إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَمَجِبَتَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْخَفَاةَ الْفَرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مِثْلَ ثُمَّ قَالَ لِي « يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ».

مقامات الدين الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان<sup>١١٩</sup>، أما المقام الرابع فهو (الإيقان)، وهو المقام الذى تسقط فيه أداة التشبيه. أى أنك تراه. ولكن مع التحفظ حتى لا يفهم البعض موضوع الرؤيا بطريقة خاطئة، فالرؤية ليست كما تتصورونها فى الدنيا، ولكن المشاهدة تكون بكل الذات وليس بالعين الجارحة وحدها، ففى الآخرة سنرى ربنا بكل أجزائنا.

ولذلك عندما سئل النبى ﷺ هل رأيت ربك قال: نُورٌ أُنَى أَرَأَاهُ<sup>١٢٠</sup>.

فمقابل الغفلة اليقظة، وتمام اليقظة بالشهود..مقام المشاهدة، وبدأيته أن تعبد الله كأنك تراه. وهذا ما دعا سيدى إبراهيم بن أدهم أن يقول: لو يعلم ملوك الدنيا ما نحن فيه من نعيم لجالدوننا عليه بالسيوف. ولذلك فالمطلوب من كل واحد منا أن يعمل على تأهيل نفسه، وكما قال الشاعر:

(وَمَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ)

فمهر المشاهدة الذات كلها، أى الفناء. فالسعادة فى العبادة حتى يصل العبد بالعبادة إلى مقام الفناء فى المعبود فيصل بذلك إلى مرتبة الوجود الحقيقى.

(١١٩) كما أسوق لك أخى الدارس رأى لغوى نحوى حول جملة "إن لم تكن تراه" يقول النحاة: تكن هو فعل الشرط و تراه هو جواب الشرط والجملة مكتملة بذلك، والمعنى كما يقول السادة الصوفية: "إن لك تكن موجودا - أى مقام الفناء والمشاهدة - فإنك سوف تراه، فافهم.

(١٢٠) وذلك من حديث مسلم فى الصحيح: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ «نُورٌ أُنَى أَرَأَاهُ». ورواه أيضا الترمذى وأحمد فى مسنده. وفى رواية أخرى لمسلم: حدثنا محمد بن بشار. حدثنا معاذ بن هشام. حدثنا أبى. ح وحدثنى حجاج بن الشاعر. حدثنا عفان بن مسلم. حدثنا همام. كلاهما عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق. قال قلت لأبى ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. فقال: عن أى شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: لقد سألت فقال "رأيت نورا". كما يشهد للرؤية تفسيرا آية وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ وفى ذلك بوب البخارى وجاء شرحه فى الفتح لابن حجر العسقلانى: كانه يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد والترمذى والطبرى وغيرهم وصححه الحاكم من طريق يوثر بن أبى فاختة "عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه ألف سنة، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر فى وجه ربه عز وجل فى كل يوم مرتين" قال: ثم تلا (وجوه يومئذ ناضرة). كما علق ابن حجر فى الفتح عمن يستدل بحديث كأنك تراه عن عدم الرؤية فقال: لو قال قائل إن فيه إشارة إلى جواز الرؤية فى الآخرة لما أبعد. ونصح بالرجوع لتفاصيل الشرح فى فتح البارى شرح صحيح البخارى، وكذلك شرح النووى لصحيح مسلم. وكذلك منازل الساترين للهرورى.



فربنا تجلى على أمة الدعوة بحيث أنه وضع في بعض الناس قوة قابلية لخير لا محدودة وهى تترجم لقوة الإيمان بسيدنا محمد ﷺ . وبالمثل وضع في آخرين قابلية للشر غير محدودة، فعلى قوة الجانب الإيجابي في النور على قوة الجانب السلبي في الشر. فكفار مكة كانوا أصلب من الصخر وأشد قسوة من الحجارة. فالكفار كفار بالمعنى الأوفى، المؤمنين مؤمنين بالمعنى الأعلى والأروع. فالمعنى لتندر قوما وضع فيهم الاستعداد لتلقى أنوار الدعوة الحمديّة بقدر أعظم لم يُوضَع في آبائهم البعدين. أى أن قوة الاستعداد فيمن عاصر الحبيب ﷺ أضعاف أضعاف من عاصروا من قبله من الأنبياء والمرسلين للفرق العظيم في النورانية بين الأصل المتأخر زمننا - وإن كان متقدما وجودا - وبين الفرع باطنا وإن كان أصلا ظاهرا، وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام. والخلاصة لتندر قوما مُنَحُوا من قوة الاستعداد والقابلية لتلقى أنوار الدعوة الحمديّة لم يُمنَح هذا القدر لأسلافهم ولا لأجدادهم الأبعدين لشدة الفرق بين أمة دعوة سيدنا محمد ﷺ وأمة دعوة غيره من الأنبياء وإن كان من أجداده.

## نامنا: تفسير قوله تعالى:

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

### قضية القدر:

ثم ينتقل الحق بعد ذلك للحديث عن قضية القدر وبيانها، أى أن الكلمة الأزلية القديمة ثبتت على أكثر هؤلاء وهم أمة الدعوة فهم لا يؤمنون. فقال عز من قائل:

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

من عظمة مولانا وخالفنا سبحانه وتعالى وهو يكلفه بالرسالة يعطى له نتيجة العمل قبل الخوض فيه، وذلك من مكانة النبى ﷺ عند خالقه. فرسالتك لتتذر قوما لكن أنا حكمت بحكمى الأزلى أن أكثرهم لا يؤمنون بالقدر. وذلك لأن سيدنا محمدا ﷺ رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧) فكلما يجد كافرا يتألم له ويتحسر حتى قال له المولى عز وجل ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (فاطر ٨)، وأيضا خاطبه ليُهَوِّنْ عليه ألا يهلك نفسه ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف ٦) فلو دخلت شوكة فى أحدنا لوجد ﷺ ألمها فى نفسه الشريفة، فאלلهم صل وسلم وبارك عليك يا سيدنا يا رسول الله وجزاك الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته.

ولذلك قال له المولى عز وجل قم بتبليغ هؤلاء وحكمى فيهم أعرفه لك. بل وأكثر من ذلك أنه سبحانه وتعالى أطلع نبيه على أسماء هؤلاء كما ثبت فى حديث الترمذى ١٢٢:

(١٢٢) كما رواه أحمد فى مسنده وتمامه: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا لَيْثٌ حَدَّثَنِي أَبُو قَبِيلٍ الْمَعْفَرِيُّ عَنْ شَفَى الْأَصْبَحِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ «أَتَذَرُونِ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ». قَالَ قُلْنَا لَا إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ لَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ «هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ لَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَلَايَ شَيْءٍ إِذَا تَعَمَّلَ إِنْ كَانَ هَذَا أَمْرًا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «سَدُّوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ وَإِنْ صَاحِبُ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ». ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَهَا ثُمَّ قَالَ «فَرِغْ مِنْكُمْ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعِبَادِ». ثُمَّ قَالَ بِالْيُمْنَى فَتَبَدَّى بِهَا فَقَالَ «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ». وَتَبَدَّى بِالْيُسْرَى فَقَالَ «فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ».

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي قَبِيلٍ عَنْ شَفِيِّ بْنِ مَاتِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ « أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ ». فَقُلْنَا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا. فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيَمْنَى « هَذَا كِتَابُ مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا ». ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ « هَذَا كِتَابُ مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ فَنِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَقَالَ « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ وَإِنْ صَاحِبُ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدَيْهِ قَتَبَهُمَا ثُمَّ قَالَ « فَرَعَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقَ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقَ فِي السَّعِيرِ ». حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ عَنْ أَبِي قَبِيلٍ نَحْوَهُ. قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ. قَالَ الترمذى: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ. وَأَبُو قَبِيلٍ اسْمُهُ حَيُّ بْنُ هَانِيٍّ. (أهـ)

ولذلك فى التصوف نقول إن ربنا سبحانه وتعالى علّم عباده العارفين كلّ فى درجته، فالأبرار يقولون ماذا سيُخْتَمُ لنا، والمقربون الأعلى يقولون: ماذا سَبَقَ لنا فى علَمِ ربنا. فالأبرار ينظرون إلى الخواتيم، والمقربون ينظرون إلى السوابق. ينظرون فى ﴿ لَقَدْ حَقَّ ﴾

### لقد حق القول

ل: وفى التفسير الظاهر هذا الجملة جملة قسم. واللام فى لقد حق موطنه لقسم محذوف فربنا يقسم لحبيبه من فرط محبته له : والتقدير: والله وعزتى وجلالى لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

قد: تحقيقية فهى لتحقيق إحقاق الحق. وذلك من باب ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون ١) أى تحقق فلاح المؤمنين. أى وجب وثبت. وهذا القول هو قدرُ الله وهو حق، فقد هى لتحقيق إحقاق الحق.

حق: وهنا لابد من بيان كل من المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى، فنقول:

**لغة:** والحق<sup>١٢٣</sup> فى اللغة يطلق على القول والفعل الذى يقع بحسب ما يجب وبالقدر الذى يجب فى الوقت الذى يجب. والحق نفسه مأخوذ عند العرب من حَقَّ الباب فأبواب الماضى عند الأجداد كانت كبيرة وضخمة جدا ورجل الباب التى يلف بها تدور فى حفرة وهذه الحفرة هى ما يسمونها حَقَّ الباب، وهو اشتقاق الحق فى اللغة. وهذه الحفرة تكون على مقياس الرجل حتى لا يقع الباب فيكون هناك مطابقة وثبوت، فالحق يطلق على الأمر الثابت..الأمر الواجب.

**اصطلاحاً:** الحق من أسماء الله ﷻ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَبَاطٌ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** (لقمان ٣٠) والحق يحقُّ بحقه أقدار العباد. فالمعنى هنا حق أى ثبت ووجب.

**القول:** وهو القول الأزلى الذى هو حكم الله على أكثر أمة الدعوة بأهم من المطرودين المُبْعَدِينَ الذين قضى الله عليهم بالعذاب وبجهنم. وإحقاق القول هو ما فسرتة سورة السجدة تفسير ذلك فالقرآن يفسر بعضه بعضاً<sup>١٢٤</sup> **﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾** (السجدة ١٣)، وكذلك فى سورة ص **﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ \* لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾** (ص ٨٤-٨٥) والخطاب هنا لإبليس لعنه الله.

ولقد اختلف المفسرون فى تفسير القول بحسب المذاهب العقدية فالمعتزلة يخالفون أهل السنة فى ذلك كما يلى:

( ١٢٣ ) حَقَّ الأمرُ حَقًّا وَحَقَّةً وَحَقُوقًا صَحَّ وَثَبِتَ وَصَدَقَ، وَحَقَّ الشَّيْءُ أَحْكَمَهُ وَصَحَّحَهُ (معجم).

١٢٤ ) فدرجات التفسير أن ننظر فى القرآن أولاً فهو يفسر بعضه بعضاً، ثم الأحاديث النبوية الشريفة فمنها ما يفسر القرآن. فإن لم نجد نبحث فى أقوال الصحابة والتابعين وفى كل ذلك لابد من عرض الأمر على اللغة العربية فهى لغة القرآن، وذلك بشئ من التفصيل العلمى المنهجى على من يطلبه الرجوع إلى مظانه فى الكتب التى تبين قواعد التفسير.

\* أهل السنة قالوا: هذا القول هو علم الله الأزلَى، حقٌّ وثبت. وليس معنى ذلك الجبرية أى أن العلم الأزلَى تَحَكَّم فى الناس فأجبرهم على الكفر، وإنما الصواب أن العلم تابع للمعلوم فما حَكَمَ الله على الكافر بالكفر إلا بعد علمه سبحانه أزلا بما سيكون منه الآن فيما لا يزال ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام ١٤٩) فربنا حكم فى الأزل بما علم أنه سيكون من العبد. وهنا نتأدب مع القدر ولا نتساءل لماذا كان كذلك أو عكس ذلك فلقد قرر المولى عز وجل أنه سبحانه تبارك وتعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء ٢٣). وهذا هو الحق والصواب.

\* المعتزلة يرفضون هذا الكلام ويقولون العبد هو الذى يخلق كفره وهو الذى يخلق قدره. ولذلك يفسرون القول فى الآية بأن هذا القول أنه اختيارهم وتصميمهم على الكفر حتى يقرر الحجة عليهم فى تعذيبهم.

فيكون القول تعبيراً عن العلم الأزلَى الذى هو مبنى على الإرادة. بل يمكن تأسيس عقيدة القدر على أسماء الله الحسنى. ومن ذلك أن من أسمائه العدل فلا يعاقب بظلم، ولو آمنا بأزلية العلم الإلهى وبأنه حكيم (صفة الحكمة) أنه لا يريد إلا على مقتضى حكمته وأنه على كل شئ قدير (صفة القدرة) وبصفة الإرادة الإلهية التى لا قيود عليها ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ سوف نعرف أن الأشياء منفصلة لقدرة الله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس ٨٢-٨٣). فسبحان هنا للتنزيه فهو لا يقول كن فيكون إلا لما هو عين الحكمة. ولذلك من الأمثال السائدة على ألسنة الناس "لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع" لأن الغيب سوف يكشف لك عن حكمة كل شئ، وهذا هو منهج الأولياء. ولا يكون القطب قطبا فى أى زمن إلا بعد إطلاعه على سر القدر. ذلك علم الله يختص به من يشاء.

ولذلك كان سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول: القدر بحرٌ مظلم فلا تقربوا منه، واحمد الله على ما أهلك ويسره لك من الإيمان. فلا فضل لعقلك ولعبقريتك ونبوغك



وإمكانياتك فى إيمانك بل هى منة من الله. لذلك نؤمن بأن الله عليم بكل شئ وعلمه الأزلئ لا عقل يسمو لتكثيف العلم الأزلئ فعلمه سبحانه غير مستأنف وغير معلل وغير مجزأ ولا زيادة ولا نقص فيه. لأنه فوق الزيادة ومنزه عن النقص. فيكون المعنى لقد حق القول على أكثرهم أى ثبت ووجب على أكثر هؤلاء.

أكثرهم: ومعنى ذلك أن القول قد حق بعدم إيمان الأكثر.

قال العارفون فى إشارة صوفية (ومنهم الشيخ إسماعيل حقى) فى بيان السبب فى ذلك بأن الأصل المقصود من وجود العباد إيجاد الخليفة عن الله فى الأرض، ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣٠)، وهو من يخلف الله فى الأرض والخلافة تتحقق بالأقل ولو فرد واحد. أى أن حكمة الوجود محقة فى الخلافة. وقضية الخلافة هى قضية الوجود بأسره. والخليفة فى الظاهر فى استخلافات البشر يكون لأحد أمرين:

١- إما لغيبة المستخلف، أو

٢- لعجز المستخلف عليه عن الاستفاضة من الله مباشرة فأوجد بينه وبين خلقه

خليفة له وجه إلى الحق يستفيض منه وجه إلى الخلق يفيض عليه.

فالله تعالى قضى بأن الأقل هم الذين يصلحون للخلافة. والخلافة تتحقق بالأقل لذا حكم على الأكثر بعدم الإيمان ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن الإرادة اكتفت فى المملكة الإلهية، كما أن هذه القلة هى الكثرة لأن القليل من الخير كثير والكثير من الشر قليل. وهذه هى حكمة العارفين لأن من الممكن أن يكون واحدا فقط ويعمر الله تعالى به العالم، والجنس آدمى من سيدنا آدم وهو الخليفة فجعل منه الكثير.

فهم: والفاء تفرعية فرعت نفى الإيمان عن الكثرة على إحقاق الحق الأزلئ عليهم بعدم الإيمان فهم لإحقاق هذا الحق أو بسبب هذا الإحقاق لا يؤمنون.

والوسيلة لذلك هو ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ \* وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٠٧﴾ أى أن هذا هو السبب المانع عن قبول أكثر أمة الدعوة لإنذار الرسول ﷺ. أى لماذا لا يؤمن هؤلاء الأكثرون. وبيان ذلك مع التفصيل فى تنفيذ إحقاق الحق فيمن حكم الله ألا بعدم إيمانهم يتم شرح الآيتين القابلتين إن شاء الله تعالى.

---

**تاسعا: تفسير قوله تعالى:**

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ \* وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

**إِنَّا:** وهى تعنى ( إِن ) ، ( نَا ) ، أى (إن) واسمها.

**وَجَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا**

**جَعَلْنَا** أى أوجدنا أو صيّرنا فى أعناقهم أغلالا.

**أَعْنَاقِهِمْ:** جمع عُنُق ١٢٥.

**أَغْلَالًا:** جمع غُل ١٢٦، وهو القيد الذى يُقَيَّدُ به المُعَذَّبُ فتقيد يداؤه إلى عنقه حتى يعجز عن الحركة ويعجز عن التصرق ويسلب عنه النظر بجعل سدًّا من أمامه وسد من خلفه فلا يرى لا من جهة الأمام ولا من جهة الخلف.

**الْأَذْقَانِ:** جمع ذَقَن ١٢٧. وهو مجتمع اللحيين الأيمن والأيسر فى الوجه، ويجمع على أذقان.

**مُقْمَحُونَ:** الإقماح ١٢٨ يُطْلَقُ فى الأصل على رفع البعير رأسه عندما يردُّ الحوض للشرب، فإما أن يشرب ويشبع ولا يطلب المزيد فيعرضوا عليه المزيد من الشرب فيرفع رأسه تأبياً عن شرب الماء، فهو مُقْمَح. أو أنه لأن الماء ملوث أو بارد أو حار عليه فيكون منه إقماح. والإقماح الذى أخذ من حركة البعير تطبَّق على الإنسان عندما يمتنع ويتأبى. وكذا المتكبر فى سيره يحمل رأسه لأعلى فهو مُقْمَح.

١٢٥ ( العُنُق الرِّقَّة، وهى وُصلة بين الرأس والجسد (يذكر ويؤنث). وعنق من كل شئ أولُّه (معجس).

١٢٦ ( الغُلُّ طوق من حديد أو جلد يُجْعَلُ فى عنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما. والجمع أغلال (معجس).

١٢٧ ( الذَّقَنُ مجتمع اللّٰحِيْن من أسفلهما وتجمع على أذقان وذقون (معجس).

١٢٨ ( قَمَحَ عن الماء قُمُوْحًا: رَفَعَ رأسه عنه رِيًّا أو كراهة. والقَمَاحُ الكاره للماء لعلِّه ما، والقَمَاحُ جمع مُقَامِح وهى الناقة ترد الماء وترفع رأسها ممتنعة من الشرب قَمِحَ الحَبُّ قَمَحًا رفع رأسه لسفاه، وقَمَحَ الشَّرَابُ صَدَّ عنه رِيًّا أو كراهة، وأَقْمَحَ الرجلُ رفع رأسه وغَضَّ بَصَرَهُ من الذَّلِّ. وأَقْمَحَ الغُلُّ الأسير ضاق على عنقه فاضطره إلى رفع رأسه، فهو مُقْمَح (معجس).

ولقد أُعْطِيَتْ هذه الصورة للمتنع عن الإيمان، فهو مُقَمَّح كالبعير الممتنع عن الشرب.  
**مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**: استعارة لما هو أمام. لأن ما بين اليدين يُسْتَعَارُ لما أمام اليدين.  
 ولهذه الاستعارة حكمة لأن فيها ملحظ بلاغى وهو أن ما بين اليدين فى نطاق تحكم  
 الإنسان، لكن الله تعالى يريد أن يبين لنا أن هذه السدود لا تَحْكُمُ لهم فيها فتكون أمام  
 اليدين لا بين اليدين.

**سَدًّا**: لغة ١٢٩ الحاجز. فالسُّدُّ مانع طبيعى، والسُّدُّ مانع صناعى.

**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**: حتى إذا أراد أن يتراجع. ويريد أن ينظر خلفه أو أمامه فلا يرى، فهو  
 فى ضلالة الحيرة.

**فَأَعَشَيْنَاهُمُ**: وفيه الغشى كأننا ألبسناهم حجابا كثيفا يحجبهم عن الرؤية بالإضافة إلى  
 منعهم من النظر. وهناك قراءة **فَأَعَشَيْنَاهُمُ** من العشى، ومنه الأعشى الشاعر. أى أن  
 هناك غطاء ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ (الكهف ١٠١)،  
 وهؤلاء هم الذين قال عنهم المولى عز وجل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \*  
 الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾  
 (الكهف ١٠٣-١٠٤) ١٣٠.

**لَا يُبْصِرُونَ**: وظالما أنهم لا يبصرون لا بالبصر ولا بالبصيرة. فهنا وجهان: بصر  
 الجسم، وبصر القلب والروح. فلما افتقدوا البصر والبصيرة قال: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
 أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١٢٩ (السُّدُّ الحاجز بين الشيتين، والسُّدُّ البتاء فى مجرى الماء ليحجزه والجمع سُدُودٌ وأسداد. والسُّدُّ السُّدُّ ويقال  
 سُدٌّ من سحاب للموتقع الذى يَسُدُّ الأفق والجمع سُدُودٌ وأسداد.

١٣٠ (وهنا أشار أ.د. جودة إلى قول أخيه أ.د. الحسينى أبو فرحة العميد السابق لكلية الدعوة ورئيس قسم  
 التفسير فكان يشير دائما على خوفه من آخر سورة الكهف رغم أنه فى عز الطاعة. والمج أ.د. جودة إلى أنه إذا  
 ذُكرت آخر سورة الكهف أمامنا أو قرأناها نقول: (اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا  
 اجتنابه)، فلا نفرح بكل ما تراه النفس حلو لأنه من الممكن أن يكون هو الخسران بعينه.

والمعنى أن الله تعالى من شدة حبه لحبيبه ﷺ وحنانه عليه وهو يعلم أنه الرحمة المهداة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، فلقد قال له ربه أيضا ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ (فاطر ٨) ، وأيضا خاطبه مهونا عليه لنفلا يهلك نفسه ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف ٦) ، فهو ﷺ يتألم إذا أضل الشيطان - والعياذ بالله - أحد المؤمنين وأخرجه عن دائرة الإيمان أعادنا الله تعالى من ذلك. فالله تعالى يقول لحبيبه ﷺ على رسلك يا حبيبى. ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ، (النحل ١٢٧) لأنه ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى أن المطلوب منك أن تبلغ الدعوة وأنت مطمئن القلب هادئ النفس فهؤلاء خاضعون لحكمنا الأزلى الواقع بمقتضى الحكمة. ونلفت النظر هنا إلى أن هذا المبحث وهو قضية القدر إنما هو مبحث عقدى فالإيمان بالقدر عقيدة لحديث " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ " (م، وسبق تخريجه). ففى الجانب العقدى نعالج شبهات الجبر والاختيار وأفعال العباد والإنسان مخير أم مسير وغير ذلك.

والسؤال هو عن عدم رؤية أحد منهم لهذه الأغلال فى عنقه، فما مصداقية النص القرآنى بالنسبة للكفار. هنا تعدد لأقوال المفسرين نبينها فيما يلى:

س: ما مصداقية النص القرآنى فى هذه الأغلال رغم أن الكفار لا يرون هذه الأغلال فى أعناقهم؟

ج: تتعدد آراء المفسرين طبقا لوقوع هذه الصورة فى الدنيا أو وقوعها فى الآخرة، على النحو الآتى:

\* إذا كانت فى الآخرة فلا تشبيه ولا استعارة لأنها سوف تكون بالفعل أغلال فى أعناقهم ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ \* فى الحميم ثم فى النار يُسْجَرُونَ ﴿ (غافر ٧١-٧٢) ، وكذلك قوله تبارك

وتعالى ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (الإنسان ٤)،  
فهى سلاسل حسية. وهذه الصورة مُطَبَّقة فى الآخرة.  
\* أما إذا كانت فى الدنيا فَتَفْهَم على أنها مجاز. وذهب جمهور المفسرين إلى  
أن هذه الآية والتى تليها ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ  
فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴾ \* وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا  
فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ هاتان الآيتان متضمنتان للتشبيه أو لتشبيه  
حال هؤلاء الكفرة فى صورة تُعرَف فى البلاغة بالاستعارة التمثيلية<sup>١٣١</sup>. فالحق  
تعالى شَبَّه هيئة الكفار فى امتناعهم أو فى منعهم عن الإيمان<sup>١٣٢</sup> وتصميمهم  
على الكفر بهيئة من جُعِلَ فى عنقه غُلٌّ وَقَيِّدَتْ فيه يداهُ إلى عنقه وجُعِلَ مُقْمَحًا  
متأبيا بحيث مُنِعَ من التصرف، كما شَبَّهت هيئته فى عدم رؤيته للحقائق بهيئة  
المغلول الذى وُضِعَ بين سَدَّيْنِ سَدٍّ من أمامه فلا يرى من أمامه وسدٍّ من خلفه  
فلا يرى ما ينتظره. ولذلك لهذه الأغلال ولهذه السدود ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

(١٣١) وهى تشبيه هيئة البعيدة لتكون كأنها فى رأى العين تُرى من قريب.  
(١٣٢) وبين أ.د. جودة معنى امتناعهم أو منعهم كالتالى: (فهم قد امتنعوا عن الإيمان ولكن الله هو المانع، فالإيمان  
عطاء الله ولا يُعطى إلا برضى من الله سبحانه وتعالى، لذلك نسجد لله شكرا ونبكي للضراعة والتلذذ لجناب الله  
أن رضينا أوعية للإيمان والتوحيد وبأن جعلنا من أمة أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ). فمنعهم أى أنه الله منعهم أى  
حرّمهم من الإيمان. ولكن لابد من حسن فهم هذا القول حتى لا يؤدي إلى الجبرية. والجبرية يقولون إذا كان الكفار  
محكوماً على كفرهم فعلاهم يُحَاسِبُون! لذلك فإن أهل السنة قاموا بعمل سبيكة معنوية من المنع والامتناع. فربنا  
منعهم وهم امتنعوا لأن منع الله لهم سبب فى تصميمهم على الكفر. فتكون الحجة عليهم فى تصميمهم. سَيَقُولُ  
الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا  
قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ (الأنعام ١٤٨). فسوف يقولون لو  
شاء الله ما أشركنا فنحن مسيرون ولسنا مخيرون، فإرد الله عليهم: وكيف عرفتم أننى شئت فى الأزل عدم إيمانكم  
فيما لا يزال. ولذلك الإمام الشافعى "لو سَلَّمَتْ لَنَا الْقَدَرِيَّةُ الْعِلْمَ لَخَصِمُوا". فقال لهم هل تؤمنون بأن الله عالم  
بالأشياء أزلا أم لا؟ فقالوا نؤمن. فلو سلموا لنا علم الله بالأشياء أزلا سنقول لهم نَقَدْ الله فيكم مشيئته الأزلية بناء  
على علمه أزلا بما سيكون منكم الآن فيما لا يزال قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ (الأنعام ١٤٩).

وإشاريا: التفسير الصوفي يقول بأن ما جُعِلَ مجازا في الدنيا حقيقة وفي

الدنيا.

وفيما يلي بيان تفصيلي لبعض الأبعاد الإشارية في هذا المقام:

إِنَّا: (نون العظمة) السادة العارفون يقفون عندها: بكمال قهرنا وجلال عظمتنا جعلنا وصيِّرْنَا<sup>١٣٣</sup> في أعناقهم أغلالا.

جَعَلْنَا أى أوجدنا وصيِّرْنَا.

أَعْنَاقِهِمْ: جمع عُنُق.

أَغْلَالًا: قيود الطبيعة، طبيعة الإنسان. فالله تعالى خلق الإنسان وخلق طبيعته. وقيود

الطبيعة هي لوازم البشرية التي خلقها الله تعالى في الإنسان مثل ما بينه تعالى ﴿رَيْنَ

لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ﴾ (آل عمران ١٤) ، ومن قيود الطبيعة النزوع إلى الراحة،

والتزوع إلى الشهوة والحرص على ما ينفع من وجهة نظر الإنسان الطبيعي الذي ينظر

لطبيعته، وكذلك حب كثرة المال والأكل وكثرة النساء بسرف دون اعتدال وكذلك حب

الترف ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا \* وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر ١٩ -

٢٠)، والنظر إلى المحرمات والمخدرات والخمور وكل ما يفقد العقل، وغير ذلك من

قيود الطبيعة. ولكن لابد من الانتباه إلى أن الله تعالى قد أحل لنا مباحات لا تدخل في

القيود لأنك مقيد في الحلال بحكم الله. إنما في الأمور البهيمية والطبيعية والشهوانية

نفسك هي التي تحكمك. فالعارفون يَرَوْنَ مشتهيات النفس أغلالا، وهي قيود الطبيعة

وحب السفليات (العالم السفلي). وقيود الطبيعة داخلية على العصاة من المؤمنين.

والمعنى صوفيا وإشاريا: إنا بكمال قهرنا وجلال عظمتنا جعلنا وصيِّرْنَا في أعناق

هؤلاء الكافرين ومن شابههم من المؤمنين أغلالا، قيود الطبيعة الظلمانية البشرية.

١٣٣ ( وهناك فرق بين الجعل والخلق، الجعل قد يكون بمعنى الصيرورة كجعلت الطين إبريقا أى صيرته.

وهى طبيعة ظلمانية لأنها ليست مستنيرة بالألوار الإلهية، فهي إِلَى الْأَذْقَانِ أى أن هذا الطبيعة مائعة من تحقيق رغبة القلب فى نيل ما يرغب، فتمنعه عن ذكر الله، وتمنعه عن التصديق، وتمنعه عن الإقدام على الخيرات أو ذكر الموت أو الإقبال على موالاة الأولياء، أو الإقبال على السعى فى مصالح المسلمين، وغير ذلك. ولنعلم أنه إذا ما قمنا بتشخيص عيوب المجتمع المسلم الآن نجدها كلها ناجمة عن استحواذ القيود الطبيعية على الذوات البشرية، فهي قيود تمنع كل خير وتسبب كل شر. فهذه الأغلال الدنيوية هى التى سوف توصل إلى أغلال الآخرة. فالأغلال الطبيعية التى فى الدنيا هى التى تتواصل مع أغلال الآخرة فما حكمنا عليهم إلا بمقتضى ما يصدر عن طبائعهم نتيجة استحواذ القيود الطبيعية على القلب وعلى النفس. فهي إلى الأذقان مائعة من الحركة، وهو قيد بين الصدر والذقن فهو سميك يجعل الإنسان أشلّ فهي إِلَى الْأَذْقَانِ فهم مُقْمَحُونَ متأبون عن ورود موارد الخير. فإذا قلت له صل رحمك يتأبى ويمتنع، وغير ذلك فكل واحد له قيد أو أكثر من قيود الطبيعة، والسادة الصوفية فقط هم الذين ينعمون بالحرية الحقيقية لتحررهم من قيود الطبيعة الظلمانية، وغيرهم عبيد لقيودهم.. عبيد لشهواتهم.. عبيد لنفوسهم الأمارة بالسوء، ولذلك قال أحد الأولياء العارفين: لن تكون لله عبدا إلا إذا كنت مما سواه حُرّاً. ولذلك من الممكن أن نضع ونستنبط تعريفا للتصوف من هذا المعنى "التصوف هو التحرر من كل ما سوى الله"، وذلك من قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر ٤٢)، فالصوفية قال عنهم إبليس لعنه الله ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص ٨٢-٨٣) لأن الله خَلَصَهُمْ من قيود الطبيعة الظلمانية. ولقد عبر النظم الكريم بقوله تعالى مُقْمَحُونَ بالفتح وليس بالكسر (اسم فاعل) لأنه ليس فاعلا للإقحاح بل هو محكوم لا حاكم فقيوده تحكمه فهو مُقْمَح وليس مُقْمِحًا .



وجعلنا من بين أيديهم: فالسدود فى المنظور الحسى إما طبيعية وإما مصنعة. والسدود فى المنظور الصوفى بينها الشيخ سبى محبى الدين بن عربى رضى الله عنه حيث قال: "من بين أيديهم مما يلى الجنب الأعلى"، ليس الذى أمامهم - فأنت لك صلاحية للتوجه إلى الجنب الإلهى وصلاحية للتوجه إلى الجنب السفلى. فمن يتجه إلى الجنب الإلهى هم الريانيون أى صوفة الأولياء الصوفية. سَدًّا: والسد الذى هو من بين أيديهم هو استيلاء صفات النفس الأمارة بالسوء على القلب، وهو استحواذ صفات النفس البهيمية<sup>١٣٤</sup> التى هى محل الشهوات، فالإنسان ليس فقط جسما يأكل ويشرب ويمشى وغير ذلك، لا بل إنه مملوء بالعوالم:

(وَتَرَعُمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ)

فأنت نسخة من العالم كله ولكن لا يدفعك هذا للغرور والصلف والتكبر بل ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق ١٩) وكذلك ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر ٩٩).

وَمِنْ خَلْفِهِمْ: فالسد الأمامى هو استيلاء النفس على القلب أما السد الخلفى فهو الأمانى الكاذبة والآمال الخادعة. فالإنسان من أمامه شبك الابتلاء ومن خلفه كذلك.

فَأَغْشَيْنَاهُمْ: أى غطينا أبصارهم، ومنه الغشاء أى الغطاء. ومادة أغشيناهم تدور حول التغطية. ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (الليل ١) أى يغطى بظلمته على الكون، وكذلك قوله تعالى ﴿إِذَا يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (النجم ١٦) أى يغطيها من تجليات الله ومن أجنحة الملائكة ما يغطيها. والمعنى ألبسناهم هذه القيود وتلك الدروع التى تكبلهم وتمنع توجههم إلى الجنب الأعلى (فهم) بسبب ذلك (لَا يُبْصِرُونَ) بأعينهم الآيات الإلهية التى توصلهم إلى التوحيد الحق. وأغشيناهم غطينا أعين بصائرهم بالحجب الكثيفة فهم لا يتمكنون من الرؤية البصيرية لحقائق الأشياء وإنما يتصرفون بموجب الأمانى الخادعة والآمال الزائفة.

١٣٤ ( وبين أ.د. جودة أنواع النفس بأنما: النفس البهيمية التى هى محل الشهوات والنفس السبعية التى هى القوة الغضبية والجوهر الملكى الخاص بالنفس مطمئنة والنفس الحيوانية والتى بها قوة النماء والنطق والحركة.

وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ ﴿ وَسَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ \*  
إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ  
كَرِيمٍ ﴿ فَهَذِهِ هِيَ النَّتِيجَةُ مُقَدِّمًا يَا سَيِّدَ الْوُجُودِ يَا (يَس) . وَبَيَانُ ذَلِكَ تَفْصِيلًا فِي  
الْجُزْءِ التَّالِيِ .

---

## عاشرا: تفسير قوله تعالى:

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ \* إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿

والخطاب في هذه الآيات لسيدنا محمد ﷺ .

**والإنذار:** سبق بيان معناه في سابعا أنه الإعلام بالأمر المخوف ليحترز منه. أو الإعلام بالبشر وقد يطلق على التخويف فقط. والإنذار إما مجدي أو غير مجدي.

ولارتباط هذه الآية بما سيقها يمكن الوقوف عليه بمعرفة أنواع الإنذار:

فإن المولى سبحانه وتعالى بعد أن بين فيما سبق أن النبي ﷺ بعث لإنذار الكفار من يتوقع منهم الإيمان ومن لم يتوقع، فكان الإنذار العام أتبعه في هذه الآية الكريمة ببيان الإنذار الخاص، وهو الإنذار المثمر للإيمان وللعمل الصالح وللخوف من الله وللحصول على المغفرة والأجر الكريم. فأنواع الإنذار هي:

١- الإنذار المطلق يكون لأمة الدعوة أي أن الإنذار الأول العام للجميع أي يكون لأمة الدعوة ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ فهم رغم الإنذار غافلون.

٢- الإنذار الثاني المقيد بالفائدة لأمة الإجابة والمتابعة ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ .

ونلاحظ أن لفظ إِنَّمَا هنا أداة قصر<sup>١٣٥</sup> وحصر واختصاص أي أنك لا تنذر إلا من اتبع الذكر. أي لا تنذر إنذارا مجديا مثمرا مستتبعا لقبول الإنذار وللعمل بمقتضاه إلا

(١٣٥) القصر من الأساليب البلاغية، وهو لغة: الحبس، قصرت الشيء أي حبسته، ومن ذلك قوله تعالى ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ أي محبوسات على أزواجهن. وكذلك ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرْفِ عَيْنٍ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن لغيرهم. أما اصطلاحاً: فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، ومعناه حبسنا شيئاً على شيء فلا يتخطاه لغيره.

صنفًا واحدًا هو من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب. والذي اتَّبَعَ الذِّكْرَ هم أمة المتابعة. وهم ممن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ: فهنا نتساءل عن تعلق الخشية بالرحمة، فالإنسان يخشى الجبار المميت القهار القوى المتين (صفات القهر والغلبة). وقال المفسرون في ذلك إن صفات الله منها الجمال والجلال، وصفة الرَّحْمَنَ جامعة للجلال والجمال. أما الرحيم فهو خاص بالجمال. فلجانِبِ الجلالى فى الرَّحْمَنِ يُخْشَى الرحمن ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أى حالة كونه بالغيب.

وتفصيل ذلك هو أنه هنا لا يتم الاعتراض على التنزيل الحكيم بأنه بيّن من قبل إنذارًا عامًا ثم حصر الإنذار فى نوع خاص من ذلك العام. وهذا الإنذار الثانى مُقَيَّدٌ بأنه يستلزم الفائدة. والمعنى هو أنك يا رسول الله ﷺ لا تنذر على الحقيقة إلا (مَنْ) اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ).

اتَّبَعَ: جاءت بصيغة الماضى، وقد يقول قائل إنه أصبح مؤمناً فلماذا يُنذَرُ؟ ألم يكن من المتوقع أن ينذر من يتوقع منه اتباع الذكر. ولهذا جوابان:

- i. من اتبع فى علم الله أزلاً، تنذره ليتبع فيما لا يزال. أى تتم له، وتحقق له الاتباع بالإنذار ليتبع الآن فيما لا يزال.
- ii. تنذر من اتبع بالفعل لأنه من الممكن مع الاتباع أن تفرط منه أخطاء فهو ليس معصوماً. فليس كل من اتبع الذكر معصوماً ولا يقع منه هفوات أو مخالفات. فينتج عن اتباع الذكر تقصير فى بعض الأمور فيكون الإنذار على ما فرط منه من تقصير ليترقى فى معارج الكمال.

(الذِّكْرُ): فى تفسيره وجوه. وهى تدل أصلاً على الحضور، الذكر الطارد للغفلة. والذكر منه الذاكرة، والذي هو فى الذاكرة هو مَكَّةٌ راسخة فى النفس تمكن الإنسان من حفظ وإحراز ما يقتنيه من علم، فلا يُنسى.

\* وهناك حفظ واستحضار:

الحفظ: للذاكرة،

الاستحضار: للقلب.

\* وقالوا إن لفظ الذكر بكسر الذاال الذَّكَرَ الظاهر ويضمها الذَّكَرَ الباطن. فالأول ذكر اللسان والثاني ذكر القلب. ومن هذا التنوع في الألفاظ جاء اختلاف المفسرين في المعاني:

\* واختلف المفسرون لذلك في معنى الذكر:

فمنهم من قال الذكر هو القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف ٤٤). قال أبو حيان التوحيدي (في البحر المحيط ١٨/٨) (والمعنى وإنه لتذكرة وموعظة).

ومنهم من قال الذكر هو الشرف أى لشرف لك ولقومك ولسوف تسألون.

ومن الأئمة من يقول للناس فى درسه وموعظته للناس: "تعلمكم على ذكر مما ألقىته سابقاً" أى حضور قلب.

**وإشارياً:** الكسر والضم على أن ذكر اللسان معين على ذكر القلب، وكلاهما يعطى ملكة الحضور مع الله فى العبادة. فالمعنى أنه إنما تنذر يا رسول الله ﷺ على الحقيقة من استغرق فى الحضور مع الله. وهذا المستغرق هو الصوفى. لأن ذلك سوف يستلزم أنه خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ

خَشِيَ: الخشية: تتميز عن الخوف فالخشية خوف مع التعظيم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر ٢٨)، لأن العلماء على معرفة بالله، فعلى قدر معرفتهم يكون تعظيمهم لله، وعلى قدر تعظيمهم لله تكون خشيتهم لله.

(الرَّحْمَنَ): والمتوقع هنا أو الْمُنتَظَرُ أن يقول وخشى الجبار، وهنا سؤال هام:

س: لماذا علق الخشية باسم الرَّحْمَنَ على وجه الخصوص وهو من أسماء الجمال والخشية تتعلق بأسماء الجلال، أى لماذا لم يقل وخشى الله، أو القدير أو الجبار أو العظيم؟

ج: تنوير صوفى إشارى: والجواب هو أن الرحمن أخص الأسماء بعد لفظ الجلالة، ولذلك يليه فى البسملة. وهو أخص من الرحيم، وبالطبع لا مفاضلة بين أسماء الله ولكن كل منها قمة فى بابه. ومع ذلك فكل اسم فيه مع مضمونه تواصل مع بقية الأسماء الحسنى. ويجب الانتباه إلى أن الأسماء الحسنى يشفع بعضها لبعض فى معول البعض فإذا غضب الله تعالى على إنسان فيقول الإنسان يا غفار..يا رحيم..يا رحمن..يا كريم، حتى يُنْتَزَع وَيَنْجُو من غضب الجبار فيشفع اسم الرحمن عند الجبار فيُنْتَزَع الغضب لأنه لا تُنْزَع صفة الله من غير الله، فيشفع عند نفسه باعتبار آخر. وهذا المعنى هو ما وصل إليه الشاعر إسماعيل صبرى وهو من المعاصرين إذ يقول:

وَمَرُّ الْوُجُودِ يَشْفِ عَنكَ لَكَ أَرَى غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ  
فهو يخاطب المولى عز وجل ويريد أن يتعرف على عظمة الذات والصفات والأفعال. أى أرنى يا سيدى عظمة تجليات أسمائك فى أسمائك، فأريد أن أرى اللطيف كيف يغضب، والجبار عندما يَرْحَم. وكان أستاذنا الشيخ أ.د. عبد الحليم محمود متيم بهذا البيت، وهو الذى علمه لنا.

وسبق أن بينا أن الرحمن هو المنعم المتفضل بجلال النعم. وهو بذلك لا يُخْشَى وإنما يُحِبُّ ولكن باعتبار ما فى مضمون اسم الرحمن من القدرة على الانتقام مع الرحمة، فالرحمن يجمع بين الجمال والجلال، بينما الرحيم محض للجمال، وهذا من فروق مدلولى الاسمين، ولذا تكرر ذكرهما فى سورة الفاتحة، أى أن الله تعالى يقول لك يا عبدى تذكر أننى رب وجليل مرة وأننى رحمن ورحيم مرتين لتعلم أن رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وفى رواية غلبت غضبى. وذلك بيناه سابقا فى الجزء الثانى (تفسير البسملة فراجع). فلأن العبد يخشى أن ينقطع عنه الإنعام فيتوسل باسم الرحمن لتتواصل الرحمة وتتواصل الإنعام بلا انقطاع. ولذلك من تَعَلَّقَ بالعباد يخذل فى العباد، ومن تعلق برب العباد يُسَخَّرَ له العباد.

قبذلك يكون المعنى أنه يخشى الرحمن أن يقطع عنه إنعامه أو يخشى الرحمن أن يُرِيَه عقابه لأن للرحمن تجلى الجلال مع تجلى الجمال.

بِالْغَيْبِ: ب : الباء فيها أقوال:

إما أن تكون للمصاحبة والملابسة.

أو تكون لتعدية الفعل للمفعول، وهو وجه في تفسير الآية.

أو تكون للتعدية إلى المفعول كما في قوله تعالى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ  
أى أن الغيب مُؤْمَن به، لكن يؤمنون لا تتعدى لغيرها إلا بحرف جر ولذلك  
قال بالغيب.

(الْغَيْبِ): الشئ الخفى الذى لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهَةُ العقل<sup>١٣٦</sup>. أى أنه شئ  
خفى لا يُرَى ولا يُسَمَع ولا يُلْمَس ولا يُشَم ولا يُذَاق، أى بعيد عن الحواس الخمس،  
وبعيد عن إدراك العقل البديهى الذى لا يحتاج لأدلة.  
لأن إدراك العقل نوعان: نوع بديهى ضرورى (مثاله أنك رأيت شمساً فأنت بالنهار)،  
وهناك الإدراك النظرى وهو ما يحتاج إلى تأمل واستدلال. فكلما على الذى لا تقتضيه  
بديهَةُ العقل فيكون هو الغيب.

ولذلك ففى أول البقرة ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وتفسيرها جاء فى آخر سورة  
البقرة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فكل ما ذكره هنا غيب.  
ومن ذلك يكون المعنى:

أ\_ إذا قلنا إن إِيْيَاعِ لِلْمِلَإِسِيَةِ يكون المعنى وخشى الرحمن حالة كون الخاشى متلبساً  
بالغيبة، بحيث لا يرى الرحمن، فهو مخفى عن نفسه بالنسبة لتجليات الرحمن أى لا  
يرى تجليات الرحمن فكأنه غائب (ولكن ليس مُغَيَّباً عن الرحمن). ولنتنبه فَالْغَائِبِ ما لا  
تراه ولا يراك وَالْغَيْبِ ما لا تراه وإن كان يراك. أى تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه  
فإنه يراك لأنه غيب وليس غائباً، أى يراه الغيب ولا يرى هو الغيب.

(١٣٦) وهناك إدراك ضرورى وإدراك نظرى يرجع له فى مظانه بكتب علم المنطق.

بـ أو تكون إِيَّاءَ لِلْإِسْتِعَانَةِ الْإِلَهِيَّةِ فيكون المعنى وخشى الرحمن بأداة الغيب. أى وخشى الرحمن مستعينا بالغيب. والمراد بالغيب هنا هو القلب لأن القلب غائب عن الإنسان.

**إشارياً:** والله غيب ولكنه ليس بغائب فهناك فرق بين الغيب وبين الغائب، فالغائب هو الشئ الذى لا تراه ولا يراك. ولذلك لا يقال الله غائب لأنه يراك ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد) إنما الغيب هو الشئ الذى لا تراه وإن كان يراك.

وبالتالى يتم ربط الغيب بالإحسان أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ كما هو ثابت فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه.

ومن معانى الغيب أن الغيب هو الله، فيكون المعنى الصوفى من ذلك وخشى الرحمن بالغيب أى وخشى الرحمن بالله. خشى الله فى تجلى الجلال المتضمن فى اسم الرحمن بالله.

وهناك معنى آخر وهو وخشى الرحمن بنور غيبتي، فأدرك بنور الغيبة حلوة الإيمان وقبح الكفر والعصيان.

والله لا يغيب ولكننا نحن المحجوبون عنه ونحن المغيبون عن حضورنا مع الله تعالى بالنسبة لأنفسنا، ولكننا لسنا غائبين عن الله. وقد اقتضت حكمته الأزلية أن يغيب أقواما عنه لأنهم ليسوا أهلا للمحاضرة.. للشهود.. وللمشاهدة.

وقال الشيخ الأكبر أن من ذلك مقام الخشية، والخشية متولدة من التعظيم، فالإنسان لا يخشى الحقير ولكن يخشى العظيم. ولذلك فالخشية تعرف بأنها خوف المصحوب بالتعظيم. أى أنها فوق الخوف. فمن يؤمن بعظمة الله يخافه ولا يخاف الشيطان لأن الشيطان حقير فلا يخاف. ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٧٥) ولذلك فإن الشيطان يخشى ويخاف من المؤمن القوى، فكان لا يسلك طريقا فيه الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب، وذلك لأن نور سيدنا عمر رضى الله عنه يحرق نار الشيطان. فنور الخشية يتجلى فى مقام



الخشية من الله سبحانه وتعالى. وبنور الخشية يستغرق الولي، فهو يخشى من رد الأعمال أشد من خوفه من ترك الأعمال. فهو يخشى من العلل التي تمنع العمل من القبول.

(فَبَشِّرْهُ): الفاء ترتيبية ترتب أمرين على أمرين:

ترتيب التبشير بالمغفرة وبالأجر الكريم على اتباع الذكر وخشية الرحمن بالغيب.

بِمَغْفِرَةٍ: المغفرة ستر الذنوب.

وَأَجْرٍ كَرِيمٍ: وصول الثواب.

وعند بعض العارفين<sup>١٣٧</sup> يقول المغفرة هنا ستر مخصوص ناتج عن تجلى أنوار الذات، فهناك أنوار للصفات الإلهية وهناك أنوار للذات. ومن هو في مقام تجلى الصفات يُخجِب (أى يُستَر) بأنوار الصفات عن تجلى أنوار الذات. فهو بمغفرة لأنه في النور<sup>١٣٨</sup>.

(١٣٧) يقصد الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي.

(١٣٨) وهنا ألمحت لفضيلته أنه في هذا المقام الذي يتحدث عن أنوار الذات والصفات يتصل بما في الصحيحين "إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ"، قائلا: نتذكر إذن ما جاء عن جواب سيدنا أبي الحسن الشاذلي عليه السلام "ذاك غَيْنُ أنوار لا غين أغيار يا على"، والاستغفار عن المقام الذي يتركه عليه السلام إلى المقام الذي هو أعلى منه. ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن أبي جمره في بهجة النفوس "أن فكرته عليه السلام قد تكون في صفة من الصفات أو اسم من الأسماء ولا يمكن في الزمان الفرد الفكرة في جميع الأسماء والصفات فإذا اشتغل القلب بالفكرة في أحد الأسماء والصفات استولى على القلب المبارك من تعظيم ذلك ما صار عليه كالمران فإذا سرى عنه من تلك الحالة الجليلة استغفر من شغله عن الذي بقى من الأسماء والصفات لأن كل واحد منهما يطلب حظه من التعظيم في كل نفس يرد، أو عن شغله بتجلى الذات عن استيفاء حق تلك الصفة أو الاسم لأن الفاني لا يمكن أن يوفى حق الباقي قطعا إلا بمعونة الباقي" (ج ١ ص ٢٢٧). فعقب أ.د. جودة قائلا: "فسيدنا رسول الله عليه السلام لا تمر عليه لحظة إلا وهو في ترقى دائم إلى الأبد لأنه مجلى الذات الإلهية، أى موضع تجلى الذات، فهو الوحيد من خلق الله الذى يتحمل تجليات الذات الإلهية، فهو روح الوجود. وهنا نسأل هل تتوقف تجليات الذات الإلهية؟ بالطبع لا، فهي مستمرة مما يؤدى لاستمرارية المجلى باستمرارية المجلى، جل جلال الله وبالتالي فسيدنا رسول الله في مقامات لا يستطيع أحد أن يحصيها، فتدبر!".

وهنا يثور سؤال:

س: هل الأجر هو الكريم؟ أو صاحب الأجر هو الكريم؟ فكيف وصف الأجر بذلك؟

ج: عندما يكون الأجر نفسه اكتسب من المؤجر صفة الكرم. فالأجر من المؤجر ولفظ الأجر موازى للأجرة فى الاشتقاق. الأجر كالأجرة هكذا فى المصادر، والأجرة تكون بعقد وعلاقة بي مؤجر ومستأجر، والأجر نتيجة عمل المستأجر بما فى عقد الأجرة. فطالما أن المؤجر كريم فكرمه فاض على الأجر فوصف الأجر بالكرم. وفى هذا إشارة إلى عظمة الأجر نفسه. أى أنه اكتسب صفة المؤجر.

---

## حادى عشر: تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ  
وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾

### قضية البعث:

ثم ينتقل الحق بعد ذلك للحديث عن قضية البعث وشرع فى بيانها. فهنا تم الانتقال من قضايا الرسالة والقرآن والإنذار والقدر إلى قضية البعث.

**مسألة:** وبمناسبة الانتقال من قضية لأخرى يدعى بعض المستشرقين وغيرهم أن موضوعات القرآن غير مرتبة وليس فيها ترتيب منطقي، فترد عليهم إن الموضوعات مرتبة ترتيبا منطقيا ولكنكم لا تعلمون، فلقد بدأ المولى عز وجل ببيان قضية الرسالة والرسول الذى جاعنا بالدين من عند الله، ثم القرآن الذى هو دستورهُ من عند الله، والإنذار الذى هو مهمة الرسول والقرآن ثم يأتى بالبعث الذى هو مُحَصَّل نتائج الرسالة. فكل ذلك يصب فى البعث ثم يُحَاسِبُوا على ما قدموا.

**أهمية قضية البعث:** قال سيدنا الإمام الغزالي رحمه الله إن المدار فى صحة الإيمان على الاعتراف بالحشر، وهو مُقَرَّر فى سورة يس بأبلغ وجه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس ٧٨-٧٩)، لأن الأصلين الثانيتين "الوحدانية، والنبوة" يصبان فى الثالث وهو البعث، فإذا آمن بالبعث فهو متبع للرسول أى مصدق به فلا بد أن يكون موحدًا بالله أيضا. وهذا ما بيناه سابقا فى أسباب اختيارنا لسورة يس للدراسة هذا العام.

س: كيف تثبت قضية البعث؟

ج: تثبت قضية البعث بقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ .أى الذى خلق الإنسان وبدأ خلقه من طين ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (السجدة٧)، هو القادر على إعادته ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (القيامة٤)، فهو ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم٢٧)، وأهون هذه بالنسبة لنا إنما عند ربنا لا يوجد ما أهون من آخر - فأفعل التفضيل على غير بابيه - فالكل فى غاية الهوان<sup>١٣٩</sup>.

وهنا تتفرع قضيتان : قضية المعرفة ، وقضية التوحيد. ونبدأ فى بيانهما كما يلى:

#### قضية المعرفة:

لا يعرف الله على الحقيقة إلا هو، ولا مجال لنا فى معرفة الذات الإلهية إلا بالذات الإلهية، فهو الْمَعْرِفُ لنفسه بنفسه. ونصل إلى ذلك بالوقوف على إعراب هذه الآية الكريمة التى بين أيدينا حيث يوجد وجهان من الإعراب:

إِنَّا: (نون العظمة) وأصلها إننا. وهى تعنى ( إِن ) ، ( نَا )، فهى (إن) أداة تأكيد ناسخة وناصبة واسمها. واسمها محكوم عليه بالخبر الى هو المحكوم به.

وعلى الوجه الأول (الجهيد): (نَحْنُ) ضمير تَكَلَّمَ جِءَ به للتأكيد، والخبر هو جملة (نُحْيِي الْمَوْتَى) وما عطف عليه (وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآتَاهُمْ). أى إننا بكمال قدرتنا وإرادتنا نحى الموتى. ومدار الإخبار هنا هو (جملة نحى الموتى).

١٣٩ ) فعند المخلوقات هناك مقارنات بين الأشياء والأهون فيها بالنسبة لكل مخلوق يختلف عن الآخر فهى نسبية حسب القدرات التى وهبها المولى عز وجل لهذه المخلوقات، وإنما فى حق المولى تعالى فإتما هو قادر مرید ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (الحجر ٤٠)، وفى ذلك ننصح بمراجعة كتب العقيدة وعلم الكلام ومنها حاشية الشيخ الأمير على الجوهرة. فالكلام هنا بلسان البشر كى يفهمونه، ولكن كله هين. وكما قيل:

إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هَيِّنٌ وكلُّ الذى فوق الترابِ ترابٌ

أو على الوجه الثاني (الوجه الصوفي): تكون (نَحْنُ) هى الخبر. و(نحنى الموتى) جملة مستأنفة لإضافة فائدة مزيدة على فائدة الإخبار الأول. وبيانه كالتالى: (ولله المثل الأعلى) على سبيل المثال إذا كان هناك أحد العظماء فى مؤتمر وخلافه ويتحدث فيريد أن يعرف الناس بنفسه فيقول (نحن فلان) أو (أنا أنا)، أو (أنا فلان)، أو (إنى أنا) أو (إننا نحن). وهكذا حسب ما يرى من عظمة نفسه. والملوك يقولون ذلك عن أنفسهم فى خطاباتهم وفى مكتوباتهم.

وفى التفاسير إفادة الجمع فى نحن باعتبار كثرة الصفات. وهذا مُسوَّغ علمى مقبول، لأنه واحد أحد، ذات واحدة ولكن صفاته كثيرة. ولكن الأعظم والأكثر الذى يليق بذات الله إنها نقول إن العظمة الكاملة التى لا يُعْظَمُ سواها إلا بها.

وأصل نَحْنُ هو أنها ضمير متكلم مُعْظَمُ نفسه، أو المتكلم ومعه غيره. والعظيم مُعْظَمُ نفسه بنفسه، ولا عظيم على الحقيقة إلا الله.. وكل عظمة لغير الله على الحقيقة مستمدة من عظمة الله. فضمير نَحْنُ ضمير فصل مهمته البلاغية إفادة القصر، والمعنى نحن لا غيرنا، أى إنا فقط ولا غيرنا يحيى الموتى. حتى مع سيدنا عيسى عليه السلام فعلى الحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام مظهر سببى وإحياء الموتى بإذن الله وبارادة الله وبقدرة الله<sup>١٤٠</sup>.

وهنا ملحظ إعرابى هام وهو أن المفروض فى كلام البشر أن الخبر لابد وأن يحمل فائدة غير المبتدأ، أى أن المحكوم عليه (كان مبتدئا ثم أصبح اسم إن) بالخبر. وهذا الخبر الذى نحكم به المفروض أن يكون شيئا غير المحكوم عليه ولا يكون المحكوم به هو

١٤٠) ومعجزة إحياء الموتى ثبتت لسيدنا عيسى عليه السلام وكذلك لغير الأنبياء مثلما حدث مع أصحاب القرية فى سورة يس كما أثبتته جموع المفسرين وهذا ما سوف نبينه فى حينه. وانتبه لو قصرنا الإحياء على الله تعالى فقط فلا يصح ذلك لسيدنا عيسى ولا غيره. وحتى ابن تيمية فى رسائله قال: "وأما المعجزات التى لغير الأنبياء فمنها العلم بالمغيبات والإتيان بالأمور الخارقة كما فى قصر الخضر مع نبي الله موسى عليه السلام". ويلاحظ أن المفاد هنا هو أن المحيى على الحقيقة هو الله تعالى حصرا وقصرا.

نفسه المحكوم عليه. وهذا فى كلام البشر لكن فى القرآن عندما يعبر النظم الكريم بقول (إنا نحن) فهو غنى بذاته لذاته عن العالمين فلا يُخْبَرُ عنه بغيره، أى جعل المحكوم به وهو الخبر عين المحكوم عليه وهو الذى كان مبتدءا وصار اسم إن. وانتبه فالخبر مطلوب لكى نَعْرِفَ به المبتدأ (المحكوم عليه)، فهل هناك أحد غير الله تستطيع أن تأخذ منه معرفة عن الله؟ كلا وحاشا. فغيرة المعرفة بالله حتمت ألا يُحَكَمَ بمعرفة لله بغير الله، فالله هو المَعْرِفُ لنفسه بنفسه فقال (إنا نحن). وهذه من قواعد الصوفية:

### (لا تُعْرِفُ الذاتُ إلا بالذات)

لأنه لا يعرفُ الله على الحقيقة والكمال إلا الله، فقال إنا نحن. فهذه الجملة أفادت عند العارفين أن الذات الإلهية لا تُعْرِفُ إلا بالذات الإلهية. ولما كان مناط المعرفة هو جملة الخبر (أو الخبر المفرد) لم يؤت بخبر غير الله ليُحَكَمَ به على معرفة الله فقال (إنا نحن). ويأسيـلوب آخـر: لا يُحَكَمُ على معرفة الذات بشئ من خارج الذات، فلا بد أن تكون الذات هى الحاكمة بمعرفة الذات، لأنه لا قدرة لغير الذات الإلهية على معرفة الذات الإلهية كما ينبغى أن تُعْرِفَ الذات الإلهية.

ولذلك قال الصديق الأعظم "العجزُ عن دَرَكِ الإدراك إدراك"، وهى أجمل وألذ وأشهى جملة فى المعرفة. بل حُرِّمَ علينا أن نتأمل فى كنه الذات<sup>١٤١</sup> لما ورد عنه ﷺ

وعلاقة ذلك بقضية المعرفة هى أنه لدينا (إن) و(اسمها) وهذا الاسم كان مبتدءا قبل ذلك ومطلوب له خبر، وهذا الخبر هو محل الفائدة والمعرفة. ومحل الفائدة والمعرفة هنا هو نفس المبتدأ (نحن) حيث صار (إنا نحن)، والفائدة هنا هى المعرفة حيث أخذ العارفون من تعبير (إنا نحن) أنه لا يُعْرِفُ الله إلا بالله. فلا تأخذ معرفة الله من الفلسفة لأنها نتاج عقلى أَرْضَى، والعقل عَقَلٌ، والعقل قِيدٌ وتقييد. لكن اصعد واستشرف عظمة المطلق. فيؤخذ من هذا الوجه أنه لا سبيل إلى معرفة الذات الإلهية إلا بالذات الإلهية أى لا يُعْرِفُ الله إلا بالله.

ويمكن إعادة طرح هذه القضية بصيغة سؤال أكاديمى كما يلى<sup>١٤٢</sup>:

(١٤١) حديث ابن عباس ذكره ابن حجر فى الفتوح: تفكروا فى كل شيء ولا تفكروا فى ذات الله" قال ابن حجر فى الفتوح: موقوف وسنده جيد.

س: كيف أخبر عن الذات بالذات، والشأن في الخبر أن يكون مُغَايِرًا للمبتدأ، لأنه يحكم عليه بشأن ليس فيه.؟ أى يحمل فائدة الخبر على المبتدأ.

ج: إذا قلنا (محمد) فلقد تصورنا ذاتا فقط ولم نأخذ فائدة من غير الذات. أما إذا قلنا (محمد ناجح) فهذا أخذنا الفائدة من (ناجح) وأسندناها لذات (محمد) ١٤٣.

ولكن إذا قلنا (محمد هو محمد) وهذا مما هو دارج على الألسنة فى كلام العوام عندما يريد التأكيد على أن شخصا ما لا يتغير ولا يغير كلامه أو قراره فلا تبذلوا معه جهدا فى محاولة إثباته عن موقفه. فمقصد هذا الكلام أن محمدا هذا هو الذى تعرفونه من جملة تاريخ حياته أنه إذا قال شيئا لا يرجع فيه. والله المثل الأعلى (إنا) ذاتنا الإلهية. وهنا يتدخل الإعراب ليبين ما الإضافة المطلوبة حيث لا يعرف الذات أكثر منها أو مثلها حتى تعطى أقصى قدر من الفائدة فلا تملك أن تحكم على الذات الإلهية بغير الذات. وهذا يعطى وحدة المعرفة ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ (الحجر ٢١) ومنها المعرفة. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ كما أننا أيضا الذى ننزله بقدر معلوم أى على وفق الحكمة.

والمعنى الإشارى "إنا بكمال معرفتنا نعرف بذاتنا" أى أن معرفة الذات الإلهية وقفاً على الذات الإلهية، فلا تعرف الذات على الكل والحقيقة من غير الذات. وإذا عرف غير الله من نبي أو ولي أو عارف كثيرا مما يتعلق بالذات فإتما هو من إلهام ومن وحى الذات، فهى الأصل فى المعرفة ١٤٤.

١٤٢ ( وفضيلة أ.د. جودة يقصد إعادة صياغة الموضوع بطريقة أخرى لاستشعاره بأهمية هذه النقطة وضرورة توضيحها للدارسين، فما كان من فضيلته إلا أن أعاد شرحها وبياناتها عدة مرات بأساليب مختلفة بمقتضى الحرص على الدارسين.

١٤٣ ( وبيان ذلك فى علم النطق فى مبحث التصور والتصديق والفرق بينهما. فالتصور هو إدراك المفرد دون ما حكم عليه، أما التصديق فهو النسبة بين الموضوع والمحمول (المبتدأ والخبر)، ومن ذلك ما جاء فى السلم: إدراك مفرد تصورا علم ودرك نسبة بتصديق وسم.

١٤٤ ( وهنا أشار أ.د. جودة إلى أهمية التذوق للاستنباط الصوفى لأن الكلام مهما كان لا يعبر عن الحقيقة وإنما من ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

س: وماذا يستفاد من قصر تعريف الذات على الذات، واستخدام النظم الكريم (إنا نحن)؟

ج: التعبير بضمير العظمة الإلهية يعطى نفى الشريك، وبيانه ذلك من حيث أنه يُخبر عن الذات بالذات ولا يُعَدّل عن ذلك إلى تعريف الذات بغير الذات دليل على أن الوجود الحق وقف على الذات فلا إشراك مع الذات بغيرها.

وإذا أردنا أن نقرب المعنى لكم نفترض أنه لدينا أكثر من شخص يحمل نفس الاسم (سعيد) مثلا فعندما نقول (رأيت سعيدا وسعيدا) فلا يصح ذلك لغة لأنه يوجد أكثر من سعيد فأبهم تقصد. لابد من تحديد من تقصد بهذه الرؤية لاشتراكهم في نفس الاسم فلا بد أن تقول مثلا (رأيت سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب). لكن في الذات الإلهية هل يوجد غير الله! لا إله إلا الله. إذن في حق الله تعالى إنا نحن. وبذلك يمتنع أن أخبر عن الذات بغيرها إذا كان هناك غيرها معها، وهذا ممتنع في حق الله تعالى. ولذلك فلكي نأمن الإشراف أو الاشتراك نأتى بمُميّز لأحد المتماثلين فأقول (بن جبير) ولكن هل هناك من يُماثل الله! لا إله إلا الله. فلتنزيه الذات عن المماثلة أخبر عن الذات بالذات لأنه لا شئ يُشبه الذات غير الذات. وهذا هو توحيد الصوفية. أما قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ فهي تعطى أحقية وجود الشيخ بعد النبي ﷺ لأنك لست مؤهلا أن تعرف عن الذات من الذات فخذ شيئا وسيلة يكون أقرب منك إلى الذات ليخبرك عن الذات. وهذا ما سوف نبينه بعد قليل. وذلك معناه أنه من الممكن التعرف على الله عن طريق من أدن له، وحتى في هذا أيضا فهو المُخبر عن نفسه تعالى.

وإذا تساءل البعض وما وجه المقارنة أو المناسبة بيني وبين الله حتى أعرفه به؟ نبين له أن الله تعالى هو الذى خلقك وهو أعلم بمصلحتك ولعدم المناسبة بينك وبين خالقك فأين المحدث من القديم، بل أين العدم من الوجود. لهذا تحننت وتلطفت وتعطفت عليك يا عبدى بأن أرسلت لك رسولا منى ليعرفك بى. فالرسول ﷺ أعرف الخلق بالله لأنه لا يمكن أن يُعرفك بالله إلا بعد أن يكون عارفا كاملا لأن فاقد الشئ لا يعطيه. ولذلك فالله



تعالى عَرَفَ نفسه بأقصى قدر ممكن لرسوله ﷺ ، وفوض رسوله في تعريف من يرى فيه الاستعداد والأهلية ليعرفه بالله على قدر ما قسم الله له من الاستعداد. بحيث أنه إذا جاء واحد يطلب المعرفة فنسأله وهل أنت مستعد أولاً أن تعرف حقيقة لا بمجرد الكلام، ومن هذا نأخذ وساطة الرسول فلا يُعرف الله إلا بالله وأنى لنا بمعرفة الله بالله. إذن لا بد من التوجه إلى رسول الله ﷺ . وبذلك تطلب الوساطة بمنتهى اليسر والبساطة. ومن هنا يظهر يوم القيامة حسرة المنكرين للوساطة<sup>١٤٥</sup> والوسيلة والتوسل بالرسول ﷺ . فمن أنكر شفاعته في الدنيا حُرِمَها في الآخرة. حتى الرسل في حاجة إلى الشفاعة رغم عدم ذنوبهم وذلك لأنهم يطلبون الترقى ورفع حُجُبِ الأنوار حتى يقتربوا من مصدر الأنوار أكثر وأكثر وأكثر والشفيع الأعظم هو سيدنا رسول الله ﷺ . كما أن الاحتجاج بآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة ١٨٦) لأنها تقتضى وساطة

١٤٥) ونذكر في هذا المقام بالحديث الصحيح عن عثمان بن حنيف وهو حديث التوجه بالنبي ﷺ . في مسند أحمد وابن ماجه: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا رَوْحٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدِينِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ خَزِيمَةَ بْنَ ثَابِتٍ يُحَدِّثُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَنْفٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُعَافِيَنِي. فَقَالَ « إِنْ شِئْتَ أَخَرْتُ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لَأَخْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ». قَالَ لَا بَلْ اذْعُ اللَّهُ لِي. فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَأَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ وَأَنْ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضَى وَتُشْفَعَنِي فِيهِ وَتُشْفَعُهُ فِيَّ ». قَالَ فَكَانَ يَقُولُ هَذَا مَرَارًا ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَحْسَبُ أَنْ فِيهَا « أَنْ تُشْفَعَنِي فِيهِ ». قَالَ فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَأَ. وفي هذا إثبات للتوسل بالنبي ﷺ . ويقول العارفون إنه أراد أن يدعو له النبي ﷺ وقتها لأنه يريد أن يبصر لكى يرى النبي ﷺ وينال المدد المهدى. ولا يرد ذلك حديث البخارى في التوسل بالعباس "عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِنَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا . قَالَ فَيَسْقُونَ". لأن صلاة الاستسقاء تتطلب إماما يصلى والناس خلفه، كما أن الحديث فيه تأكيد جواز التوسل بغير النبي ﷺ لفتح مشروعية التوسل بغير النبي ﷺ . وأما عن التوسل بالنبي ﷺ بعد أن لحق بالرفيق الأعلى فهو ثابت من حديث أَبُو الْجَوْزَاءِ فِي سَنَنِ الدَّارِمِيِّ قَالَ: قَحَطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطًا شَدِيدًا ، فَشَكُّوا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاجْعَلُوا مِنْهُ كَوَى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ. قَالَ : فَفَعَلُوا فَمَطَرْنَا مَطَرًا حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفْتَقَتْ مِنَ الشَّحْمِ فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْحِ. وانتبه إلى ما قرره الإمام محمد زاهر الكوثرى في كتابه "محق النقول في مسألة التوسل" إلى من يقول بمشروعية التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعدها شركا بعد وفاته تلزمهم دعوى الشرك لأنه إذا توسل بالنبي أو الولي في حياته فقط ينسب التأثير إلى النبي أو الولي لا إلى الله تعالى وذلك عين الشرك، بينما من ينسب التأثير إلى الله عز وجل فيستوى عندهم أن يكون النبي أو الولي حيا أو ميتا.

النبي ﷺ لأن الحق تعالى لم يقل (وإذا سألتني عبادي) بل قال (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي) بكاف الخطاب، أى أنه جعله بينه وبين عباده واختار ذلك فكانت جملة الشرط (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي) أما جواب الشرط فهو جملة (فَإِنِّي قَرِيبٌ) فجملة الجواب شرط وهى مُعلّقة على توسط ضمير النبي ﷺ أى أجيب دعوة الداعى إذا سألك عبادى وبيان ذلك قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ أى فاسأل عنه خبيراً به، فأنت المسئول عنى. ثم إن أرادوا أن أجيبهم فليستجيبوا لى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. وانتبه فالآية تعطينا عموم سؤال الله بطريق نبيه سيدنا محمد ﷺ .

خلاصة القول فى مسألة الضمير (نحن):

١- وحدة المعرفة أو وحدة مصدر المعرفة: أى لإفادة التوحيد فى المعرفة أنه لا شئ غير الذات يملك المعرفة الكاملة المطلقة عن الذات، ومن ثم لا يتأتى تعريف الذات إلا بالذات.

٢- رفع مظنة الإشراك: أى لا يأتى الإخبار من الغير حتى لا يتأتى الشرك، والإشراك. لأنه يُخْبِرُ عن الذات بغيرها لتمييزها عن غيرها حينما يشترك غيرها معها أى يتمثلان فى شئ فأحتاج لثالث للتمييز. ومعنى ذلك أن هناك ذاتاً وما يشبهها. لكن من الذى يشترك مع الله فى ألوهيته ومن الذى يشبه ذات الله تعالى، لا إله إلا الله. وعند الصوفية الوجود الحق هو الله وحده، وهذه هى وحدة الوجود الحقيقية. أما وجودنا فهو إضافى، فلقد أوجدنا سبحانه بعد عدم.

ومن ذلك فأنا أقول إنه هناك فى القرآن الكريم عبارات كثيرة تؤدى معنى (لا إله إلا الله). ومن ذلك قوله تعالى فى الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك أنت وجدك المعبود بحق. وأيضاً ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأن فيها معنى الاستغراق أى استغراق كل أفراد الحمد بأل الاستغراقية مستغرقة.. مستحقة لله.. مضافة لله، فالحمد لا يكون إلا على جميل ذاتى أو إسداء نعمة ولا منعم إلا الله ولا جمال ولا جلال ولا كمال للذات إلا من الذات فيكون الحمد لله تساوى معنى لا إله إلا الله.

نُحْيِي: من الإحياء، وهو جعلُ الشيء حيا ذا حِسٍ وحركة.

المَوْتَى : جمع مَيّت.

والحياة صفةٌ تَصَحَّحُ<sup>١٤٦</sup> لصاحبها الاتصاف بالعلم والقدرة والإرادة. فلا علم بلا حياة، ولا قدرة بلا حياة، ولا إرادة بلا حياة.

والموت: سلب (أخذ) الروح من الجسد. والموت ليس عَدَمًا. فمن حولنا من أهل القبور يشاهدوننا ويحسون بنا ولا نراهم وذلك لأنهم في دار الحق<sup>١٤٧</sup> وقد تلاشت الحُجُب عندهم.

والمعنى الصوفى الإشارى نحى قلوبا ماتت بالقسوة فنجيها بالمعرفة. ولذلك يقول المحققون إن بشرتك هذه وطينتك هذه بكثافتها وحجبها هي التي تمنعك من المعرفة. ولذلك فإن مهمة السلوك الصوفى إزالة آثار الحجب البشرية عن مرآة القلب حتى يعود نقش حقائق الوجود إلى مرآة القلب كما كان قبل نفخ الروح في الجسد.

إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ  
كَاسِفًا بَالَهُ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ  
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كُثْبِيًّا  
فَهِمُ الْأَحْيَاءِ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

( ١٤٦ ) ففى علم الكلام عند السادة الأشاعرة أهل السنة صفات المعانى هى الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، والحياة هى الصفة المصححة لذلك. وهذه هى الصفات الإيجابية التى ثبتت بالدليل العقلى والشرعى عند المتكلمين. فلا يصح وصف الجماد (قطعة خشب مثلا) بالعلم أو الجهل لأن الفرض خطأ لعدم اتصاف هذه الخشبة بالحياة أصلا.

( ١٤٧ ) ومن ذلك حديث الصحيحين: أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ». فَقَالَتْ وَهَلْ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ أَوْ بِذَنْبِهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ ». وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْقَلْبِ يَوْمَ بَذَرٍ وَفِيهِ قَتْلَى بِذَرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ « إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ ». إِنَّمَا قَالَ « إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ ». ثُمَّ قَرَأَتْ (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى) (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) يَقُولُ حِينَ تَبَوَّعُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ.

**فالتفسير الإشاري:** إنا نحن بكمال معرفتنا وقدرتنا وإرادتنا وحكمتنا وعظمتنا واصطفائنا نحى قلوبنا قد أمانتها القسوة بما نمطر عليها من وابل الزكفى والقرى. ومنه الحديث (ألا إن لله فى أيام دهركم لفحات ألا فتعرضوا لها). فمن ذلك صيام عاشوراء وإحياء أوائل المحرم وإحياء ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وغير ذلك الكثير. فتجليات المولى عز وجل دائمة ولكن هذه الأوقات لها خصوصية<sup>١٤٨</sup>.

### فهمة التصوف إحياء القلوب الميتة.

وهذا يرد على التساؤل الذى يطرح كثيرا هل التصوف باختيارنا أى هل من اختيارنا أن نكون من الصوفية أم هى عناية الله وتوفيقه واختياره؟ فنقول إن الاستعداد الصوفى من خلق الله فلا أحد يتدخل فيه حتى إنه تعالى أوجد فى النفوس البشرية العذب منها والمَلَح ونسبة العذب إلى الملح قليل فى هذه الحياة كنسبة الأنهار إلى البحار ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص ٢٤)<sup>١٤٩</sup>. وليس معنى الاصطفاء أن نتوقف عن السعى بل لابد من العمل لحديث (اعملوا فكل

(١٤٨) ومن ذلك حديث " حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يَغْطِي هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ ». (م/حم/الدارمى) "وهو ما يُعرف بحديث النزول. وهذا النزول كما قرره السلف الصالح بلا كيف ولا تشبيه ولا تكييف بل بالتفويض كما هو معلوم فى علم الكلام وكما بينته كلمات الإمام مالك إمام دار الهجرة (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة)، وليس كما قال ابن تيمية إنه نزول حسى ونعوذ بالله من ذلك. فليس النزول انتقالا من مكان إلى مكان فالقول إنه نزل من السماء السابعة إلى السادسة بمعنى حسى يستوجب والعياذ بالله خلو السماء السابعة منه وتحيزه - وحاشاه - فى السماء السادسة، والله منزّه عن المكان وعن الزمان، سبحانه من لا يحيط به مكان ولا يشتمل عليه زمان.

(١٤٩) وهذا بالطبع ما قرره فضيلة أ.د. جودة سابقا فى سورة يس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ميسر لما خلق له).<sup>١٥٠</sup> فلا يستطيع أحد منا مثلاً أن يحدد من ضمن مجموعة الجالسين من الذى اصطفاه الله تعالى ومن الذى أبغده. فمن الذى سيوفق فى العمل هو الذى سبقت له السعادة الأزلية فحكم عليه استعدادُه المقسوم له فى الأزل أن يعمل أن يُقبل منه.. اللهم افتح لنا أبواب رحمتك. وأدخلنا فيها يا أرحم الراحمين بجاه من أرسلته رحمة للعالمين.

ومعنى قوله (اعملوا) هو إثارة النفوس وتوجيهها للخير، فالذى يصطفى واصطفاه معلوم له أزلاً، فالأبواب مُفَتَّحة والسبل ممهدة والوسائل متاحة والكل يعمل ومع ذلك نترك لعظمة الإرادة الحق فى تخصيص البعض بالسعادة التى قُسمت أزلاً. ويضاف إلى ذلك أن الأمر بالعمل (اعملوا) ليس معناه أنك سوف تجد الكل يعمل أو الكل سوف يُخلص، إنما من مَن الله تعالى عليه بالمنحة الأزلية هو الذى سوف يجد عنده الإخلاص والاستعداد متوفران ويجد عنده الداعية ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود ٨٨) والتوفيق هو خلق قدرة الطاعة فى العبد، وهذا من خلق الله. وهذا الخلق ليس مكتسباً وإنما هو ممنوح بال العناية الإلهية.

وهنا ملحظ جميل للتربية الصحيحة التى عليها مشايخنا لابد من الانتباه إليه ألا وهو أن الصوفى الحق لا يرى لنفسه مقاما ولا مكانة، لأنك فى المقام الأول عبد لله. ولذلك فقولہ ﷺ «أَنَا سَيِّدٌ وَلَكِنْ آدَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ...» (م/ت/د/ج) معناه عند الصوفية لا فخر لى بالسيادة لأن افتخارى بالعبودية. فهذا هو التصوف ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف ٨٢) فإذا جاء للإنسان أنه أفضل من غيره فهو مَرَضٌ نعوذ بالله منه، وعليه أن يقول ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ

١٥٠) وذلك فى الصحيحين وغيرهما: حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ» . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَنْكُلُ عَلَى كِتَابِنَا وَتَدْعُ الْعَمَلَ قَالَ «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاةِ فَيُيسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاةِ » . ثُمَّ قَرَأَ ( فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ) (الآية).

خَيْرٍ فَقِيرٍ ﴿ (القصص ٢٤) فأننا فقير إليك. وهذه هي الولاية التي هي القرب من الله وألا يكون لك مع الله حال ولا مقام ولا علم وإنما ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (يوسف ٣٧) فكل شئ من الله. وهذا هو التصوف وهو مرادف لمصطلح الولاية، وهو من قول الإمام الجنيد سيد الطائفة "أن يملك الحق عنه ويحييك به"، والولاية هي الفناء فى الله والبقاء بالله، أى كأن الإمام الجنيد يقول "أن يملك الحق عنك بالفناء فيه ويحييك به بالبقاء به"، يكون التصوف هو الولاية، والصوفية هم الأولياء.

أما ما يقال عن الكسب وخلافه فهو صحيح لكن هناك ملحظ صوفى عند العارفين فيه لابد من الانتباه إليه وهو تفسير قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات ٩٦) فلها ثلاثة أوجه: (١) باعتبار ما موصولة فالمعنى خلقكم والذي تعملونه، (٢) وإذا كانت ما مصدرية أى تؤول وما بعدها بمصدر فيكون المعنى خلقكم وخلق عملكم فأنتما الاثنين مخلوقين لله، (٣) وإذا كانت ما نافية فالمعنى خلقكم وما تعملون شيئا لأن الله هو العامل فيكم بكم. ولذلك يقول العارفون "استعملنى الله فى طاعته" فهذا هو التعبير الصواب، لا أن يقول "أنا عملت كذا". فالخلاصة أن الأصل من الله، والمنة من الله، والفضل من الله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس ٥٨). ولقد قال العارفون على لسان الحضرة الإلهية: "لَوْ أَرَدْنَاكَ جَعَلْنَا كُلَّ مَا فِيكَ يُرِدُنَا" أى أن الله تعالى يقول لك إننا نخلق فيك أن نريدنا. أما المنكر فلا يريد الله تعالى وكما قال العارفون أيضا "أيها المعرض عنا إنَّ إِعْرَاضَكَ مِنَّا" وباقى هذه العبارة كما سبق فيكون تمامها "أيها المعرض عنا إنَّ إِعْرَاضَكَ مِنَّا .. لَوْ أَرَدْنَاكَ جَعَلْنَا كُلَّ مَا فِيكَ يُرِدُنَا". ورغم أن الكل من الله إلا أننا نقول للمريد فى بداية الطريق أنه فى حاجة إلى الشيخ الذى يوجهك ويعودك على عادات وسلوكيات صوفية شرعية إسلامية تنهل فيها وبها من أوقات المغامم وتقسيم الأرزاق وخلافه. أى يساعدك على محو

العادات لتحل محلها العبادات، ويكون ما كان لك عادة يتحول إلى عبادة<sup>١٥١</sup>، فيصبح أهل  
همة أى يكون هناك جدّ فى السلوك إلى ملك الملوك.

وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ: وقيل إن لهذه الآية سبب نزول جاء فى سنن  
الترمذى وتامامه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَزِيرٍ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْرَقِيُّ عَنْ  
سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَتْ بَنُو سَلَمَةَ  
فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ فَأَرَادُوا النُّقْلَةَ إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي  
الْمَوْتَى وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنْ آثَارَكُمْ تَكْتُبُ». فَلَمْ يَنْتَقِلُوا.  
ومنه أيضا حديث مسلم وتامامه: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ سَمِعْتُ  
كَهْمَسًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَتَحَوَّلُوا إِلَى  
قُرْبِ الْمَسْجِدِ. - قَالَ - وَالْبَقَاعُ خَالِيَةٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ «يَا بَنِي سَلَمَةَ دَيَّارَكُمْ  
تَكْتُبُ آثَارَكُمْ». فَقَالُوا مَا كَانَ يَسْرُنَا إِنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا.

وَتَكْتُبُ: والكتابة لها أكثر من معنى، منها النظم بالخط، وهناك الكتابة بمعنى الحفظ،  
وهناك الكتابة بمعنى الجزاء على ما يُكْتَب.

وَدَ: فعبّر بنون الجمع، العظمة الإلهية. وقال البعض يُسْتَشْعَرُ فيها الكتبة (الملائكة).

س: لماذا قدم نُحْيِي الْمَوْتَى على وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا مع أن الكتابة  
فورية سابقة على الإحياء؟

ج: الله تعالى كتب الأعمال أزلا، والملك يكتب العمل فور عمله. فالمَلَك لا يَكَلِّ  
ولا يمل<sup>١٥٢</sup>. والإجابة هى أن الأهم هو الإحياء لأنه تظهر فيه ثمرة الكتابة فقدم  
الأهم لأهميته.

( ١٥١ ) ومن ذلك إذا رأيت الرجل يمشى على الهواء فاعلم أنه لسان حاله يقول: سَخَرْتُ  
لمولاي هواي فَسَخَّرَ لى مولاي هواه. فالإنسان كالإناء إذا كان مملوءا بالطيب فلا محل  
للقاذورات فيه، والعكس بالعكس، ولذلك فالتصوف تخلية وتجليه وتجليه عن الرذائل  
وتخلية بالفضائل وتجليه بالمعارف.

( ١٥٢ ) ومن أورد الإمام الشعراني أنه عندما يصبح وقبل أى شئ يقول: أيها الملكان اكتبوا  
إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله" فيكتب له ذلك قبل أى شئ آخر.

والمعنى أننا نكتب ما قدموا من أعمال صالحة أو سيئة أو غير ذلك، وآثارهم. **وآثارهم:** والآخر<sup>١٥٣</sup> هو ما دل على المؤثر. وأثر الإنسان الذى يظهر فى الآخرة ما قدمه من عمل صالح شبهوه بعلم علموه أو كتاب ألفوه أو بستان وقفوه. ولذلك فمن لم يقدر على العلم والتأليف وأعطاه الله مالا فالفقراء كثيرون ومحتاجون<sup>١٥٤</sup>.

**وإشارياً:** والكتابة ليست فقط كتابة خط، فقد يكنى بها عن الحفظ وعن الثواب على العمل. ومن آثارهم تربية المريدين وبناء المساجد وتعليم العلم، فكل نشاط إنسانى هو من آثار بنى الإنسان فهو يكتب طبق الأصل ويجسد يوم القيامة ﴿هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف ٤٩).

**وَكُلَّ شَيْءٍ:** وكل منصوبة بفعل يفسره المذكور، والتقدير "وأحصينا كل شئ أحصيناه". فهو معمول لفعلين كما هو معلوم فى النحو. **أَحْصَيْنَاهُ:** ومن أسماء الله الْمُحْصَى. وأصل الإحصاء<sup>١٥٥</sup> فى اللغة ضبط الشئ بالعدد، ويطلق على بيان الشئ. وأصل الإحصاء فى اللغة العد بالحصى. ومن ذلك الذكر بإحصاء العدد بالحصى.

**مسألة:** ومن الناس من يتسائل عن استطاعة المولى عز وجل إحصاء كل الخلق من آدم وحتى يوم القيامة! إذا تدبرنا الأمر نجد أن الكمبيوتر الآن يبين لنا شئنا هاما من التكنولوجيا الحديث، وهو ما يسمى بالشريحة الحافظة Hard Disk أو حتى المتنقل منها، والتي تستطيع أن تقوم بتخزين مليارات المعلومات عليها، فهل يكون قوله تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾

(١٥٣) الأثر: العلامة، وأثر الشئ بقيته، والجمع آثار (معجس).

(١٥٤) وهنا نوه أ.د. جودة إلى أن كثرة عدد الفقراء ساكنى المقابر فى مصر، وأنهم لهم حقوق على المسلمين، فهل من مسارع فى الخيرات. فأين إحساس المسلم بالمسلم؟؟

(١٥٥) أحصى الشئ: عرف قدره. ويقال أحصى الكتاب: حفظه. (معجس).



وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ  
الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٣﴾ (الإسراء ١٣-١٤) بعيدا عن أفهامنا وعقولنا الآن!

**فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ:** الإمام في اللغة هو الأصل الذي يُؤْتَمُّ به من إنسان أو من كتاب.  
والمراد به هنا وجوه:

أنه اللوح المحفوظ: فهو إمام لأنه يُتَّبَعُ ومبين لأنه مُبَيِّن. واللوح المحفوظ على قول: فيه  
محو وفيه إثبات. ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد ٣٩).  
إنه أم الكتاب: وهو يطلق على علم الله الأزلي، وأم الكتاب ليس فيه محو أو إثبات.

**وإشاريا:** قالوا الإمام المبين هو قلب الإنسان الكامل، الولي الكامل. والمعنى أحصينا  
كل شيء في لوح محفوظ قلوب أحببنا. أي كأنه يدرج اللوح المحفوظ في قلوب الأولياء.  
والإنسان الكامل هو الذي يتم منازل السلوك، التي هي مدارج السالكين<sup>١٥٦</sup>. والإنسان  
عندما يتم الله له منازل السلوك وتنقش الحُجُب عن قلبه، الله سبحانه تعالى بعد أن  
يَمْحُو من مرآة قلبه صورة كل ذرة في الأكوان يُحِلُّ عليه أنوارَه فتتنقشُ بها حقائقُ  
الوجود في صفحة مرآة القلب.

وعندما يصل إلى درجة التصفية التي بها تنقش حقائق الموجودات في قلب العارف.  
فالآفات في حضور المُنَوِّه وفي غِيَابِ الْمُتَحَقِّقِ عندما يميز العارف الْمُتَحَقِّقُ من  
المُنَوِّه ويقشع عن مرآة قلبه صور المُنَوِّه ليستقر المتحقق هنا تتم التصفية وهنا يتم  
نقش جميع الحقائق في قلب العارف فيصير قلبه الإمام المبين.

فالتصفية بالتصوف هي إزالة المُنَوِّه وإثبات المتحقق. وهذه هي التصفية التي هي  
خلاصة التصوف، نسأل الله تعالى أن يحققنا بها.

---

(١٥٦) وفي ذلك مؤلفات كثيرة لعل أشهرها "منازل السائرين" للإمام الهروي. والذي شرحها  
ابن القيم في مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين. ومن هذه المنازل مقامات التوبة  
والإنابة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والتفويض والتسليم والأتمس بالله والمعرفة بالله،  
وهكذا مائة منزل كل منها عشر مقامات.

## ثانى عشر: تفسير قوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ \* قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذُوبُونَ \* قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ \* وَمَا عَلَيْنَا الْبِلَاقُ الْمُبِينُ \* قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْلٍ لَمَّا تَنْتَهُوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ \* وَجَاء مِنَ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ \* وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون \* إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُون \* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾

هذه الآيات (١٣-٢٧ من سورة يس) شروع فى ضرب المثل بأصحاب القرية. ومناسبة هذه الآيات لما قبلها هو أن السورة الكريمة بدأت بقضية الرسالة والإنذار وغير ذلك من القضايا التى تشتمل عليها سورة يس، فكل آية لها تعلق ما بقضية من القضايا. وقد تستغرق القضية عدة آيات كآيات ضرب المثل بأصحاب القرية. فقضية الإنذار شغلت العديد من الآيات من السورة الكريمة. وقصة أصحاب القرية وثيقة الصلة بقضية الإنذار لأن النبى ﷺ لما أُنذر فريشا آمن من آمن وهم قلة، وكفر من كفر وهم كثرة وتعرضوا للنبى بالأذى ومن ذلك ما روى عن محاولة إيذاء أبى جهل لعنه الله للنبى ﷺ بأن يقذفه بحجر قائلا لنن رأيت محمدا صلى فى البيت الحرام لأرضخن رأسه ولما حاول ذلك والنبى ﷺ ساجد فى الحرم حدثت المعجزة والتصق يده بالحجر وغُلَّ عنقه ثم اتكفا مرتدا ولم يستطع أن ينال النبى ﷺ بسوء، وأيضا ما روى أن مخزوميا حاول ذلك أيضا فإذا به يرجع القهقرى ويفغر فاه مدهوشا حتى انقلب على قفاه بسبب

الفحل الذى رآه يقبل عليه ليلتقمه لو اقترب أكثر من النبى ﷺ وقال المفسرون إن ذلك كان جبريل فى صورة فحل، وما روى أن مخزوميا آخر حاول ذلك أيضا فأمسك بحجر واقترب من النبى ﷺ فأعمى الله بصره، فأغشيناهم فهم لا يبصرون. ومن شدة هذه المعاناة للنبى ﷺ ولأصحابه أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يضرب لكفار قريش مثلاً بأصحاب القرية وذلك لسببين:

١- إنذار جديد لأن القرآن له مسالك فى البيان، فهو أسلوب إلهى معجز إقناعى فى تبليغ الدعوة المحمدية. فبلاغة القرآن وإعجازه تعطى الخبر المؤكد والقسم والمعجزة والقصة وضرب المثل. ومن أساليبه البيان المباشر أو الأسلوب الجدلى، المجادلة<sup>١٥٧</sup>، أو الأسلوب القصصى الذى منه قصة أصحاب القرية، فكلها من مفردات بيان القرآن العظيم. والقرآن الكريم لم يترك ضرباً من الفصاحة ولا من البلاغة ولا من البيان إلا وقد أتى فيه بالإعجاز. وهنا كان المثل فقال تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

٢- إنها من تنمة الإنذار، فمن مهمة الرسول ﷺ البشارة والإنذار ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ، وذلك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾. مع إشارة إلى خاتمة وخلاصة ما سبق كله من أول سورة يس حتى نهاية الربع الأول من السورة الكريمة فبين له أنه ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ \* إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ .

( ١٥٧ ) ومن ذلك أسلوب المجادلة فى قضية الرسالة فى سورة الأنعام " وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَكُلَّوْا أُنزِلْنَا مَلَكًا نَقْضِي الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ \* وَكُلَّوْا جَعَلْنَاهُ مَلَكًا جَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ " (الأنعام ٨-٩)

سبب إيراد هذه القصة:

\* تسليية النبي ﷺ ، والتسليية إحداث السلوى وتخفيف المعاناة عن الرسول ﷺ لما كذب به قومه فقال له اضرب لهم أى لقومك مثلاً أصحاب القرية إنطاكية.

\* إعطاء نموذج للدعوة إلى الله على بصيرة (ومثل ذلك أيضاً مؤمن آل فرعون)، ولذلك ورد حديث عن النبي ﷺ رواه الطبرانى<sup>١٥٨</sup>: "سَبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ طَرَفَةٌ عَيْنٌ مُؤْمِنٌ آلُ فِرْعَوْنَ، وَصَاحِبُ يَسَ - الَّذِي هُوَ حَبِيبُ النَّجَارِ وَعَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ" وإن كان وصف حبيب النجار أنه كان ينحت الأصنام أنه كان ينحتها ولا يعبدها، أو أنه كان ينحتها ليتخلص منها.

الموضوعات المتصلة بالآيات: قصة أصحاب يس تشتمل على قصص ومثّل. وهو إعجاز قرآنى أن يُورد القصة فى إطار ضرب المثل بسياق معجز!!.

ولكن ما المثل، وما معنى ضرب المثل، وما تلك القرية ومن المرسلون الذين أرسلوا إليها، ومن الرسولان المقدمان ومن الرسول المتأخر. ويمكن بيان ذلك بالوقوف على القصة أولاً.

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا: ونحتاج لبيان المثل وإطلاقات المثل وضرب المثل:

المَثَلُ: له ثلاثة إطلاقات لغة وعرفاً ومجازاً، ونحتاج بيانها كالتالى:

لغة: هو الشبه والنظير، ويقال: مَثَلٌ ومَثَلٌ ومَثِيلٌ، كشبه وشبهه وشبيهه وزنا ومعنى. فالمثل هو الشبه. ويطلق المثل على القصة والحالة الغريبة.

عرفاً: أى فى العرف البلاغى، يطلق المثل على القول السائر المشبه مَضْرِبُهُ بِمُؤَرِّدِهِ<sup>١٥٩</sup> لعلاقة شبه بينهما. أى على الكلام النادر ذو التعبير العميق حتى ضربوا به المثل.

( ١٥٨ ) وانتبه لقاعدة مهمة أن المزية لا تقتضى الأفضلية، ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ "أَفْضَاكُمْ عَلَى" (راجع بن حجر فى الفتح)، قالها وسيدنا أبو بكر موجود وكذلك سيدنا عمر رضى الله عنهم أجمعين.

( ١٥٩ ) المَثَلُ جملة من القول مُقْتَطَفَةٌ من كلام أو مُرْسَلَةٌ بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى مشابيه دون تغيير (معجس). مثل: من ترك اللبن فى وقت تمخض الأنعام عنه حتى ذهب الوقت =

والله سبحانه وتعالى يذكر القصة ويريد أن تكون مثلاً في ذيوعتها وشهرتها وفي بلاغتها.

**مَوْرِدُ الْمَثَلِ:** أول ما يُضْرَبُ المثل يكون مورداً أي مصدراً لوروده، أي أول ما ورد.

**مَضْرِبُ الْمَثَلِ:** عندما أتمثل هذا المثل اليوم، فالمضرب يُشَبِّهُ بالمورد. أي محاكاة المورد. ولكي ينتشر المثل ويشيع في الأمم لابد من أن يكون له وقع كإيقاع الضرب على المضروب، مثل ضرب الدراهم والدنانير بالنقش فتتداول في الآفاق.

**مثل دون سبق:** وهى الأمثال التى تأتى لأول مرة. وهو الكلام البليغ المعبر المركز يكون مثلاً من الأمثال. ومن ذلك ما هو فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن ٢٦)، فكلما يموت واحد تجد الناس يقولون هذه الآية فاستعملت مثلاً من أمثال القرآن الكريم. وكذلك أيضاً قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦) وذلك عندما لا يستطيع واحد أن ينفذ أمراً معيناً من رئيسه فى العمل فيقول له هذه الآية، فهو قد استعمل كلام القرآن كمثل. وحتى فى التصوف يسأل البعض لماذا نتخذ شيخاً؟ وجواب ذلك فى مثل من آيات القرآن ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ والصوفية قوم فلهم هاد، وهو كشيخ الصنعة فى كل صنعة من الصناعات.

**محازا:** المثل له معنى مجازى حيث يُطلق المثل ويراد به الصفة والحالة الغريبة. ومن ذلك قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الحجر ٣)،

---

فجاء فى وقت غير وقته فقال له قائل: "الصِّفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ" فصار مثلاً، والرائد لا يكذب أهله والقرآن الكريم به أمثلة كثيرة منها "لَكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ".

أى الصفة الحسنة والحالة الغريبة التى وعدھا المتقون أنها تجرى من تحتها الأنهار إلى آخر الوصف فى الآية.

**ضَرَبَ الْمَثَلُ :** صُنْعُهُ، كضرب الدراهم والدنانير فى سك العملة. فالمثل يُصَنَع كما يصك النقء، والصك هو الختم. ولأن المثل يَتَدَاوَلُ لشهرته وبلاغته كتداول العملة. وضرب المثل هو اعتماد المثل وصنع المثل. وقوله تعالى **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا** أى مَثَلٌ لهم واصنع لهم بأمرنا وبلغ لهم من صنعنا مثلاً.

والمعنى عَرَفَ هؤلاء قصة أصحاب القرية ليتعظوا بما حصل لها.

**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا :** أى اضرب لقريش الذين كذبوك وجادلوك وجددوا رسالتك فقل لهم ماذا حصل لأهل القرية وماذا حدث لهم حتى يتعظوا ويؤمنوا قبل أن يفوت الأوان وتأتيهم صيحة كصيحة أصحاب القرية.

**أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ :** والقرية هى إنطاكية. وأكثر المفسرين على أنها بالشام<sup>١١٠</sup>.

**إِذْ جَاءَهَا :** بِدَل (اشتغال) من أصحاب القرية.

**الْمُرْسَلُونَ :** وسبق بيان الرسل والرسول.

**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ :** وقال المفسرون إن هذا الإرسال كان فى عصر سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام. ولفظ أرسلنا هو على الحقيقة، لكن على التَّسْبُّب من رسول أمة ذلك الزمان، فإن سيدنا عيسى عليه السلام هو الذى أرسل اثنين لما علم أن أهل إنطاكية ارتدوا عن ملتهم وعبدوا الأصنام واتخذوها من دون الله<sup>١١١</sup> ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ ، وفى ذلك آراء، منه أنهما كانا رسولين معاصرين من أعوان

---

( ١٦٠ ) وهناك إنطاكية فى بلاد الشام وأخرى فى بلاد الروم بناها أنطاكيس الحاكم الثالث بعد الاسكندر الأكبر. وهى إحدى مدن أربع هى العواصم المسيحية فى العالم فى هذا الوقت: إنطاكية - بيت المقدس - روميه (روما حالياً) والقسطنطينية. وهى التى يوجد بها بطريركات على مستوى الرئاسة عندهم. وإنطاكية هى أول مدينة آمنت بسيدنا عيسى عليه السلام.

( ١٦١ ) وفى هذا ملحق ليت النصارى ينتبهون إليه وهو أن سيدنا عيسى عليه السلام حارب الشرك والتعدد ودافع عن وحدانية الله تعالى.

سيدنا عيسى عليه السلام فيكونون من الحواريين، واختلفت الآراء في تسميتهما في الطبري اسمهما صادق ومصدق. وعند غيره اسمهما يحيى ويونس، يحملان نفس اسم النبيين الكريمين وقيل بل ذلك ليونس أما يحيى فهو يوحنا ويونس محرفة من بولص الى حولت الى بولس. وهناك رأى آخر بأنهما رسولين من عند الله في زمن سيدنا عيسى عليه السلام، وأن الثالث هو شالوم وقيل شمعون الذى كان رأس الحواريين. وقيل إنهما من الرسل لأن قضية بشرية الرسل تتخذ في مقاومة دعوى الرسل لا فى مقاومة دعوى رسل الرسل.

**إشاريا :** ويمكن استنباط نقطة هامة من موضوع الرسل السابق بيانه وأنهم رسل سيدنا عيسى عليه السلام ، وهو إثبات أن الأولياء فى الأمة المحمدية خلفاء ونواب لحضرة النبي ﷺ ، وذلك كما فعل سيدنا عيسى عليه السلام فأرسل رسلا ليسوا بأنبياء ولا مرسلين من قبل الله وإنما كانوا رسل الرسول. ليبلغوا دعوة الرسول. فالأولياء فى تبليغ الدعوة إلى الله بمثابة رسل الرسول على عهد سيدنا عيسى عليه السلام. وفى هذا أبلغ رد على من ينكر الأولياء والمشايخ ويدعى كذبا أن شيخه هو الرسول ﷺ حيث إن القرآن أثبت لنا أن سيدنا عيسى وهو من رسل الله ومن أولى العزم لم يكتف بأنه رسول وإنما أرسل رسلا من قبلة ليسوا أنبياء، وإنما هم بمثابة خلفاء عنه، والخلافة عن الرسول ﷺ لا تنقطع. قال الإمام ابن عربى: الخلافة مستمرة ولكنها إما ظاهرة وباطنة حيث يكون خليفة فى الظاهر وولى أمر ويكون قطب زمانه معا كما فى الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز، فاجتمعت الخلافتان. وإما أن تنفصل الظاهرة عن الباطنة فيكون خليفة فى الظاهر وليس فى الباطن كأكثر خلفاء الأمويين والعباسيين والملوك. وإما يكون خليفة فى الباطن وليس له خلافة فى الظاهر كالإمام الجنيد وأبى يزيد البسطامى والتستري والكرخى وغيرهم منات<sup>١٢</sup>، وكالقطب فى عصرنا الذى لا يُعلم إلا لمن أهله

( ١٦٢ ) وهذه يتسم مع ما تم دراسته فى علم الكلام مع أ.د. حسن الشافعى حيث بين أن الوراثة ثلاثة، فمن يريد المزيد من التفصيل عليه الرجوع إلى محاضرات المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية بالعشيرة المحمدية لعام ٢٠٠٥/٢٠٠٦، وهى متوفرة على أسطوانات حاسب آلى مدمجة، لمن يرغب بمقر العشيرة المحمدية بمنطقة قايتباى بالدراسة بالقاهرة.

الله لذلك. والاختلاف فقط هو أن رسل سيدنا عيسى كانت مهمتهم الدعوة إلى التوحيد على الملة العيسوية التي يناظرها مقام الإسلام لدينا، لكن أقطاب الولاية عندنا يجمعون المقامات الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وهذا ليس معناه أنه مفقود في الأمم الأخرى، بل موجود ومنهم حبيب النجار إلا أن مهمة الرسل الأصلية أنهم يُرسلون إلى الناس ليقولوا لهم أسلموا. ودليل ذلك الآيات الكريمة (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون \* إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُون \* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ). وذلك في أسلوب جدلي.

**قصة الإرسال:** وجاء في التفاسير أن سيدنا عيسى عليه السلام قال لهما اذهبا إلى قرية إنطاكية وبلغا دعوة الله فقالوا نحن لا علم لنا بلغتها ولا نعرف كيف نذهب إليها. فقال لهما سيغنكما الله فناما فحُملا وهما نائمان حتى وصلا إلى إنطاكية. وقيل حملتهما ملائكة حتى وصلا إلى إنطاكية فقاما من نومهما يعرفان لغة البلد ولغة قومها<sup>١١٣</sup>. ثم سارا فقابلهما رجل يرفع بغنيمات فقل إنه حبيب النجار<sup>١١٤</sup> فقال لهما من أنتم قالوا نحن رسولا الله. (وهناك قول آخر بأن الرسولين كانا من الحواريين، فهما رسل سيدنا عيسى

١٦٣) ومن هذا إن المرء عندما يكون في سبيل الله وفي طريق الدعوة إلى الله فالله تعالى يمدّه بالأسباب التي يفتقدها. وفي هذا إثبات للكرامات لمن كان قبلنا ومن باب أولى لأمة الحبيب الخاتم صلى الله عليه وسلم.

١٦٤) ومما يؤكد ذلك على سبيل التوثيق ما جاء في معجم البلدان إن إنطاكية بها قبر حبيب النجار. وقيل إنه سمي بالنجار لأنه كان ينحت الأصنام. وسبق أن أوردنا حديث رواه الطبراني "سَبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ طَرَفَةٌ عَيْنَ مُؤْمِنٍ آلَ فَرْعُونَ، وَصَاحِبُ يَسَ - الَّذِي هُوَ حَبِيبُ النَّجَارِ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ" وإن كان وصف حبيب النجار أنه كان ينحت الأصنام أنه كان ينحتها ولا يعبدها، أو أنه كان ينحتها ليتخلص منها. وشخصية حبيب النجار شخصية محورية في القصة ولذلك سميت السورة باسمه عند بعض أهل العلم.



عليه السلام بحق). فقال لهما: هل من آية أى هل من معجزة<sup>١٦٥</sup>، وهذا أمر طبعى يطلبه الناس من مدعى النبوة أو الرسالة ومن رسله بالتبعية، قالوا نعم: نحن نبرئ الأكمه والأبرص فقال عندى مريض كسيح لا يسمع ولا يرى فأحضره فسألا الله عز وجل ودعوا ومسحا عليه فبرأ من فوره بإذن الله فأمن بهما وبتوحيد الله وذهب بهما فأخبر أهل إنطاكية بدعوتهما وانتشر أمرهما فلم يجدا إلا الجحود والجمود والإنكار والأذى والضرب والتعذيب والحبس فكذبوهما<sup>١٦٦</sup> فلما علم سيدنا عيسى بذلك بنور الله بعث بثالث (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أى قوينا<sup>١٦٧</sup>. فجاء الثالث شمعون الذى كان رأسا للحواريين فقالوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ، فردوا عليهم و قالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ فما كان منهم إلا أن (قالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) وهذا تأكيد واضح بلفظ إنا وباللام (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ). فمهمة الرسل هى البلاغ فقط ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.

وقيل إن شمعون كان عنده دهاء فدخل متنكرا فى حاشية الملك أنطيوخس وتآلف مع الحاشية ثم توصل إلى الملك وتعرف عليه فتحفظ منه الملك. وقال للملك: لقد حبس فى بلدك رجلان ولم نعرف ما السبب فى حبسهما وإيذائهما فابعث وحقق فى هذا الأمر.

فأرسل الملك وأحضر الرسولين وقال لهما: من أنتما.

فقالا: نحن رسولا رسول الله جننا بدعوة التوحيد والهدى.

فقال: هل عندكما من آية؟

قالا: نحن نبرئ الأكمه والأبرص ونحى الموتى بإذن الله.

(١٦٥) والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة والرسالة تأييدا له فى دعواه. (راجع كتب علم الكلام ومنها حاشية الشيخ الأمير على الجوهري، وحاشية الصاوى على الخريدة، وزاد التفاتانى فى تهذيب الكلام "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة...").

(١٦٦) وفى هذا كما هو معلوم مواساة للحبيب ﷺ أنه قد أودى من قبلك المرسلين.

(١٦٧) ومنه الأرض العزاز الصلبة.

فقال: عندي ولدٌ مات منذ أسبوع وقد أرجأنا دفنه حتى يأتي أبوه ولم يأت أفأنتما قادران على إحيائه؟

قالا: نعم بإذن الله

فأحضره لهما فقرا ودعوا الله (ومعهما شمعون ولكنه أسر بالطبع تى لا يفتضح أمره) فإذا بالميت يتحرك وتدب فيه الحياة على أيديهما ويتكلم بإذن الله<sup>١٦٨</sup>.  
وسأله الناس ما حالك أيها الشاب؟

قال: لقد مت وعرفت الأمر وأُنْخِلْتُ فى سبعة أودية من أودية جهنم لأتى أشركت بالله فعلمت أن الله واحد لا شريك له<sup>١٦٩</sup>.

ورغم كل ذلك لم يتحرك قلب الملك أنطيوخس، فقال: أسألكما أن تعيدانى فدعوا الله عز وجل فعاد بعد أن تكلم وعَرَفَ ببعض حقائق الموت ما يُكْشَفُ للميت بعد موته.

فقال الملك: عندي غلامٌ ممسوح أى ليس له عينان فأتى به فمسح الرسولان أولا على مكان عينيه فانشق مكان العينين وجاءا ببندقتين من طين ووضعوا البندقتين فصارتا عينين ناظرتين بإذن الله.

"وهناك قول بأن الملك آمن قليلا إلا أن عصابة الكفر بطانة السوء ردوه إلى الكفر ثانيا".  
وكل ذلك ولكن الملك لم يؤمن ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ \* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿﴾ (الحجر: ١٥-١٦)  
فالإيمان ليس بظهور خرق العادة وإن كان حجة ولكن الإيمان بهداية الله تعالى. ولما لم يكن هناك فائدة، فعندئذ أعلن شمعون إيمانه أمام أنطيوخس وإذا بالملك يأخذ الثلاثة معهم حبيب النجار ويفترشهم ويطأون عليهم بأقدامهم وبالأثقال واعتصروهم

---

(١٦٨) وتفاصيل ذلك كله فى العديد من تفسير جمهور المفسرين وخاصة الإمام الفخر الرازى والطبرى والقرطبى وابن كثير وغيرهم. والاختلاف بينهم فى تفاصيل بسيطة، ومن ذلك أسماء الرسل ولكنها لا تمس جوهر القصة.

(١٦٩) وهذا خبر عيان من الحياة البرزخية، وأن القبر ليس هو الحفرة التى نراها وإنما هناك سبعة أودية وغير ذلك من العذاب والنار، أو روضة من النعيم، مصداقا لحديثه ﷺ " إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ " (ت). فالحياة البرزخية محققة الثبوت.

حتى خرجت أفعالهم وقضى على الثلاثة. وكل ذلك والدعاة إلى الله يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الدعوة إلى الله.

وقبل ذلك دارت المحاوره بينهم (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَكِنَّ لَمْ تَنْتَهُوا لَرْجُمَتَكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) أى أننا تشاءمنا منكم ولن يأتى منكم خير قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَنِذَاكَرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وظل الأمر كذلك حتى جاءت مرحلة جديدة فى القصة:

\* (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) وهو حبيب النجار صاحب يس، (قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ \* وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وجاء بالاستدلالية العقديّة قائلا (أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ \* إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) وصعدت روحه إلى بارئها وأدخل الجنة فنادته الملائكة: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ولذلك قال بعض المفسرين إنه بمجرد خروج روحه وقبل أن يذوق عذاب الملك الذى جاء سوريا بالنسبة لهؤلاء الرسل، ومن هذا قال المفسرون إن حبيبا النجار أرسل لنا رسالة من العالم الآخر قَالَ وجاءت هذه الرسالة من حياته البرزخية وفى هذا أقوى دليل لمواجهة من ينكر الحياة البرزخية (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ). هذا بيان للقصة ووصف لها.

ونعود إلى بيان مفردات القصة:

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ: أى إنا تشاءمنا.

والتطير هو التشاؤم، وهى عادة جاهلية قديمة<sup>١٧٠</sup>.

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ: ولقد استنبط العلماء من هذا وصول الدعوة إلى أطراف مدينة إنطاكية.

الْمَدِينَةُ: والمدينة اشتقاقها من مَدَنَ الشئ إذا دام وثَبَّتْ، تدل على الثبوت أى مدينة عريقة، ومَدَنَ منه الدِّمْنَةُ أى بقية القصر العتيد ومنه المدمن لأنه المداوم على شرب الخمر أو تعاطى المسكر أو الدخان، ولقد ارتبط الإدمان بالخمير إلا أنه يوجد إدمان الطعام وإدمان العبادة، فاللغة صالحة للخير وللشر والقريّة قرية لأنها تَقْرَى ومنه قَرَى الضيف، والقَرَى هو الجَمْع، ومنه الْقُرُوء وهو الحيضات أو الأطهار ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة ٢٢٧)، ومن أصل القرء مع السمو الأعظم القرآن<sup>١٧١</sup> من القرء على القول باشتقاقه لأنه جمع علوم الأولين والآخرين.

١٧٠ ( قال بن حجر فى الفتح: " طيرة بكسر المهملة وفتح التحتانية وقد تسكن، هى التشاؤم بالشئ، وهو مصدر تطير مثل تحير حيرة. قال بعض أهل اللغة لم يجيء من المصادر هكذا غير هاتين، وتعقب بأنه سمع طيبة، وأورد بعضهم التولة وفيه نظر، وأصل التطير أنهم كانوا فى الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر - سفر أو زواج وغيره - فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهى عن ذلك " وفيه حيث الصحيحين: " لَّا طِيرَةَ وَخَيْرُهَا النَّفَالُ قَالُوا وَمَا النَّفَالُ قَالَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْتَمْعُهَا أَحَدُكُمْ ".

١٧١ ( راجع تفاصيل تعريف القرآن فيما قدمناه سابقا وملخصه: القرآن لغة فيه عدة أقوال أوردها الزقاني فى مناهل العرفان واختار منها الآتى: .. القرآن مصدر مُرَادِفٌ للقراءة، ومنه قوله تعالى: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " (القيامة ١٧-١٨)، ثم نُقِلَ من هذا المعنى المصدرى وجُعِلَ اسماً للكلام المعجز المنزل على النبى ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله.... وعلى الرأى المختار فلفظ قرآن مهموز -همزته أصلية- وإذا حُذِفَ هَمْزُهُ فَبُنِيَ ذلك للتخفيف وإذا دخلته "أل" بعد التسمية فبُنِيَ هو للمُحْ الأصل لا للتعريف". وأقول ذلك من: قرأ يقرأ قرآناً وأطلقنا القرآن (مصدر) وأردنا منه اسم المفعول (مقروء) كما نطلق الخلق على المخلوق والطبخ على المطبوخ.

رَجُلٌ يَسْعَى وهو حبيب النجار صاحب يس، ولذلك من أسماء سورة يس علميا "سورة حبيب النجار"، ولكنى بالطبع لا أؤثر على اسم حبيبنا وسيدنا اسما آخر فهى سورة سيدنا يس..سورة سيدنا رسول الله ﷺ.

والسعى المشى بجد ونشاط، والسعى بين المشى وبين الجرى. ومنه السعى بين الصفا والمروة.

قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ: هذه هى الدعوة التى سبق الإشارة إليها عند حديثنا عن سبب إيراد القصة.

يَا قَوْمِ: التعبير بقوله يَا قَوْمِ هو نداء تحتن، وأصلها يا قومى أى يا أهلى، أى يا من أنا منكم وأنتم منى أن لكم ناصح أمين أنصحكم قائلا: اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ودليل صدقهم أبينه لكم فى أنهم مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. فذهبوا بهم إلى الحاكم أنطيوخيس ودار ما علمناه.

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ: وفى هذا فإن حبيب النجار داعية إلى الله على بصيرة فبين المنهج قبل أن يموت إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ولكن فى دعوته جاء من أقصى المدينة وبين أهمية اتباع مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ثم بين الأسباب التى تجعل الناس يحرصون على اتباع المرسلين والتى تتلخص فى كونهم يدعون إلى عبادة الله، كما أنه بين لماذا نعبد الله وكيف تتم العبادة فقال وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ والمعنى نفى أى وما لى امتنع عن عبادة خالقى، وهو مستحق العبادة لذاته، حتى ولو لم تكن هناك جنة ولو لم تكن هناك نار.

(فَطَرَنِي): فطرنى أى خلقنى، والفطر يطلق على الخلق ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر ١) فالفطر أصلا هو الشق فتكون العبادة للخالق

سبحانه تعالى كأن الخالق حينما يخلق الخلق يشق عنه وجوه العدم ليظهر الوجود<sup>١٧٢</sup>. وهذه هي الرؤية الحكيمة في الموضوع. وأطلق الفطر على الخلق أنه في عبقرية اللغة العربية أن الخالق وهو يوجد خلقه كان العدم انشق عنه فبرز من العدم إلى الوجود. ومع هذا فلو كان لدى الإنسان حس إيماني لذاب فيمن خلقه، فهو الجدير بالحب كله. وأي حب آخر يكون من خلاله أي بشرعه لا بهوانا وإلا كان نجسا. فهو الذي خلقنا وأوجد لنا الغذاء والماء والدواء والقوة والإدراك والسمع والبصر والكلام و.... ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل ١٨) وكذلك ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم ٣٤)

وإليه تُرجعون: فالكلام ليس على المبدأ فقط في فطرني وإنما أيضا في النهاية فهو الذي خلقتي بدءاً وهو الذي أرجع إليه انتهاءً فهو جدير بكل نفس، فكيف أنا أن نقابل المولى عز وجل ونحن لم نستطع إيفائه حقه.

**وإشارياً** لنا وقفة عند استحقاق العبادة لله تعالى وحقه علينا، فالعوام يدعون ربهم رغبا في جنته ورهبا من عذابه إنما الأولياء وهم الصفوة الصوفية الصالحون يعبدونه عشقا لذاته، وحتى الحب فله فقط، أما ما يكون في الدنيا فلا بد أن يكون لله، فالصوفي يقول إن من خلقنا جدير بأن نعبد به بلا مقابل لأنه مستحق للعبادة وصاحب حق علينا. فمن عظيم قدر المولى عز وجل أن يخفف عن الخلق فلو اجتمع الخلق أجمعون وسجدوا حتى الممات لا يستطيعون الوفاء بحق الله، فأنت لم تسجد له إلا بقوته وبمشيئته، وما فيك من إمكانيات وقدرات كلها من خلق الله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات ٩٦)، وبالتالي فالصوفي يجد نفسه - وهذا حق - غريقا في الدِّين لله تعالى. ولذلك فالعارف يعبد الله وهو خجل وفي حياء لأنه يعبد بهما لا يليق بجلاله. وكان المنشدون في الماضي ينشدون قائلين: (ما لي عمل يصالح للعرض

١٧٢) نراجع مراتب الخلق والعدم والأزل وكيفية الإعدام والسلوب وما إلى ذلك من مصطلحات في علم الكلام. ومن أفضل ما كتب في ذلك حاشية الشيخ الأمير على الجوهرة ص ٨٠ طبعة الحلبي.

عليك). فمن أنت كى تقوم بعمل يليق بعظمة المولى عز وجل، فالله كريم ورحيم أن يقبل منا الركعتين اللتين قد نقوم بهما فى غفلة وبدون إخلاص بل بتشويش من الدنيا وما فيها.

**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ:** وهذه بشارة من الملائكة لحبيب النجار.

**وإشاريا** لنا وقفة عند قوله تعالى **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ** قال بعض المفسرين إن حبيب النجار بمجرد خروج روحه وقبل أن يدوق عذاب الملك إنطixيس الذى جاء صوريا بالنسبة لهؤلاء الرسل أرسل رسالة لنا من العالم البرزخى وبشرته الملائكة بالجنة بل قال المفسرون إنه دخل الجنة بالفعل قبل خروج روحه. لأنه ورد أن الشهيد قبل أن يحس بألم الطعن والضرب يسئل الله تعالى روحه برفق ويهتأ بحسن الخاتمة، فالله تعالى يأخذ النفس الصالحة ساعة الخروج وتلقاها الملائكة، ﴿يَا أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٧-٣١) ، أى راضية بعباد ربك مرضية بضاعف لك العطاء فوق ما ترجين أيها النفس من فضل الله فوق ما تطلبين. فالمرضية فوق الراضية فالمرضية راضية من الله والراضية راضية بعباد الله. ولقد سُمعت هذه الآيات تتلى عند إنزال بن عباس رضى الله تعالى عنهما إلى قبره عند دفنه. والنفس المطمئنة ليست لكل المؤمنين بل أكثر المؤمنين يموتون على النفس الأمارة بالسوء. فقليل من الناس من يطلب سماع تلاوة هذه الآيات عند موته. فدرجات النفس الأمارة وفوقها اللوامة وفوقها الملهمة وفوقها المطمئنة (وهى الرابعة) ثم الراضية المرضية وتختتم بالمرتبة الكاملة، أى النفس الكاملة. ومهمة التصوف هو ترقية النفس وتركيبتها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس ٩-١٠).

فمراتب النفس السبعة هى خلاصة السلوك الصوفى. ولكى يقف المرء على هذه المراتب فلا بد له من السلسلة النورانية التى يتعلق بها من شيخ إلى شيخ إلى سيدنا رسول الله ﷺ حتى إذا أخطأ يجد من ينبئه وعندما يحسن فى العمل يقال له أحسنت وإذا أساء يقال له أسأت. فهؤلاء الشيوخ أكبر نعمة من الله بعد حبيبنا سيدنا رسول الله ﷺ. وهذا للصالحين من

المؤمنين السعداء وأعظم نعيم هو مُشَافَهَةُ الروح لخالقها. أما الأشقياء فهم محجوبون ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين ١٥) تتلقاها والعياذ بالله ملاحة العذاب وتضعها في سجين في الأرض السابعة. أما السعيد تصعد بروحه في حفل تكريم.

ولذلك قالها سيدنا عيسى بصيغة التكلم ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمٌ وُلِدْتُ وَيَوْمٌ أَمُوتُ وَيَوْمٌ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم ٣٣) وقالها المولى عز وجل عن سيدنا يحيى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم ١٥). ولذلك فإن الروح عندما تصعد وتأخذ بشرى القبول من مولانا وخالقنا يُقام عُرْسٌ للمولى وهو ينتقل، فله سلامات ثلاثة من المولى عز وجل آخرها يأخذ به حَسَنُ الخاتمة ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

ولذلك فإن أرواح الصالحين قالوا إنها تصعد على المعراج الذى شَرَفَ بسيدنا رسول الله ﷺ إلى مقام معين حيث يتم القرب من المولى عز وجل بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى، حتى يلقي العبدُ ربه. ومن ذلك قال العوام عن الذى مات "انْتَقَلَ إِلَى جَوَارِيهِ"، أو "لَحِقَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى". ولقد قالها سيدنا رسول الله ﷺ ﴿اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى﴾ (خ)، دعى بها قبل الموت عندما خِيرَ.

وكيفية الرجوع ووقته وكيفية لقاء المولى عز وجل كل ذلك وهو مختلف لكل نفس عن الأخرى لا يعلمه إلا الله تعالى، فكل واحد له مقابلة<sup>١٧٣</sup>. ولذلك فالصالحون يعملون ألف حساب

١٧٣ ( وذكر أ.د. جودة قول بعض العارفين ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أى دخولها في الوفد الذى يأتى على الرحمن ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ (طه ٨٥)، ويتم تصنيف كل أحد مع من وإلى أين. ومع الصالحين كل جماعة يُسَمَّوْنَ بشيخ واصل إلى الله يكون قائدهم ودليلهم وإمامهم عند العرض على الله عز وجل ﴿يَوْمَ تَدْعُو كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ (الإسراء ٧١)، وفيها وجهين: (أ) إمامهم جمع أم أى بَأْمَاتِهِمْ وهو مرجوح، أو (ب) إمامهم الذى انتموا به فى الدنيا وهو الراجح وبعد القبول والتكريم والتنعيم ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ يرجعون أرواحا مقدسة تُكَلِّفُ بهم بعد انتقالها إلى عالم الدنيا تنفذ أمر الحق فى الخلق ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ (النازعات ٥). وقال الإمام الشهاب الخفاجى فى حاشيته على تفسير البيضاوى أن الْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا هى أرواح السعداء التى تلحق بالملأ الأعلى ثم تكلف من رجا بتدبير الأمور فى خلق الله. أليس سيدنا إدريس رفعه مكانا عليا فى السماء السابعة وسيدنا إلياس = وسيدنا الخضر وسيدنا عيسى عليهم السلام. ونبه أ.د. جوده إلى أن هذا الوجه لا يلزم به كل أحد وإنما يقدمه



لساعة الاحتضار<sup>١٧٤</sup> قائلين ﴿اللهم هَوِّنْ علينا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ وأصل هذا الحديث فى صحيح البخارى<sup>١٧٥</sup>،

وإشاريا أيضا ليبان مجموعة من الأضواء المركزة على بعض المعالم الصوفية من  
قصة أصحاب القرية نبين قول الشيخ الأكبر فى قصة أصحاب القرية:  
أوضح الشيخ الأكبر ابن عربى الآتى:

\* تشير قصة أصحاب القرية إلى الصراع الكامن فى مدينة البدن الإنسانى ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ فأصحاب القرية هم أهل مملكة البدن<sup>١٧٦</sup>.

\* فالصراع يتمثل أساسا بين فريقين: أصحاب القرية هم العناصر الأربعة الموجودة فى الإنسان والنفس الناطقة التى هى فى أولى مراتبها أمارة بالسوء، فهم يمثلون الشرك وعبادة الأصنام، والكفر وقتل الرسل.

\* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَالْمُؤْمِنِينَ هُمَا القلب والروح

---

للقرارى والسماع ليس بالزام، فلكل درجة استعداد تختلف عن الآخر، وتفصيله فى كتابه النفحات الجُودِيَّة،  
فليراجع هناك.

( ١٧٤ ) قال بن حجر فى الفتح: " ومع ذلك فالذى يحصل للمؤمن من البشرى ومسرّة الملائكة ببقائه ورفقهم به وفرحه ببقاء ربه يهون عليه كل ما يحصل له من ألم الموت حتى يصير كأنه لا يحس بشيء من ذلك".

( ١٧٥ ) قال أ.د. جودة: " فالموت قد يكون دون ذوق الموت فهناك من الأولياء من يخلع نفسه فى الدنيا وإذا خلع نعله سُمِعَ أُنْثُنُ النفس التى يخلعها". فحديث البخارى فى هذا الباب أن سيدنا محمد ﷺ يخفف عن أمته بحمل ألم سكرات الموت عن خواص أمته فتحملها بنفسه فقال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ﴾، ومن ذلك أن كبار الأولياء يُسْتَلَوْنَ فى أواخر حياتهم بالأمراض فهو يحجم سبحانه وتعالى فيبتليهم، كما أنه يجب أن يسمع صوتهم يسألونه، ويكون هذا الابتلاء ليرفعه المولى عز وجل إلى مرتبة لم يطعم إليها ولم يطمع فيها هذا الولي. ومن هذا فإن الشيخ الواصل يتحمل أيضا أنواعا من البلاء عن مريديه، وهذا بالطبع ثابت ولكن المجال لا يتسع أكثر من ذلك. وعلى قوة اعتقاد المريد فى شيخه يعطيه الله.

( ١٧٦ ) ويؤيده من ناحية أخرى الشيخ ابن عجيبة حيث قال أصحاب القرية هم النفس وصفاتها، وهم فى البدن أيضا فليس المقصود بالبدن البنية من اللحم والعظم وما شابه ذلك بل مشتملات البدن.

\* فَكَذَّبُوهُمَا أَى أَن الذى كذب هو النفس وقوى النفس وصفات النفس كذبوا الروح وكذبوا القلب لأن القلب يدعو إلى الإيمان والروح تدعو إلى التقوى والصفاء والمشاهدة<sup>١٧٧</sup>. فالتكذيب لشدة التفاوت بين طبائع الرسل ونورانية ما جاءوا به من جهة وبين ظلمة عناصر الجسد والنفس الأمارة بالسوء.

\* وهذا بالطبع ضد استعداد البدن الذى تميل ترابيته وطينته إلى الحجب الظلمانية بينما القلب والروح أنوار. فالتصوف الاستعلاء على الطينية والأرضية فتصبح سماوية ولا تخلد إلى الأرض.

\* وهذا لأن الإنسان مبتلى بأعداء أربعة لا يتركونه وهم: النفس والدنيا والهوى والشيطان<sup>١٧٨</sup>. فهم لا ينفكون عنك، ولذلك فالمرید اليقظ لا ينام ولا بد له من معرفة الوسائل التى يحارب بها كل عدو من أعدائه. فالدنيا تُحَارِبُ بضرتها الآخرة فاغلظ على طلبات الدنيا برغائب الآخرة، وهكذا باقى الأعداء، وكل شئ موجود فى الكتاب.

\* ولذلك فإن قصة أصحاب الكهف إشاريا تحكى الصراع الحاصل بين قوى الخير الممثلة فى عالم الأمر الذى هو بداخلك بذءا بالقلب وبالروح وتعزيزا بالعقل، وبين قوى الشر الممثلة فى النفس وصفاتها، بأنواعها المختلفة وذلك فى مدينة البدن. والذكر هو الذى يعطى غذاء النفس وما ينبغى أن يُمَتَّع وما يجب أن يُعْطَى بالذكر لكل نوع من أنواع النفس.

\* فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ : وهو العقل.

\* قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا : فالتطير هو التشاؤم ويفسر بأنه التنافر أى نُفْرَة الظلمة الممثلة فى العناصر الأربعة فى النفس الأمارة عن النور. الذى فى الروح والقلب والعقل.

( ١٧٧ ) ومن ذلك ما جاء عن أبى يزيد البسطامى فى تفسيره إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا (النمل ٣٣) أى يفسد على النفس هواه ويفسد على البدن ظلماته، وإفساد الإفساد إصلاح، أى أفسدوها على المفسدين. وانتبه للحكمة التى تقول: حينما يفكر الإنسان فى الشر يُعِيرُهُ الشيطان رأسه.

( ١٧٨ ) وقال البوصيرى فى البردة المباركة:

وَإِنَّهُمَا مَخَضَاكُ النَّصْحِ فَاتَّهَمَا  
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمَ

وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَأَعْصِيَهُمَا  
وَلَا تَطْعُ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا

\* لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ : والرجم يطلق على الرمي، وأقله الرمي بالشتائم كالقذف.

\* وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ : وهى رمز أن يسيطر عليكم وأن ندخلكم فى حُكْمِنَا ويكون الحُكْم للنفس وشهوتها<sup>١٧٩</sup> ولظلمة الجسد وغرائزه. ومن ذلك فإن أكبر عذاب فى الدنيا هو عذاب استيلاء النفس وهيمنة النفس على القلب والروح والعقل فيتم تجنيدهم لحساب النفس الأمارة، لحساب جهنم. ومن ذلك ما نجده من دخول العقول المفكرة فى الكتابة عن الإباحية والفرار من قانون السماء وتخترع قوانين أرضية لشقاء البشر. فأصبحت الأمم معذبة بفعل أصحاب القرية، فأصحاب القرية رمز مائل فى كل جسم إلا من رحم ربى، فيوفقه الله تعالى بتغليب التوفيق على الخذلان فينصر الروح والقلب والعقل على النفس وصفاتها وطبائع الجسد.

\* وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ : ودلالة أقصى هنا أى أبعد والمعنى العشق المنبعث من أقصى مدينة الجسد. وهو ليس عشقا شهوانيا بل عشق الحقيقة، فهو جاء ليدعوا إلى التوحيد. ومدلول عشق أخذ من لفظ حبيب، ونجار فى الظاهر لأنه كان ينحت أصناما لتعبد ولكنه لم يعبدها (صحت المقولة أو أخطأت). وقالوا إن الأصنام التى كان ينحتها حبيب النجار إنما هى **أصنام مظاهر الصفات الإلهية**. وهذا هذا يُطرح السؤال الهام:

س: كيف فسرت الأصنام التى كان ينحتها حبيب النجار إشاريا بأصنام مظاهر الصفات الإلهية، وكيف نثبت أسماء الله وصفاته من قصة أصحاب القرية؟

ج: وجوابه هو أن هذا الكون كله قائم كمظاهر للصفات الإلهية. وبيان ذلك أن الله تعالى له أسماء كمال وأسماء جلال وأسماء جمال. فمثلا من أسماء الجمال الرحمن، الرحيم، الكريم، المنعم، الحنان، المنان، الودود. ومن أسماء الجلال الجبار، المنتقم، ذو البطش، المميت. وأسماء الكمال لفظ الجلالة وهو يجمع بين الكمال والجلال والجمال. وقالوا إن هناك فرقا بين تجلى الرحمن وتجلى الرحيم.

( ١٧٩ ) وغرائزها من حب النفس والشهوة والغضب وحب التملك وحب الغرائز والأتانية المفرطة، فكلها جنود للنفس.

وهذا واضح فى قصة أصحاب القرية عند قوله **إِنْ يُرِذِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ**، فهل تجلّى الرحمن يأتى بضر! نعم. فالرحمن فيه تجلّى الجلال والجمال، كليهما. كما أنسنا نعلم جميعاً أن الله هو الهادى وهو المٌضِلُّ<sup>١٨٠</sup> فهو الواحد الأحد سبحانه **إِنْ يُرِذِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ**، وقوله **تُغْنِ** مجزوم لأنه جواب الشرط.

ومظاهر الصفات هى كل العالم بما فيه من خير وشر وإيمان وكفر، ولذلك باسم الضار يقع الضر الذى فى العالم كله، وباسم الهادى تقع الهداية الذى فى العالم كله، وباسم المٌضِلُّ يقع الإضلال فى العالم كله. وأهل الكشف يقرؤون أسماء الله على صفحة السماء<sup>١٨١</sup>. فالكافر كفره مظهر صفة الإضلال المأخوذة من قوله تعالى **﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** (النحل ٩٣)، وهذا هو معنى ينحت أصنام مظاهر الصفات. فأصنام هى مظاهر لتجليات بعض الصفات الجلالية، وعندما يرتقى العارف كما ارتقى حبيب النجار من **حضرة الصفات إلى حضرة الذات بِقَدْرِهِ**، وهذا بالطبع ليس كمثّل قدر سيدنا محمد ﷺ ولا حتى قدر سيدنا عيسى عليه السلام. ولذلك قال حبيب النجار **وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** وهو إثبات للعقيدة، بطرفيها: المبدأ والمعاد. (فَطَرَنِي)

(١٨٠) وهناك والعياذ بالله من ينكر مثل هذه الأسماء فلا يعترفون باسم الضار مثلاً من أسماء الله الحسنى، وهى فتنة نسأل الله السلامة لأن المنكر لذلك يصير مجوسياً. وذلك لأن المجوس من عقيدتهم إله للخير والنور اسمه يزدان وإله للشر اسمه أهرمن، فمن ينفى اسم الضار حتماً لا بد وأن يُسند خلق الضر لغير الله أى لإله آخر. ومن هؤلاء التثويّة، من جعلوا إلهين. والرد على ذلك من قصة أصحاب القرية من الآية السابقة حيث ينسب إرادة الضر للرحمن لله، فهذا هو التوحيد.

(١٨١) وكان الشيخ محمد أبو العيون فى كلية أصول الدين يقول لمريديهم لا يوجد شئ سايب فى الكون فأوراق الشجر التى ترونها ليست خالية وإنما كل ورقة وعليها اسم من أسماء الله، لكن من يستطع قراءتها. وكذا صفحة النهر والوجود كله. ولكنك أنت الوحيد الغافل فطالب نفسك بذلك.

الخلق فى المبدأ (وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ) المعاد والنهاية والرجوع إلى الله أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً . ولهذا فكل ممن يرى فى الوجود أثرا لغير الله استقلالا كان متصفا باتخاذ آلهة من غير الله. وهذا هو التوحيد الكامل: توحيد الأسماء والصفات والأفعال والذات. ولذلك ينفى اتخاذ آلهة من دون الله (أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِذْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُون \* إِنِّي إِذًا) لو اتخذت هذه الآلهة (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) فقالها قبل صعود الروح أنه يصعد على الإيمان ويطلب منهم أن يشهدوا له. (وهناك وجه آخر أن هذا القول قاله حبيب النجار لأهل إنطاكية أنكم فعلتم ما فعلتموه إلا أنى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ١٨٢). فقيل له قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ والمعنى الإشارى قيل ادْخُلِ الْجَنَّةَ أى جنة الذات الإلهية بعد الترقى من حضرة الصفات. وكل متعة فى الآخرة بالنسبة لجنة الذات حقيرة، كل نعم الجنة أمام نعمة مشاهدة الذات كلا شئ ١٨٣.

ولذلك قال حبيب النجار قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ فكانت الرسالة التى أرسلها لنا من الجنة أو من حضرة الذات. ويسأل سائل وما هى هذه الرسالة فيبينها حبيب قائلا بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ وقد يسأل سائل وماذا

( ١٨٢ ) كما أن هناك وجهها آخر فى ذلك وهو أنهم قبل أن يهيموا بقتله رُفِعَ إلى السماء ودخل الجنة وأرسل هذه الرسالة من هناك، ثم يعود فيموت عند فناء السماوات والأرض كما رُفِعَ سيدنا عيسى عليه السلام، فهو وارث عيسوى. ودليل ذلك إنه لم يقل إنه مات فى الآيات ولكن مباشرة قال إنه قيل له ادْخُلِ الْجَنَّةَ، ومعلوم أن الجنة فوق. ولذلك فالرسالة التى أرسلها إنما هى من الجنة رغم أنه معدود فى الدنيا كسيدنا الخضر وسيدنا إلياس وسيدنا عيسى عليهم السلام وسيدنا إدريس " وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ".

( ١٨٣ ) وأهل السنة والجماعة (السادة الأشاعرة والماتريدية) يثبتون رؤية المولى عز وجل فى الآخرة " وَجُودُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " (القيامة ٢٢-٢٣) خلافا للمعتزلة. (راجع الخريدة البهية للدردير وحاشية الأمير على جوهره التوحيد للقانى).

يغفر الله لك يا حبيب وأنت مشهود لك بأنك من سُبَّاق الأمم \_ كما بينا فى الحديث سابقا -

والجواب: عند أهل الظاهر غفر لى ربى بسبب فعل الطاعات، وجعلنى من المكرمين بسبب الإيمان والعقيدة الصحيحة. فقنطرة الغفران هى الإيمان الصحيح، وحدانية الله والشهادة بالرسالة للنبى الذى يتبعه ذلك الإنسان فى عصره، وفى كل العصور بسيدنا محمد ﷺ

غفر لى ربى **الاحتجاب بمظا هر الصفات عن جنة الذات** ولماذا جنة الذات؟ لأنها حضرة غيبية خصوصية فيها اجتِنَانٌ واستتَار.

وهنا لابد من توجيه الدارسين والسامعين إلى أنه رغم عدم وجود فى هذا الكلام مع الشريعة مطلقا إلا أنه لا يصح له أن يخرج من هذه القاعة ويتحدث مع الناس بأسلوبه حتى لا يفتن الناس لأنه لم يهضم ما قيل بعد، كما أن هذا الكلام لا يُقالُ لغير أهله، فأنا شخصا لا أقول هذا الكلام مطلقا فى دروسى للتفسير بمسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا حتى وإن جئت بالكثير من القبسات الصوفية إنما التفسير لابد وأن يُشرَحَ كتفسير ظاهرى، وما زاد مما نتناوله الآن لا يقال إلا فى أهله حتى لا يُساء الفهم، ونحمد الله تعالى أن مَنْ علينا بهذه الكلية الصوفية الشرعية وبمعنى أخص رزقنا بمحبين للتصوف يستطيعون بمحبتهم وإقبالهم أن يتذوقوا فيفتح لهم أبواب كانت مغلقة ويقشع حجب فيجعل المعنى ينفذ إلى القلب. فقد يكون هناك معنى من المعانى يدخل قلب السامع ولكنه لا يستطيع التعبير عنه<sup>١٨٤</sup>.

\* **خلاصة** ذلك أن حبيبا النجار هو رمز العشق الروحى القادم من المأ الأعلى للحقيقة المطلقة. ولذلك ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ \* بِمَا غَفَرَ لِي

( ١٨٤ ) ولهذا يقول الأئمة "كلامنا حرامٌ على غيرنا" فافهم.

رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١﴾ فمعنى غفر لى ربى أى ستر عنى صفات النفس ورقفانى إلى مقام الروح التى هى وسيلة المشاهدة فانتقل من تجليات الصفات إلى تجلى الذات.

اللهم ثبتنا على كمال محبته وثبتنا على كمال تبعيته واحشرنا فى زمرة وأدخلنا به جنة الذات بفضلك يا رب العالمين.

نسأل الله تعالى أن يمن علينا بهذه المراقى العالية،

وأن يحفظنا بأسرار يس،

وبسيدنا يس صلى الله عليه وسلم،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اختتم هذه المحاضرات فضيلة الشيخ العالم الجليل أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي فى تمام الساعة التاسعة من مساء الأحد الخامس من شهر صفر ١٤٢٧ هـ الموافق الخامس من شهر مارس لعام ٢٠٠٦ م، وذلك بقاعة المحاضرات الرئيسية بالمعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف بالأكاديمية العالمية للعشيرة المحمدية، الكائن بمقر العشيرة بقايتباى بالدراسة بالقاهرة، والله ولى التوفيق. وبخاتماها فقد اكتمل والله الحمد والمنة تفسير الربع الأول من سورة يس.